

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد

معاني النحو

الجزء الرابع

الدكتور فاضل صالح السامرائي

سأدت جامعة بغداد على نشره

تسلسل التعقيب (٢) للعام ١٩٩٠

مكتبة
كلية التربية للبنات / قسم علوم القرآن الكريم
جامعة بغداد
٢٠٠٥ / ٢ / ١٨

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد

معكم في النسخ

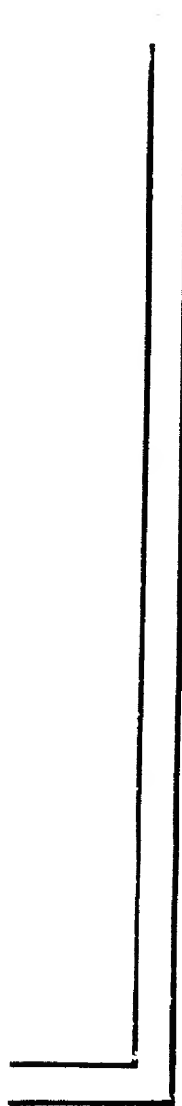
الجزء الرابع

الدكتور فاضل صالح السامرائي



ساعدت جامعة بغداد على نشره
تسلسل التعقيب (٢) للعام ١٩٩٠

مَعَاذِ اللَّهِ



جزم المضارع

يجزم المضارع بعد أدوات ظاهرة وهي لم ولما ولا الأمر ولا الناهية وبعد أدوات الشرط ، وقد يجزم بغير أداة ظاهرة نحو: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا بقبسوا الصلاة — إبراهيم ٣١﴾.

وإذا لاحظنا أدوات الجزم وجدناها على ثلاثة أقسام :

- ١ - القسم الأول : ما يقلب زمن المضارع الى ماضٍ وهي لم ولما .
- ٢ - القسم الثاني : ما يقلبه الى الأمر وهي لام الأمر ولا الناهية ، إذ إن لا الناهية أمر بالتَّرك فتقولنا (افعل) أمر بالفعل و (لا تفعل) أمر بالتَّرك .
- ٣ - القسم الثالث : أدوات الشرط وهي أدوات تقوم بربط الجمل لفرض تعليل حصول شيء بحصول شيء آخر نحو (إن تأتني اذهب معك) فذهابك معلق بآتيانه .

جاء في (نحو الفعل) للدكتور أحمد الجوزي : " وإنما يكون الجزم في المضارع إذا تعين لواحد من المعاني الآتية :

- ١ - معنى الماضي : وذلك إذا دخلت عليه لم ولما فانها تقلبان معناه الى معنى الفعل الماضي كـ (لم يذهب ولما يذهب) .
- ٢ - معنى الطلب : وذلك إذا تقدمته لام الأمر نحو (ليذهب زيد) ... أو لا الناهية نحو (لا تذهب) ...
- ٣ - معنى الشرط : والشرط صيغة فعلية مستقلة تخالف باقي الصيغ في مدلول الفعل وهو الحدث والزمن لأن الفعل في جملة الشرط معلق حدوثه أو وقوعه فهو إذن ليس تام الدلالة ففي قولك : (إن تذهب اذهب) تعلق ذهابك على ذهاب المخاطب فأنت لم يقع منك الذهاب والمخاطب كذلك لم يقع منه ذلك وإنما علقت ذهابك على ذهابه بأداة الشرط " (١) .

(١) نحو الفعل ٤٨-٤٩ .

ونحن نخالفه في القسم الثاني وهو معنى الطلب ، اذ معنى الطلب عام يدخل فيه الاستفهام والتمني والترجي والعرض والتحضيض وغير ذلك وهو لا يجوز في كل هذه المواطن بل يجوز اذا ادى معنى الامر فعلاً أو تركاً.

يتبين من هذا أن ادوات الجزم — عدا ادوات الشرط — تخرج المضارع عن حقيقته الى فعل آخر ماضياً أو امراً.

ومما مر من دراسة الفعل المضارع تبين لنا أن :

١ - النصب يفيد الدلالة على الاستقبال في الغالب أو للعدول الى معنى المصاحبة والسببية تنصباً.

٢ - الجزم للدلالة على المضي أو الامر — فيما عدا الشرط —.

٣ - الرفع للدلالة على الزمن العام المطلق حالاً واستقبلاً ومضياً فالحال نحو (برزق الله مخلوقاته) ونحو (هو يقرأ الآن).

والاستقبال نحو ﴿وسوف ينشئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ — المائدة ١٤ ﴿ونحو ﴿يوم يُنفخ في الصور فتأتون افواجا﴾ — النبأ ١٨.

والمضي كقوله تعالى ﴿وبضغ الفلك﴾ — هود ٣٨ وقوله ﴿ونقلبهم ذات اليمين﴾ وذات الشمال — الكهف ١٨ وذلك في حكاية الحال.

ونترك الشرط الى باب الاساليب فهو الصق به.

الادوات التي يجوز بعدها الفعل

لام الامر

وتلزم فعل غير المخاطب للدلالة على الامر وذلك أمر المتكلم لنفسه نحو : (لأذهب اليه) ونحو قوله صلى الله عليه وسلم : (قوموا فلاصل بكم) ومنه قوله تعالى ﴿اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ — العنكبوت ١٢.

وأمر الغائب نحو (ليخبره خالد بما حدث) وكقوله تعالى : ﴿ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك معك﴾ — النساء ١٠٢.

ومن هذا الأخير المبني للمجهول نحو (لُخِبرَ بما حدث) ونحو (لأعطَ حتى) فإن
الفاعل غائب.

وقد وردت قليلا في أمر المخاطب فإن الأصل في المخاطب أن يؤمر بفعل الأمر لا
باللام وذلك نحو قوله (ﷺ) (لنزره ولو بشوكة) وقوله (لتقوموا إلى مصافكم)
وهذا في الشعر أكثر نحو قوله:

لتقم أنت يا ابن خيم قريش فنقضني حوائج المسلمين^(٢)
وقد يخرج المجزوم بلام الأمر إلى معنى آخر كما يخرج الأمر عن معناه إلى معنى آخر
وذلك كالدعاء نحو (ليغفر الله لك).
والتهديد نحو ﴿من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ - الكهف ٢٩
والخبر نحو ﴿من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ - مريم ٧٥ أي
فيمد^(٣).

لا الناهية

وهي موضوعة لطلب الترك^(٤) نحو ﴿لا تفتروا على الله كذبا﴾ - طه ٦١ و
﴿لا تبغ الفساد في الأرض﴾ - القصص ٧٧.
ومن أساليب العربية أن يُنهي الفاعل والمراد غيره نحو (لا أربنك ههنا) فقد
جاءت (لا) لنهي المتكلم والمنهي في الحقيقة هو المخاطب أي لا تكن ههنا حتى
لا أراك^(٥).

(٢) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/٢٧٩-٢٨٠.

(٣) المغني ١/٢٢٣، الجمع ١/٧.

(٤) المغني ١/٢٤٦.

(٥) شرح الرضي ٢/٢٨٠ وانظر الأصول ١/٨٣.

ونحو ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُم — التوبة ٨٥﴾ فالمنهي للأموال إذ أسند الإعجاب إليها والمنهي في الحقيقة هو المخاطب أي لا تعجب يا محمد بأموالهم^(٦).

ونحو قوله تعالى: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ — الاعراف ٢٧﴾ فقد نهى الشيطان والمنهي في الحقيقة هم المخاطبون، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَفْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْفَرُورُ — فاطره﴾ فالمنهي موجه لفظاً للدنيا وللفرور وهو الشيطان والمنهي في الحقيقة هم المخاطبون.

وقد يخرج المجزوم بـ (لا) الناهية عن معنى النهي إلى معنى آخر، كالدعاء نحو (لا يقطع الله يمينك ولا يفضض الله فاك)، والتهديد نحو قولك لابنك مهدياً (لا تقرأ ولا تذهب إلى المدرسة).

والتمني ومنه مخاطبة مالا يعقل نحو (لا تخشني أيها الصبر) و (يا عيني لا تجعدي) وغير ذلك من المعاني.

لم

تختص بنفي المضارع وتقلب زمنه ماضياً نحو (لم اذهب أمس). قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ — الانفال ١٧﴾ وهي لنفي (فعل)^(٧) فإذا قلت (حفظ) فنفية (لم يحفظ).

والمنفي بها قد يكون مقطوعاً نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مذكوراً — الانسان ١﴾، ونحو قولنا (لم يقم خالد أمس)، وقد يكون متصلاً بالحال نحو ﴿لَمْ أَكُنْ بِدَعَائِكَ رَبِّ شَقِيحاً — مريم ٤﴾ يعني إلى الآن، ونحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحِدًا — التوبة ٤﴾، وقد يكون مستمراً نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ — الاخلاص ٣، ٤﴾^(٨).

وقوله: ﴿وَأَنهَارٌ مِنْ لَيْلٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ — محمد ١٥﴾

(٦) امالي ابن السجري ١/ ١٤٨.

(٧) كتاب سيويه ١/ ٤٦٠.

(٨) انظر شرح شذور الذهب ٢٦، المغني ١/ ٢٧٩.

لَمَّا

وتختص بنبي المضارع ايضاً وتقلب زمنه ماضياً نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ
الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ - الْحَجَرَاتِ ١٤﴾ وقوله ﴿وَلَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٌ - ص ٨﴾
وقولنا (لَمَّا بَارَ، خالداً) وهي لنفي (قد فعل) فإذا قلت (قد حضر) ففيه لَمَّا
يحضر^(٩).

والفرق بين (لم) و (لَمَّا) من أوجه هي:

١ - ان المنفي بـ (لم) قد يكون منقطعاً وقد يكون مستمراً في حين أن المنفي بـ (لَمَّا)
مستمر النفي الى حين التكلم فإذا قلت (لَمَّا يحضر خالد) فمعناه انه الى الآن لم يحضر في
حين ان قولك (لم يحضر خالد) يحتمل انه لم يحضر الى الآن ويحتمل انه لم يحضر في
وقت من اوقات الماضي ثم حضر ولذا يصح أن يقال (لم ينجح محمد في العام الماضي
وقد نجح هذا العام) ويمتنع أن يقال (لَمَّا ينجح ثم نجح) لان قولنا (لَمَّا ينجح) يفيد
استمرار النفي الى وقت التكلم، وتقول (لم يقم ثم قام) ويمتنع ان نقول (لَمَّا يقم ثم
قام)^(١٠).

جاء في (شرح الرضي على الكافية): "واختص (لَمَّا) ايضاً بامتداد نفيها بين
حين الانتفاء الى حال التكلم وهذا هو المراد بقوله (بالاستغراق)... وأما (لم) فيجوز
انقطاع نفيها دون الحال نحو (لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب اليوم)"^(١١)
٢ - ان منفي (لَمَّا) لا يكون الا قريبا من الحال ولا يشترط ذلك في منفي (لم)
فقد يكون منفيها قريبا أو بعيداً، تقول: (لم يكن زيد في العام الماضي مقيماً) ولا
يجوز (لَمَّا يكن)^(١٢).

(٩) كتاب ميبويه ١/٤٦٠.

(١٠) انظر المغني ١/٢٧٨، شرح قطر الندى ٨٣-٨٤، الاشياء والنظائر ٢/٢٢٣، ٢٢٨، التبريع ٢/

٢٤٧.

(١١) شرح الرضي على الكافية ٢/٢٧٨.

(١٢) المغني ١/٢٧٩.

وذلك ان (لم) لنني (فعل) وهذا الفعل يحتمل القرب والبعد فمن البعيد قوله : ﴿خلق الله السماوات والارض — العنكبوت ٤٤﴾ وقوله ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم — الاعراف ١١﴾ ، ومن القرب قولنا : (حضر الآن محمد) وقوله تعالى : ﴿اني تبست الآن — النساء ٢٨﴾ في حين ان (لما) لنني (قد فعل) و (قد) تفيد القرب كما سبق تقريره .

٣- ان المنني بـ (لما) فيه معنى التوقع وليس كذلك المنني بـ (لم) فقولنا (لما يحضر خالد) معناه انه لم يحضر وهو متوقع حضوره وليس في قولنا (لم يحضر خالد) معنى التوقع . قال تعالى : ﴿بل لما يذوقوا عذاب — ص ٨﴾ ومعناه انهم لم يذوقوه الى الآن ، وان ذوقهم له متوقع^(١٣) .

وذلك ان (لما) لنني (قد فعل) و (قد) فيها معنى التوقع^(١٤) ، و (لم) لنني (فعل) وليس فيه معنى التوقع فتقولك (قد حضر محمد) معناه انه كان متوقعا حضوره فحضر : و (لما يحضر) معناه انه لم يحضر وهو متوقع حضوره .

قال في (المعني) : " وهذا الفرق بالنسبة الى المستقبل فأما بالنسبة الى الماضي فهما شيان في نبي المتوقع وغيره . مثال المتوقع أن تقول : (مالي قمت ولم تقم) أو (ولمّا تقم) . ومثل غير المتوقع أن تقول ابتداء : لم تقم أو لمّا تقم^(١٥) " .

وجاء في (شرح الرضي) : وقد تستعمل في غير المتوقع ايضا نحو (ندم ولما ينفعه الندم)^(١٦) وذلك ان (قد) ربما جاءت في غير المتوقع كما اسلفنا .

٤- ان (لما) لا تقترون باداة الشرط بخلاف (لم) . قال تعالى : ﴿وان لم تفعل فما بلغت رسالته — المائدة ٦٧﴾ . وقال : ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون — المائدة ٤٥﴾ ولا يقال (ان لنا تفعل) ولا (من لما يحكم) .

(١٣) المعني ٢٧٩/١ ، التصريح ٢٤٧/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٢٧٨/٢ .

(١٤) كتاب مهبوه ٣٠٧/٢ .

(١٥) المعني ٢٧٩/١ .

(١٦) شرح الرضي على الكافية ٢٧٨/٢ .

وذلك "لأن الشرط يلبه مثبت (لم) تقول : (إن قام زيد قام عمرو) ولا يلبه مثبت (لما) لا تقول : إن قد قام زيد" (١٧)

وسبب ذلك أن (لما) إذا نقت الفعل صرفته إلى الماضي ولا يحتمل أن يكون لغیر الماضي مثل (قد) في الاثبات فإن (قد) إذا دخلت على الفعل الماضي تعين أنه للماضي ولا يصح صرفه إلى المستقبل بخلاف (لم) فإنه يصح صرف ما بعدها إلى المستقبل كما في مثبتها ، فإن (فعل) للماضي وقد يحتمل الدلالة على المستقبل بقربة نحو قوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ - الزمر ٦٨ ﴾ ومنفيه أعني (لم يفعل) كذلك فهو للماضي ، وقد يحتمل الدلالة على المستقبل كقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ - الاعراف ٤٦ ﴾ وهذا في اصحاب الاعراف وهو من مشاهد القيامة .

ولذا جاز اقتران (لم) باداة الشرط كما جاز اقتران مثبتها بها لأن الشرط بصرف الفعل إلى المستقبل تقول : (إن زرنا أكرمناك وإن لم نزرنا لم نكرمك) ولم يجوز اقتران (لما) بها كما لم يجوز اقتران مثبتها بها ، فلا تقول : (إن قد قام) ولا (إن لما يقم) .
 هـ - يجوز الاستغناء بـ (لما) عن ذكر منفيها إذا دل عليه دليل تقول : (قاربت البلد ولما) أي : ولما ادخله ولا يجوز حذف الفعل بعد (لم) فلا يقال : (قاربت البلد ولم) (١٨) . وذلك أن (قد) يستغنى بها فلا يذكر ما بعدها قال : *

أرف الترحل غير أن ركابنا لما نزل برحالتنا وكان قد (١٩)
 أي : وكان قد زالت .

جواب الطلب

ذكرنا أن الفعل المضارع قد يجزم بعد أدوات ظاهرة ، وقد يجزم بغير أداة ظاهرة وهو الذي يسميه النحاة جواب الطلب نحو (زربي أزرك) و (أين بيتك أزرك) و (ليتي اعرف بيتك أزرك) والمعنى كما يقول النحاة : إن تزربي أزرك وإن دلتني على بيتك أزرك .

(١٧) التصريح ٢/ ٢٤٧ .

(١٨) المغني ١/ ٢٧٩ : شرح قطر الندى ٨٤ .

(١٩) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٢٧٩ .

جاء في (الكتاب) : " (هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل اذا كان جواباً لامر أو نهي أو استفهام أو تمن أو عرض) " فأما ما انجزم بالامر فقولك (إتني آتلك) وما انجزم بالنهي فقولك (لا تفعل يكن خيراً لك) وأما ما انجزم بالاستفهام فقولك (ألا تأتيني أحدثك) و (أين بيتك ازرك) وأما ما انجزم بالتمني فقولك (ألا ماء أشربته) و (ليتة عندنا يحدثنا) وأما ما انجزم بالعرض فقولك (ألا تنزل تصب خيراً) وأما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب (ان تأتني) فإن تأتني لانهم جعلوه معلقاً بالاول غير مستغن عنه اذا ارادوا الجزاء كما ان (ان تأتني) غير مستغنية عن (آتلك).

وزعم الخليل ان هذه الاوائل كلها فيها معنى (ان) فلذلك انجزم الجواب لانه اذا قال (أتني آتلك) فان معنى كلامه : إن يكن منك آتيان آتلك . واذا قال (أين بيتك ازرك) فكأنه قال : إن اعلم بيتك ازرك ، لان قوله (أين بيتك) يريد به (أعلمني) . واذا قال (ليتة عندنا يحدثنا) فان معنى هذا الكلام : (ان يكن عندنا يحدثنا) . وهو يريد ههنا اذا تمنى ما اراد في الامر . واذا قال (لو نزلت) فكأنه قال انزل " (٢٠)

وهذا الاسلوب كما هو ظاهر اسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ما قبله ومربط به ارتباط الجزاء بالشرط فقولك (زرني اكرمك) معناه ان اكرمك له مرتبط بزيارته لك ارتباطاً شرطياً وكذلك (الا تأتيني أحدثك) فان التحديث مسبب عن الاتيان ومربط به ارتباط الجزاء بالشرط . فاذا لم يرتبط الفعل بما قبله هذا الارتباط لم ينجزم . قال تعالى : ﴿واخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني﴾ القصص ٣٤ بالرفع ولم ينجزم لانه ليس على ارادة معنى الشرط اذ ليس معناه ان ترسله يصدقني وانما المعنى : ارسله ردءاً فانه يصدقني ولذا ارتفع ولو اراد معنى الشرط لجزم . ونحوه ان تقول (زرني ازورك) فانتك لم تقصد فيه ترتيب زيارتك على زيارته وانما المقصود انا ازورك فزرني اي انا ممن يزورك .

ومثله قولك (دعه يضربه) و (دعه يضربه) فبالجزم معناه ان تدعه يضربه . وبالرفع معناه : دعه ضارباً له ، فالضرب بالجزم غير حاصل وبالرفع هو حاصل . أو

يكون على الاستئناف على معنى دعه إنه يضره . وتقول : (تعال ينادك) و (تعال يناديك) فبالجزم معناه ان تأت ينادك والمعنى انه لا يناديك الآن وانما إذا جئت ناداك ، وبالرفع معناه : انه يناديك فتعال ، ومعنى ذلك ان المناداة حاصلة .

قال سيبويه : "وتقول (اثني آت) فتجزم على ما وصفنا ، وان شئت رفعت على أن لا تجعله معلقا بالاول ولكنك تبدئه وتجعل الاول مستغنيا عنه كأنه يقول : اثني انا آتاك . مثل قول الشاعر (وهو الاخطل) :

وقال رائدهم أرسوا نزاولها فكل حثف امرئ يمضي لمقدار

وقال الأنصاري :

يا مال والحق عنده فقفوا تتون فيه الوفاء معترفا

كأنه قال انكم تتون فيه الوفاء معترفا.....

وتقول : (ذره يقل ذاك) و (ذره يقول ذاك) فالرفع من وجهين فاحدهما الابتداء . والآخر على قولك ذره قائلا ذاك....

وتقول (قم يدعوك) لانك لم ترد ان تجعل دعاء بعد قيامه ويكون القيام سببا له ولكنك اردت : قم انه يدعوك . وان اردت ذلك المعنى جزمت (٢٢)

وجاء في (المفصل) : "وان لم تقصد الجزاء فرفعت كان المرفوع على احد ثلاثة أوجه : اما صفة كقوله تعالى : ﴿فهب لي من لدنك وليا يرثني﴾ (٢٢) او حالا كقوله تعالى : ﴿فذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ (٢٣) . أو قطعاً واستئنافاً كقوله (لا تذهب به تغلب عليه) و (قم يدعوك) ومنه بيت الكتاب :

(٢١) كتاب سيبويه ١/٤٥٠-٤٥١ وانظر المختضب ٢/٨٢.

(٢٢) مريم ٦٠٥.

(٢٣) ليس ثمة آية بهذا النص وانما هي (ونذرهم في طغيانهم يعمهون - الانعام ١١٠) وليس فيها شاهد .

وانما الشاهد في قوله تعالى (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - الانعام ٩١).

وما يحتمل الامرين الحال والقطع قولهم (ذره يقول ذالذ) و (مره يحفرها) وقول
الاحطل : كروا الى حربكم تعمرونها .
وقوله تعالى : ﴿ فاضرب لهم طريقاً في البحر يساً لا تخاف دركاً
ولا تخشى ﴾ (٢٤) (٢٥) ..

وبذلك على معنى الجزاء أنه اذا تخلف معنى الشرط لا يصح جزمه وذلك واضح
في النهي نحو (لا تذن من النار تحترق) فانه لا يصح جزم (تحترق) هنا لانه لا يصح
أن تقول (ان لا تذن من النار تحترق) بخلاف قولك (لا تذن من النار تسلم) فانه يصح
القول (ان لا تذن من النار تسلم) ولذا يجوز الفعل (تسلم) ولا يجوز (تحترق) .

جاء في (شرح الاشموني) : " (وشرط جزم بعد نهي) فيما مر أن يصح ان تضع
(ان) الشرطية قبل (لا) النافية دون تخالف في المعنى يقع ، ومن ثم جاز (لا تذن من
الاسد تسلم) وامتنع (لا تذن من الاسد يأكلك) بالجزم (٢٦) ..
"ولكنك ترفع على القطع كأنك قلت : لا تذن منه فانه يأكلك " (٢٧) .

ومثاله من غير النهي قولك (اقتل العقرب تلدغك) فانه لا يصح جزم
(تلدغك) لانه لا يصح تقدير الشرط فلا تقول (ان تقتل العقرب تلدغك) بخلاف
قولك (اقتل العقرب تنج منها) فانه يصح جزمه ، ونحو (تجنب النار تحرقك) فانه لا
يصح فيه الجزم لانه لا يصح تقدير الشرط وانما هو مرفوع على القطع اي انها تحرقك
بخلاف (تجنب النار تنج) فانه يجوز .

ومثله (هلا تحفظ ترسب) فانه لا يصح الجزم فيه بخلاف قولك (هلا تحفظ
دروسك تنجح) ونحو (لبيتي اجد ماء يهلكني العطش) فانه لا يجوز فيه الجزم لانه لا
يصح تقدير الشرط بل هو على تقدير انه يهلكني العطش بخلاف قولنا (لبيتي اجد ماء
اعش) فان الفعل فيه مجزوم لانه مقدر بالشرط .

(٢٤) طه ٧٧ .

(٢٥) الفصل ٢/ ١٤٦-١٤٧ .

(٢٦) شرح الاشموني ٣/ ٣١١ .

(٢٧) الفصل ٢/ ١٤٦ .

وبذلك على ذلك ايضاً أي على معنى الجزء ان مانصب بعد فاء السببية في الطلب اذا اسقطت منه الفاء جزمت وذلك نحو قولك (اين بيتك فأزورك) فاذا اسقطت الفاء منه وبقي في الجملة معنى السبب جزمت. وهذا يدل على ان معنى الجزم هو أن يكون الثاني مسبباً عن الاول وهو المقصود من الشرط.

جاء في (التصريح) : "واذا سقطت الفاء من المضارع الواقع بعد الطلب المحض وقصد بالفعل الذي سقطت منه الفاء معنى الجزء (٢٨) للطلب السابق عليه جزم الفعل. والمراد بقصد الجزء انك تقدره مسبباً عن ذلك الطلب المتقدم كما ان جزء الشرط مسبب عن فعل الشرط" (٢٩).

وهنا يبرز سؤال وهو؟ ما الفرق بين سقوط الفاء وبقيتها في المعنى؟
ما الفرق مثلاً بين قولك (هل تزورني اكرمك) و (هل تزورني فأكرمك)؟
آل المعنى واحد أم مختلف؟

الذي يبدو انها اسلوبان متغايران معناهما مختلف، وذلك ان التعليل بالفاء انما هو لبيان السبب فقط وليس الارتباط بها ارتباطاً شرطياً ولذا يصح ان تأتي بالفاء احياناً ولكن لا يجوز اسقاطها وجزم الفعل بعدها لان معنى الشرط لا يصح وذلك نحو قولنا (لاتدن من الاسد فيأكلك) فان هذا التعبير صحيح وهو بيان لعلة عدم الاقتراب من الاسد بخلاف ما لو قلنا (لاتدن من الاسد يأكلك) فانه لا يصح فيه الجزم لانه لا يصح تقدير الشرط فيه. اذ لا يقال : (ان لاتدن من الاسد يأكلك). قال تعالى : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين — الاعراف ١٩﴾ فانت ترى انه لا يصح اسقاط الفاء والجزم على الطلب لانه لا يصح في المعنى (ان لاتقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين). فالفاء لبيان علة النهي عن الاقتراب من الشجرة ولكن ليس ارتباط ما قبلها بما بعدها ارتباطاً شرطياً. ومثله قوله تعالى ﴿ولا تمسوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم — الانعام ١٠٨﴾ وقوله ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم — الاعراف ٧٣﴾ وقوله : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب

(٢٨) في الاصل (معنى الجزم) وهو غلط مطبعي كما هو ظاهر وكما يدل عليه ما بعده والخاتمة

(٢٩) التصريح ٢٤١/٢ وانظر شرح الاشبوني ٣٠٨/٣.

ويحكم — الانفال ٤٦ ﴿١﴾ ، وقوله ﴿٢﴾ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من
الخاسرين — يونس ٩٥ ﴿٣﴾ وقوله ﴿٤﴾ لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكبدوا لك
كيداً — يوسف ٥ ﴿٥﴾ .

فأنت ترى في هذا ونحوه أنه لا يصح اسقاط الفاء منه وجزئه لانه لا يصح تقدير
الشرط اذا حذفت .

وكذلك النبي فانه لا يصح اسقاط الفاء فيه والجزم^(٣٠) لانه لا يحتمل جعله
اسلوباً شرطياً فلا يصح في نحو (ما تأتينا فتحدثنا) (ما تأتينا تحدثنا) ولا في نحو قوله
تعالى ﴿٦﴾ لا يقضى عليهم فيموتوا — فاطر ٣٦ ﴿٧﴾ (لا يقضى عليهم يموتوا) لان المعنى
لا يصح ، اذ لا يصح (ان لا يقضى عليهم يموتوا) .

وبذلك يتضح الفرق بين ذكر الفاء واسقاطها فالفاء انما هي لمجرد بيان السبب ،
واما اسقاطها فعلى ارادة الشرط والجزاء .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يكون الفرق بينها في المعنى من غير هذا
السييل وذلك نحو قوله تعالى ﴿٨﴾ يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذباً — غافر ٣٦ ، ٣٧ ﴿٩﴾ فأنت ترى أنه
لا يحسن اسقاط الفاء من (فأطلع) والقول (لعلي ابلغ الاسباب أطلع) لان المعنى
سيختلف وذلك ان الترجي في الآية مستمر الى ما بعد الفاء والمعنى لعلي اطلع
بخلاف ما لو جزمت وقلت (أطلع) لان المعنى سيكون (ان بلغت الاسباب اطلعت
الى اله موسى) وهذا غير مراد ولا يصح لان فرعون ينكر ان يكون لموسى اله غيره قال
﴿١٠﴾ وما علمت لكم من اله غيري — القصص ٣٨ ﴿١١﴾ فأنت ترى ان الجزم يختلف عن
النصب بالفاء .

ونحوه قوله تعالى ﴿١٢﴾ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا — الانعام ١٤٨ ﴿١٣﴾ فأنت
ترى انه لا يحسن اسقاط الفاء والقول (تخرجوه لنا) ، لأن المعنى سيتغير وذلك ان
الاستفهام مستمر الى ما بعد الفاء بخلاف ما لو جزمت فان الاستفهام سينقطع قبلها

(٣٠) انظر الفصل ٢ / ١٤٦ ، الاخير ٣ / ٣٠٩ .

ويصبح اسلوباً شرطياً فيكون (ان كان عندكم علم تخرجوه لنا) وهو مخالف للمقصود. وكذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ - البقرة ١٦٧﴾ فان التبري مستمر الى ما بعد الفاء فما بعد الفاء داخل في التبري، وقوله ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا - النساء ٩٧﴾ فان الانكار مستمر الى ما بعد الفاء ولا يصح اسقاط الفاء والقول (الم تكن ارض الله واسعة تهاجروا فيها) لان المعنى سيتغير، ثم لا يصح ان يقال: ان كانت واسعة تهاجروا فيها على المعنى السابق.

وكذلك قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا - الحج ٤٦﴾ فالاستفهام مستمر بخلاف ما لو اسقطت الفاء وجزمت فان المعنى لا يصح.

ويوضحه ايضا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ - يونس ٨٨﴾ فأنت ترى انك اذا اسقطت الفاء فقلت (يؤمنوا) تغير المعنى تغيراً كبيراً وذلك ان قوله تعالى ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ داخل في الدعاء وان المقصود طلب عدم ايمانهم حتى يروا العذاب الاليم بخلاف ما لو اسقطت الفاء فقلت (ربنا اطمس على اموالهم... لا يؤمنوا) فعند ذلك يخرج قولك (لا يؤمنوا) من الدعاء ويكون المعنى: (ان طمست على اموالهم وشددت على قلوبهم لا يؤمنوا) فتكون نتيجة الطمس عدم الايمان وليس فيه تنصيص على أن ذلك مراد له وانما هو تقرير حقيقة فقط.

يتبين من ذا أن ثمة فرقاً كبيراً بين ذكر الفاء واسقاطها والجزم على الطلب فان لكل معنى. قال تعالى ﴿وَانْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَآكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ - المنافقون ١٠﴾ فأنت ترى انه نصب الفعل بعد الفاء (فأصدق) ثم عطف عليه بالجزم (واكن من الصالحين) والسبب والله اعلم ان قوله (واكن من الصالحين) ليس على ارادة الفاء بل على نية اسقاطها فيكون الثاني جزءاً كأنه اراد (ان اخرتني اكن من الصالحين) فأسقط الفاء على ارادة الشرط ولو عطف لكنا شيئاً واحداً.

ولا نقل كيف يصح عطف الجزاء على ما ليس جزءاً فهذا كثير فانه معلوم انه يصح العطف بقاء السبب و واو للمعية على الشرط والجزاء (٣١) فتقول (ان تاتني فتكرمني اشكر لك صنيعك) وتقول (من يزني اكرمه فاشكر له صنيعه) وتقول (من يزني اكرمه واشكر له صنيعه) فهذا عطف سبب على جزء وذلك عطف جزء على سبب.

فاتضح بهذا ان ما يسمى بحجاب الطلب انما هو اسلوب شرطي غير ان هذا الاسلوب يختلف عن اسلوب الشرط المشهور وهو الذي تذكر فيه أداة الشرط وفعله وجزاؤه نحو (ان ترزني ازرك) وذلك ان الارتباط هنا ليس بأداة شرط بل الارتباط بمعنى الجزاء ، وان الشرط في الاسلوب الشرطي المشهور يكون فعلاً ماضياً أو مضارعاً بخلاف هذا الاسلوب فان الشرط فيه يكون طلباً دائماً.

ثم ان هذا التعبير يؤدي معنى لا يؤديه الاسلوب الشرطي المشهور فمثلاً ان قوله تعالى ﴿فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض - البقرة ٦١﴾ لا يؤديه قولنا (ان تدع لنا ربك يخرج) وذلك ان قوله (ادع لنا ربك) يفيد ان الدعاء مطلوب مراد للقاتلين بخلاف قولنا (ان تدع لنا يخرج) فانه لا يدل على ان الدعاء مطلوب لهم ، ومثله قوله تعالى ﴿نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون - النمل ٤١﴾ فهذا يختلف عن قولنا (ان تنكروا لها عرشها ننظر) فان قوله تعالى (نكروا لها عرشها) يفيد أن التنكير مأثور به مطلوب بخلاف قولنا (ان تنكروا لها عرشها ننظر) فان معناه اذا فعلتم ذلك نظرنا ولا يفيد أن التنكير مطلوب.

ومثله قوله تعالى ﴿قاتلوهم بعدئذهم الله بأيديكم - التوبة ١٤﴾ فانه يدل على ان القتال مطلوب بخلاف ما لو قلنا (ان قاتلوهم بعدئذهم الله بأيديكم) فانه لا يفيد أن القتال مطلوب صراحة ، وكذلك قوله تعالى ﴿ادعوني استجب لكم - غافر ٦٠﴾ يختلف عن قولنا (ان تدعوني استجب لكم) فانه في الآية يفيد أن الدعاء مطلوب من العبد مراد لله تعالى بخلاف الثانية. وكذلك قوله ﴿ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونطيع الرسل - ابراهيم ٤٤﴾ فان التأخير مطلوب لهم مراد

بمخلاف ما لو قلنا : (ان تؤخرنا نجيب دعوتك) فانه لا يفهم هذا المعنى بل هو اسلوب
اشتراطي مع الله سبحانه وهو كما ترى يختلف عن الاول .

وكذلك بقية انواع الطلب ، فالجزء هنا يكون جوابا للتمني والاستفهام والعرض
والتحضيض والنهي مما لا يمكن ان يؤدي بالشرط . تقول (ليت محمدا هنا يدافع
عني) فيدافع جواب للتمني ولا يؤدي هذا المعنى بالشرط فيما اذا قلت (ان يكن
محمد هنا يدافع عني) اذ ليس في هذا معنى التمني . وكذلك قولنا (ألا تأتينا نصب
خييرا) فان هذا عرض و (نصب) جواب العرض ولا يؤدي هذا المعنى بالشرط فيما اذا
قلنا (ان تأتينا نصب خيرا) لانه ليس فيه عرض .

جاء في (بدائع الفوائد) ان الفرق بين قولنا (قم اكرمك) و (ان تقم اكرمك)
انه " في قوله (قم اكرمك) فائدتان ومطلوبان :

احدهما جعل القيام سببا للاكرام ومقتضيا له اقتضاء الاسباب لمسيباتها .
والثاني كونه مطلوبا للأمر مراداً له . وهذه الفائدة لا يدل عليها الفعل المستقبل
فعدل عنه الى لفظ الامر تحقيقا له وهذا واضح جدا " (٣٢) .

ففي الشرط فائدة واحدة وهو اقتضاء الاسباب لمسيباتها ، وفي هذا التعبير فائدتان
هما فائدة الشرط المذكورة ، والثانية افادة معنى الطلب من أمر ونهي واستفهام وتمن
ونحوه مما لا يتحقق بالشرط .

اضمار اللام :

ذهب بعض النحاة الى ان لام الأمر قد تضم بعد قول هو أمر نحو قوله تعالى :
(﴿ قل لعبادي يقولوا التي هي احسن - الاسراء ٥٣ ﴾) وقوله (﴿ قل لعبادي الذين
آمنوا يقيموا الصلاة - ابراهيم ٣١ ﴾) والمعنى : قل لهم ليقولوا وليقيموا (٣٣) .

(٣٢) بدائع الفوائد ١ / ١٠٥ .

(٣٣) انظر المغني ١ / ٢٢٥ ، شرح الرضي ٢ / ٢٧٩ ، المعجم ٢ / ٥٥ .

وذهب الجمهور الى أن الجزم هو مثله في قولنا (التي اكرمك) أي على تقدير إن
تقل لهم يقيموا الصلاة "وابطل ابن مالك بالآية أن يكون الجزم في جواب شرط
مقدر لان تقديره يستلزم أن لا يتخلف أحد من القول له ذلك عن الامتثال ولكن
التخلف واقع .

وأجاب ابنه بان الحكم مسند اليهم على سبيل الاجمال لا الى كل فرد فيحتمل ان
الاصل (يقم اكثرهم) ثم حذف المضاف وانيب عنه المضاف اليه فارتفع واتصل
بالفعل ، وباحتمال انه ليس المراد بالعباد الموصوفين بالايمان مطلقا بل المخلصين
منهم (٣٤)

والذي يبدو لنا أن الرأي الاول اصوب لان المعنى على تقدير الشرط قد يبعد
بخلاف تقدير اللام فقولنا (قل له يحفظ القصيدة) معناه : قل له ليحفظها وليس
معناه (إن تقل له يحفظها) وقد ابطل ذلك ابن مالك .

واما جواب ابنه ففيه نظر وذلك انه قد يوثق بهذا التعبير فيما لا يصح فيه الشرط ،
فقد نقول هذا التعبير عمن لم نتيقن من استجابته فيصح ان نقول عن شخص لم
نتيقن من استجابته (قل له ينته عن الخمر) فلا يصح تقدير (ان تقل له ينته عن
شرب الخمر) وكذلك أن تقول (قل له ينته عن القول بالرجعة) وأنت تعلم انه
لا ينتهي أو غير متيقن من استجابته ، وأن تقول (قل لهم يكفوا عن التخريب) لمن
لا تعلم انهم سينتهون بمجرد القول فلا يصح تقدير (ان تقل لهم يكفوا عن التخريب)
بخلاف تقدير اللام فانه موافق للتقصد .

وليس معنى ذلك انه بعد كل قول هو أمر يكون المحذوف لاماً ، بل قد يكون
اسلوباً شرطياً فان المعنى هو الحاكم في قولك (قل الحق بعصمتك الله) معناه إن
تقل الحق بعصمتك الله وليس معناه لعصمتك الله ، ونحوه قوله تعالى ﴿يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم اعمالكم - الاحزاب ٧٠﴾ فان معناه
الشرط وليس الامر .

وقد يحتمل التعبير المعنيين الشرط والامر وذلك نحو قولنا (قل له يفعل ذلك) فهذا
يحتمل الامر ويحتمل الشرط فإذا أردت أنك أن تقل له يفعل ذلك كان شرطا والآ كان
أمرا.

كما أن حذف اللام ليس محصورا بالقول بل قد يكون مع غيره حسبا يقتضي
المعنى وذلك نحو قوله ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾ - غافر ٤٩ ﴿فإن
المعنى الاظهر له (ادعوا ربكم ليخفف عنا يوما من العذاب) ، وليس (ان ندعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) . وكذلك قوله تعالى : ﴿قالوا ادع لنا ربك بين
لنا ما لوئنا - البقرة ٦٩﴾ فالارجح انه على تقدير ادع ليبين لنا ما لوئنا وليس على
تقدير ان تدع بين.

ونحو قوله تعالى : ﴿واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووارؤوسهم -
المنافقون ٥﴾ فانه ليس المعنى ان تأتوا يستغفر لكم رسول الله ، اذ ليس الاستغفار
حاصلا من مجرد الاتيان ، بل الراجح ان المعنى تعالوا ليستغفر لكم رسول الله .

ومثله قوله تعالى : ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من
نوركم - الحديد ١٣﴾ فانه ليس المقصود : ان تنظرونا نقتبس من نوركم ، بل هو
طلب النظر لاقتباس النور ، أى على معنى (انظرونا لنقتبس من نوركم) ، ومثله
﴿رب أرني انظر اليك - الاعراف ١٤٣﴾ فان الراجح أن المعنى أرني لانظر اليك
وليس : ان تُرني انظر اليك .

وربما احتمل بعض هذه التعبيرات الشرط من وجه بعيد ألا ان تقدير اللام
اظهر .

ولو قال قائل ان المعنى على تقدير لام التعليل في نحو قوله تعالى : ﴿تعالوا يستغفر
لكم رسول الله﴾ وقوله ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ لكان أشبه بالمعنى والله اعلم .
وقد تقول : ما الفرق بين التصريح باللام واضمارها ، فما الفرق بين قولنا (قل له
يفعل) و (قل له ليفعل) ؟

حرفا الاستقبال السين وسوف

من المتأسف بحث حرفي الاستقبال سوف والسين هنا لاختصاصهما بالفعل المضارع.

ان سوف والسين حرفا استقبال^(١). قال تعالى : ﴿ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا- النساء ٥٦﴾ وقال : ﴿سأصلبه سقر- المذثر ٢٦﴾ .
ولفظ (السَّوْف) يدل على البعد عموما فمن معانيه الموت ومثله السواف ومنه قولهم : ساف المال يسوف اذا هلك ، ويقال : زماه الله بالسواف أي الموت ، والسوف الصبر. ومنه المسافة والسيفة وهو بعد المفازة والطريق^(٢).

والسوف الشم وقيل بل هو لشم رائحة مالميس حاضرا.
جاء في (بدائع الفوائد) : " وأما سوف فحرف ولكنه على لفظ السوف الذي هو الشم لرائحة مالميس بخاضر وقد وجدت رائحته كما ان سوف هذه تدل على ان مابعدا ليس بخاضر وقد علم وقوعه وانتظر اياه . ولا غرو أن يتقارب معنى الحرف من معنى الاسم المشتق المتمكن في الكلام"^(٣).
فلفظ السوف عموما يفيد البعد.

وحرف الاستقبال (سوف) موافق للفظ السوف ومعناه فان الاستقبال بـ (سوف) فيه بعد وتراخ وربما أخذ منه وجرد لمعنى الاستقبال كما اخذ حرف (على) من العلو وحرف (خلا) من الخلو .
قالوا : و (سوف) أكثر تنفيسا من السين فان لفظها أكثر فهو يؤذن بالبعد.

(١) انظر المعنى ١٣٨/١ ، كتاب سيبويه ٣١١/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٢٤٨/٢ .

(٢) انظر (لسان العرب- سوف) ٦٥/١١ ، تاج العروس (سوف) ١٤٧/٦ .

(٣) بدائع الفوائد ٩١/١-٩٢ .

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : " وسوف أكثر تنفيساً من السين ...
وقيل ان السين مقوص من سوف دلالة بتقليل الحرف على تقرب الفعل " (٤)
وقال ابن ابياز في (شرح الفصول) ان " التراخي في سوف اشد منه في السين
بدليل استقراء كلامهم : قال تعالى : ﴿ وسوف تسألون ﴾ (٥) وطال الامد والزمان ،
وقال تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم ﴾ (٦) فتعجل القول " (٧)
وقال : ﴿ ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا - النساء ٥٦ ﴾
وقال : ﴿ وسوف يبينهم الله بما كانوا يصنعون - المائدة ٥٤ ﴾
وقال : ﴿ ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم - النساء ٩١ ﴾
وقال : ﴿ سنزلوه عنه اباه - يوسف ٦١ ﴾
وقال : ﴿ سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا - الكهف ٧٨ ﴾
فاستعمل (سوف) للبعد والسين للقريب .

ومما يدل على ذلك قوله تعالى على لسان يعقوب (ع) لابنائه : ﴿ قال سوف
استغفر لكم ربي - يوسف ٩٨ ﴾ وقوله على لسان ابراهيم (ع) لأبيه : ﴿ سأستغفر
لك ربي - مريم ٤٧ ﴾ فجاء بوعد يعقوب بسوف ووعد ابراهيم بالسين لان وعد
يعقوب اطول من وعد ابراهيم وذلك لما فعلوه به وبأخيهم يوسف فهو وعدهم
بالاستغفار في المستقبل حين طلبوا ذلك منه قال تعالى ﴿ قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين . قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم . يوسف ٩٧ ،
٩٨ ﴾ بخلاف آية ابراهيم فانه دعا اياه الى الاسلام فلم يستجب وفي نهاية الحديث
قال له ﴿ سلام عليك سأستغفر لك ربي - مريم ٤٧ ﴾ فجاء بالسين الدالة على
القرب ، يدل على ذلك بدوه بقوله ﴿ سلام عليك ﴾ فالفرق واضح .

ومما يدل على افادة (سوف) للبعد والتراخي انه يؤتى بها للتبعد وذلك نحو قوله
تعالى : ﴿ ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني - الاعراف ١٤٣ ﴾

(٤) شرح الرضي على الكافية ٢/٢٤٨ وانظر الكليات ٢٠٤ .

(٥) الزخرف ٤٤ .

(٦) البقرة ١٤٢ .

(٧) الاشياء والنظائر ٢/٢٧٤ .

وهذا في طلب موسى (ع) من ربه أن يريه ذاته ﴿قال رب أرني انظر اليك قال لن
تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني﴾ فجاء بـ (سوف) ولم يأت
بالسين الدالة على القرب للدلالة على بعد هذا الامر وان وقوعه بعيد المثال مستحيل
الحصول.

ونحوه قوله تعالى ﴿ويقول الانسان اذا مات لسوف اُخرج حيا﴾ - مريم ٦٦ ﴿
وهذا للتبديد ، وذلك ان هذا القائل يعتقد أن الحياة بعد الموت امر بعيد الوقوع
لا يكون فجاء بـ (سوف) الدالة على البعد ولم يأت بالسين.

وقالوا هما حرفان مؤكدان اذا دخلا على فعل أفادا أنه واقع لاحالة .
جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿اولئك سوف يؤتيهم اجرهم﴾ - النساء
١٥٢ "معناه ان ابتاءها كائن لاحالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيتته
لاكونه متأخرا" (٨).

وجاء فيه في قوله ﴿اولئك سبّرحمهم الله - التوبة ٧١﴾ : "السين مفيدة وجود
الرحمة لاحالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك : (سأنتقم منك) ، تعني
انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك" (٩).

وجاء فيه في قوله تعالى ﴿فسيكفيكم الله - البقرة ١٣٧﴾ "ضمان من الله
لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ومعنى السين أن ذلك كائن لاحالة وان
تأخر الى حين" (١٠).

والذي يبدو ان (سوف) اكفر توكيدا من السين لزيادة حروفها عليها ، ويدل على
ذلك الاستعمال القرآني لها . قال تعالى : ﴿ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما
يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ - النساء ١٠ .

وقال : ﴿ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما
فسوف نصليه نارا﴾ - النساء ٢٩ ، ٣٠ فجاء بـ (سوف) هنا بخلاف آية الايتام

(٨) الكشاف ٤٣٤/١ .

(٩) الكشاف ٤٨/٢ .

(١٠) الكشاف ٢٤١/١ وانظر المفني ١٣٨/١ - ١٣٩ ، التفسير الكبير للرازي ١٣١/٢٦ .

وذلك ان المقام يقتضي الزيادة في التهديد لانه في عقوبة قتل النفس عدوانا وظلما بخلاف الآية السابقة فانها في اكل اموال اليتامى ، والقتل اشد ولا شك . فزاد لهم في التهديد والتوكيد لما زاد الفعل سوءا ونكرا . ثم انه لما قال (عدوانا وظلما) فزاد العدوان على الظلم زاد لهم التهديد فجاء بـ (سوف) التي هي آكد من السين ونسب الاصلاء الى نفسه فقال (فسوف نصليه نارا) بخلاف الآية السابقة فانه قال (وسيصلون سعيرا) فنسبه اليهم .

ومن الطريف أن يوثق بلفظ (سوف) الذي يفيد الهلاك والموت مع فعلة القتل بخلاف آية الايتام .

ونحو ما مر قوله تعالى : ﴿ فستذكرون ما اقول لكم واقضوا امرى الى الله - غافر ٤٤ ﴾ .

وقوله : ﴿ الذين كذبوا بالكتاب وما ارسلنا به رسلا فسوف يعلمون . اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون في الحميم ثم في النار يُسجرون - غافر ٧٠ - ٧٢ ﴾ .

وذلك انه في الآية الاولى لم يزد التهديد على ما ذكر وهو قوله ﴿ فستذكرون ما اقول لكم ﴾ اما في الآيات التالية فان التهديد يطول ويستمر الى الآية ٧٦ فلما طال التهديد وازداد جاء بـ (سوف) التي هي اطول من السين واكثر توكيدا .

وقد يكون المقام مقام اطالة فيوثق بـ (سوف) أو مقام ايجاز فيوثق بالسين وذلك لزيادة حروف الاولى على الثانية فمن ذلك قوله تعالى ﴿ ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا - النساء ٥٦ ﴾ ، وقوله ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار - النساء ٥٧ ﴾ .

فجاء في الاولى بـ (سوف) وفي الثانية بالسين وذلك ان المقام يقتضي أن يكون كل في موضعه فان الآيات التي قبلت في الكافرين تسع آيات تبدأ بقوله تعالى ﴿ ان الله لا يغفر أن يُشرك به - النساء ٤٨ - ٥٦ ﴾ بخلاف آية المؤمنين فانها آية واحدة وهي الآية المذكورة . فجاء في مقام الاطالة بـ (سوف) وفي مقام ايجاز بالسين .

ونحوه قوله تعالى ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلث فسوف نؤتيه اجرا عظيما - النساء ٧٤﴾.

وقوله : ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل - النساء ١٧٥﴾.

فأنت ترى انه في الآية الاولى قال (سوف نؤتيه) وفي الثانية قال : (فسيدخلهم في رحمة منه) وذلك للسبب نفسه . فان الآية الاولى في سياق القتل والشهادة الذي يبدأ بالانتماء الى الشهادة في قوله تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول . . . والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا - النساء ٦٩﴾.

ويستمر التحريض على القتال ﴿يا أيها الذين آمنوا اخذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا - ٧١﴾ وتستمر آيات القتال ومق دارها عشر آيات بخلاف آية المؤمنين فانها آية واحدة وهي الآية المذكورة وتأتي بعدها آية الموارث .

فاقتضى المقام ان يؤتى بـ (سوف) الكثيرة الحروف في مقام الاطالة والسين في مقام الإيجاز .

وقد يكون القصد اظهار ان ما يوعدون به قريب فيؤتى لذلك بالسين وذلك نحو قوله تعالى : ﴿صا صليه سقر - المدثر ٢٦﴾ وقوله ﴿سندعو الزانية - العلق ١٨﴾ وقوله ﴿سنفرغ لكم ايها الثقلان - الرحمن ٣١﴾ فجاء بالسين للدلالة على ان ذلك قريب الوقوع وهو نظير قوله تعالى : ﴿انا انذرناكم عذابا قريبا - النبا ٤٠﴾ وقوله ﴿أني أمر الله فلا تستعجلوه - التحل ١﴾ .
فأنت ترى أنه يستعمل كلا منها حسبما يقتضيه المقام .

فعل الامر

وهو طلب الفعل بصيغة مخصوصة^(١) وصيغته (افعل) نحو (اذهب) ، ويكون بحذف حرف المضارعة من الفعل المضارع ولا يكون بصيغته المعلومة الآخر للمخاطب واما غير المخاطب فيؤمر باللام نحو ﴿ليقض علينا ربك - الزخرف ٧٧﴾ و(لاذهب معكم).

وقد يخرج الامر عن معناه الحقيقي الى المجاز ومن اشهر معانيه المجازية :

- ١- الاباحة نحو ﴿واذا حلقتم فاصطادوا - المائدة ٢﴾ .
- ٢- الدعاء نحو ﴿رب اغفر لي ولوالدي - نوح ٢٨﴾ .
- ٣- التهديد نحو ﴿اعملوا ما شئتم - فصلت ٤٠﴾ وكان تقول لابنك مهديدا (العب ولا تدرس).
- ٤- التوجيه والارشاد نحو ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة - البقرة ٤٥﴾ ، و(احفظ الله يحفظك).
- ٥- الاكرام نحو ﴿ادخلوها بسلام آمنين - الحجر ٤٦﴾ .
- ٦- الالهانة نحو ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم - الدخان ٤٩﴾ .
- ٧- الاحتقار نحو ﴿فاقض ما أنت قاض - طه ٧٢﴾ .
- ٨- التسمية نحو (افعل أو لا تفعل) ونحو قوله ﴿فاصبروا أو لا تصبروا الطور ١٦﴾ .
- ٩- الامتنان نحو (كل مما انفق عليك) ونحو ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه الملك ١٥﴾ .
- ١٠- العجب نحو (انظر ماذا يصنع) و ﴿انظر كيف ضربوا لك الامثال - الاسراء ٤٨﴾ .
- ١١- التكذيب نحو ﴿قل فاثبتوا بالنورا فانلوه - آل عمران ٩٣﴾ . اذ القصد اظهار كذب ادعائهم .

(١) شرح ابن يعيش ٧ / ٥٨ .

١٢- التعجيز نحو ﴿فأتوا بسورة من مثله - البقرة ٢٣﴾ اذ ليس المراد طلب ذلك منهم ، بل اظهار عجزهم ، ونحو قوله ﴿انبيئي باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين - البقرة ٣١﴾ .

١٣- الاذلال نحو ﴿كونوا فرقة خاسئين - البقرة ٦٥﴾ فليس المخاطب مكلفا أن يفعل شيئا .

١٤- اظهار القدرة وفي هذا يكون المخاطب غير مأمور بأن يحدث فعلا ، نحو ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا - الاسراء ٥١﴾ : " يعني لو كنتم حجارة أو حديدًا لأعدناكم . ألم تسمع الى قوله حاكيا عنهم ومحجيا لهم (فسبقولون من بعيدنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة) فهذا يبين لك ان لفظ الامر في هذا الموضع تنبيه على قدرته سبحانه ^(٢) . الى غير ذلك من المعاني .

زمنه :

يقول النحاة : " والامر مستقبل ابداً لانه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل نحو ﴿يا ايها النبي اتق الله﴾ ^(٣) .

قال ابن هشام : الا ان يراد به الخبر نحو (ارم ولا حرج) فانه بمعنى زميت والحالة هذه والآ لكان امراً بتجديد الرمي وليس كذلك ^(١) .

من هذا القول يتبين أن زمن فعل الامر كما يرى النحاة هو الاستقبال وقد يراد به دوام ما حصل .

والحق ان تحديد زمن فعل الامر بما هو مذكور في هذا القول فيه نظر ، اذ هو اوسع من ذلك :

١- فقد يكون فعل الامر دالا على الاستقبال المطلق سواء كان الاستقبال قريبا ام بعيدا ، فن المستقبل القريب أن تقول مثلاً (أغلق النافذة) و (افتح الباب)

(٢) : قال ابن السجري ٢٧٠ / ١ وانظر الانقان ٨١ / ٢ .

(٣) : الاحزاب ١ .

(١) : المص ٧ / ١ .

وكقوله تعالى ﴿فافعلوا ما تنذرون - البقرة ٦٨﴾ وقوله : ﴿فاصدع بما تنذرون وأعرض
عن المشركين - الحجر ٩٩﴾ .

ومن البعيد قوله تعالى : ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما -
الفرقان ٦٥﴾ وقوله ﴿وآتانا ما وعدتنا على رسلك - آل عمران ١٩٨﴾ وكقوله :
(رب ادخلني الجنة) .

٢- وقد يكون دالا على الحال وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ثم صُتُّوا فوق رأسه من
عذاب الحميم . ذق انك أنت العزيز الكريم - الدخان ٤٨ - ٤٩﴾ فزمن اللذوق
مضاجب لصب الحميم ، ومثله قوله تعالى ﴿يوم هم على النار يُفْتَنُونَ ذوقوا فنتكم
هذا الذي كنتم به تستعجلون - الذاريات ١٣﴾ فزمن اللذوق هو زمن تعذيبهم في
النار . ومثله قوله تعالى : ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا سقر - القمر
٤٨﴾ .

وهذا كله واضح في أنه للحال ، ونحو ذلك أن تقول لمن لا يعلم ماذا حتى له وماذا
يراد به وهو يضحك ويصخب (اضحك قبل أن تبكي) ونحو قوله تعالى
﴿فلبضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا - التوبة ٨٢﴾ فالضحك للحال والبكاء في
الاستقبال .

٣- الامر الحاصل في الماضي وذلك نحو قوله تعالى : ﴿فلما دخلوا على يوسف
آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين - يوسف ٩٩﴾ فقوله (ادخلوا
مصر) كان بعد دخولهم اياها فهو أمر يفيد الماضي .

ونحو قوله تعالى : ﴿ان المتقين في جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمين - الحجر
٤٥ ، ٤٦﴾ فقوله (ادخلوها) كان بعد دخولهم الجنة يدل على ذلك قوله (ان المتقين
في جنات وعيون) .

ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر . فذوقوا عذابي
ونذر - القمر ٣٨ ، ٣٩﴾ فقوله (فذوقوا عذابي ونذر) كان بعد تصيحبهم العذاب
وذوقه .

وهذا له نظائر في الكلام ، فقد تقول لشخص قتل بسبب فعله سوء فعلها :
(ذق عاقبة ما فعلت) وتقول : (اشرب من الكأس التي جرعتها لغيرك).
وهذا كله امر واقع في الزمن الماضي .
ومن ذلك قول المنصور بعد ما قتل ابا مسلم :

اشرب بكأس كنت تسقي بها أمر في الحلق من الدم
زعمت أن الدين لا يقتضي كذبت فاستوف أبا مجرم
ومن دلالة فعل الامر على الماضي قوله صلى الله عليه وسلم لشخص رمى في
الحج بعد الذبح (ارم ولا حرج) فليس المقصد أمره بالرمي في المستقبل ، لأن الرمي
قد حصل في الماضي وانما المعنى هو الموافقة على ما فعل . ونحوه قوله (ص) لرجل قال
له : رميت بعدما أمسيت . (افعل ولا حرج) . فهذا من باب الاقرار على ما حصل
والموافقة عليه وليس من باب طلب القيام بالفعل مرة أخرى . فقد دل فعل الامر على
الماضي كما هو ظاهر .

ونحو هذا أن يقول لك شخص : اني هجوت فلانا وسببته .
فتقول له : اهجه وسبه ، موافقا على ما فعل وليس المقصد تكرار الهجاء والسب .
ومثله قولك لمن شرب دواء أو شربا : (اشرب بالهناء والشفاء) وهو قد شربه . فالفعل
دل ههنا على الماضي وليس المقصد الامر بالشرب .

ومن دلالة فعل الامر على الماضي ان تقول : (كن قد اطعت وسمعت لفلان) و
(كن قد نقذت وصيتي) و (لكن قد فعلت الخير) فهذا كله من باب الامر الواقع في
الزمن الماضي وهو متقابل النهي عن أمر حدث في الزمن الماضي في نحو قولك (لا تكن
قد اسأت اليه) و (لا تكن قد غششت احدا) .

والحق انه ليس في يدي شاهد على نحو قولنا (كن قد اطعت له) ولكن مؤدى
قول النحاة جواز ذلك فانهم جوزوا وقوع الفعل الماضي خبرا لكان وشواهد كثيرة من
القرآن وغيره وذلك نحو قوله تعالى ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل الا حزاب ﴾
١٥ ﴿ وقوله : ﴿ عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون - التل ٧٢ ﴾
وقوله ﴿ وان عسى أن يكون قد اقترب اجلهم - الاعراف ١٨٥ ﴾ ، وقوله ﴿ لا ينفذ ﴾

نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل - الانعام ١٥٨ ﴿ وقوله ﴿ فان لم تكونوا دخلتم
بين فلا جناح عليكم - النساء ٢٣ ﴿ .
قال امرؤ القيس :

وان تك قد ساءت متي خليقة فسلي ثيالي من ثيابك تنسل
ولم يستنوا وقوعه خيراً لأمر "كان" مع انهم ذكروا ما لا يصح وقوعه خيراً للافعال
الناقصة فقد ذكروا أن خبر الافعال الناقصة لا يكون جملة طلبية ولا يكون خبر صار
وما بمعناها ماضياً (٥).

وعلى اية حال فالشواهد كثيرة على دلالة الامر على الماضي وقد ذكرنا ما فيه
الكفاية .

٤ - الأمر المستمر : وذلك نحو قوله تعالى ﴿ وقولوا للناس حسناً - البقرة ٨٣ ﴿
وقوله ﴿ كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم - النساء ١٣٥ ﴿ وقوله في
معاملة الابوين ﴿ وصاحبها في الدنيا معروفاً - لقمان ١٥ ﴿ وقوله ﴿ فامشوا في ثيابكم
وكلوا من رزقه - الملك ١٥ ﴿ وقوله ﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذ من الجبال
بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون - النحل ٦٨ ﴿ وقوله ﴿ فأخرجنا به أزواجاً من نبات
شتى كلوا وأرعوا انعامكم - طه ٥٣ ، ٥٤ ﴿ . فهذا الامر كله مطلوب استمراره
والعمل به على وجه الدوام .

وقد يكون الامر مستمراً الى اجل أو مشروطاً بشرط وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فاتموا
اليهم عهدهم الى مدتهم - التوبة ٤ ﴿ وقوله ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم - التوبة ٧ ﴿ فالاستقامة لهم مشروطة باستقامتهم هم ، ونحو قوله (ص) :
(اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة ما اقام فيكم كتاب
الله) . فالسمع والطاعة مشروطان باقامة كتاب الله .
والامر المستمر له صورتان :

أ- الامر باستمرار ما هو حاصل وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ ۖ فَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْإِسْتِمْرَارُ عَلَى التَّقْوَى لَأَنَّ الرَّسُولَ (ص) مَتَّقَى اللَّهَ قَبْلَ نَزُولِ الْآيَةِ . ونحو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - النساء ٣٦ ﴾ فقد طلب منهم الاستمرار والثبات على الإيمان لا أن يحدثوا إيمانا جديدا لم يكن في قلوبهم فانهم مؤمنون قبل نزول هذه الآية ، ألا ترى أنه خاطبهم بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ؟ ونحوه قوله تعالى ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى - البقرة ٢٣٨ ﴾ فانهم مقيمون للصلاة محافظون عليها قبل نزول هذه الآية . ومثله قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابِ مَعَكَ - هود ١١٢ ﴾ وقوله : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - الاحزاب ٤٣ ﴾ وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ - البقرة ٧٢ ﴾ فقد طلب منهم الاستمرار على اختيار الطيبات من الرزق فانهم ولا شك كانوا يأكلون مما رزقهم الله قبل نزول هذه الآية ، والآ فمن أي شيء كانوا يأكلون ؟

فهذا كله من باب الامر بالاستمرار على ما هو حاصل وطلب الثبات والمداومة عليه .

وقد يكون الامر تهديدا لمن كان على حالة غير مرضية وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ ذَرِهِمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ - الحجر ٣ ﴾ وقوله : ﴿ فَذَرِهِمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ - المؤمنون ٥٤ ﴾ فيقول له : اترك هؤلاء مستمرين على ما هم عليه فسوف يرون جزاءهم .

ب- الامر بفعل لم يكن حاصلًا وطلب الاستمرار عليه وذلك نحو قولك : (حافظ على ما سأعطيك ولا تفرط فيه ابدا) ، ونحو قولك (اكتم ما سأخبرك به ولا تخبر به احدا) . قال تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى - البقرة ١٢٥ ﴾ فقد طلب الله من المسلمين ان يتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وليس ذلك موقوتا بزمن ، بل الامر مستمر لا ينقطع . ونحوه قوله ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ - البقرة ١٤٤ ﴾ وهذا الامر مستمر من حين الامر به الى قيام الساعة . ونحو قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ

مؤمنين-البقرة ٢٧٨ ﴿قوله﴾ ﴿ذرّوا ما بقى من الربا﴾ أمر بالانتهاء عن الربا بصورة
دائمة . ونحوه قوله : ﴿انما الخمر والميسر والاتصاب والازلام رجس من عمل
الشیطان فاجتنبوه-المائدة ٩٠﴾ وقوله : ﴿قال أنظرني الى يوم يبعثون-الاعراف
١٤﴾ وقوله : ﴿ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز
فاهجر-المدثر ١-٥﴾ .

فقد أمره بالانذار على وجه الدوام .
فكل ذلك مما يفيد طلب الفعل في المستقبل ثم الاستمرار والمداومة عليه .
ثم ان الامر المستمر له صورتان تعبيريتان شائعتان :
احدهما أن يؤمر بالفعل نفسه نحو ما مر من قوله تعالى : ﴿وصاحبها في الدنيا
معروفا﴾ وقوله ﴿قم فأنذر﴾ .

والاخرى أن يؤتى بأمر (كان) ويؤتى بالخبر اسماً للدلالة على طلبه الاتصاف
بالحدث على وجه الثبوت وذلك نحو قولنا (كن حافظاً للعهد) ونحو قوله تعالى :
﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾ . فالفرق بين قولك (احفظ العهد) و (كن
حافظاً للعهد) هو ما مر من الفرق بين الاسم والفعل من ان الفعل يفيد الحدث
والتجدد والاسم يفيد الثبوت . فعنى (كن حافظاً للعهد) لتكون هذه صفتك الثابتة .
واظنك ترى الفرق واضحاً بين قولنا (اطلّع) و (كن مطلعاً) ، و (تعلم) و (كن
متعلماً) وقد مرّ في مثل هذا ما فيه الكفاية .

والقياس يبيّن أن يكون خبر أمر (كان) فعلاً مضارعاً نحو (كونوا تحافظون على
العهد) و (كونوا تقولون الحق) وهو نوع من انواع الامر المستمر ، غير أنّي لم احفظ
شاهداً عليه .

وقد ورد خبر النهي فعلاً مضارعاً والنهي مقابل للأمر وذلك نحو قول المغيرة بن
حباء :

خذ من اخيك العفو واغفر ذنوبه
ولا تسك في كل الامور تعاتبه

فاذا جاز وقوع خبر النهي فعلا مضارعا جاز وقوع خبر الامر مضارعا ايضا .
واما الاخبار عن أمر (كان) بأمر فقد منعه النجاة وشذذوا ماورد من نحو قوله :
وكوفي بالمكالم ذكريني
فقد ذكروا ان خبر الافعال الناقصة لا يكون جملة طلبية كما استقنا .

٥ - وربما كان فعل الامر مطلقا غير مقيد بزمن لكونه دالا على الحقيقة أو لكونه دالا
على التوجيه والحكم أو لغير ذلك ، وذلك كقوله :
كن ابن من شئت واكتسب ادبا يغنيك محمودة عن النسب

فهو لا يأمر بك بأن تكون ابن من شئت على وجه الحقيقة فليس بمقدورك ذلك
وانما القصد ان يأمر بك باكتساب الادب ولا بهم بعد ذلك ان تكون ابن من ممن
خلق الله . فقوله (كن ابن من شئت) لا يدل على زمن ما وانما هو ذكر الحقيقة
من حقائق الحياة وهي ان الادب يغني عن النسب ونحو قوله (تعرف الى الله
في الرخاء يعرفك في الشدة) فهذا لا يقصد به التعرف الى الله والاتجاه اليه في
وقت دون وقت وانما هو من باب التوجيه للاتجاه اليه في كل وقت اذ من
المعلوم ان اغلب الناس ينظرون الراحة وينسبهم الرخاء فهم لا يلتفتون الى الله
الا في وقت الشدة والضيق ونزول المكروه فيقول لهم اذا اردتم ان يعينكم الله
وتخلصكم مما تقعون فيه من محن وكروب فالتفتوا اليه واعرفوا له حقه في كل
وقت .

ومن باب الحقائق ان تقول مثلا : (احترم الناس محرموك وتواضع لهم
يرفعوك) فهذه قاعدة عامة وحقيقة مطلقة غير مقيدة بزمن ، فمن احترم الناس
احترموه ومن تواضع لهم رفعوه .

وقد يكون فعل الامر غير مطلوب حصوله ، بل انما يذكر للتحذير منه ،
وذلك كأن تقول : (تواضع للناس محبوك واستعل عليهم بفضوك) فانت
لاتأمره بالاستعلاء على الناس وانما تحذره منه فتقول له : اذا استعليت على
الناس ابغضوك . ونحو أن تقول : (اكذب مرة تفقد ثقة الناس ولو صدقت
بعدها الف مرة) . فانت لاتأمره بالكذب وانما تحذره منه .

ونحوه أن تقول : (اعمل خيرا تلق خيرا واعمَل شرا تلق شرا) وان تقول :
(ازرع شوكا تجن شوكا) ومنه المثل المشهور (ستم كلبك بأكلك) .
فأنت لاتأمره بعمل الشر ولا بزرع الشوك وانما أنت تحذره من مغبة فعل
السوء . وهذا كله من باب الحقائق المطلقة غير المقيدة بزمن .

وقد يكون استعمال فعل الامر في الدلالة على الحقيقة على نحو آخر ، وذلك
نحو ما روي في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا مبيتا^(٦)
يزول به السراب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كن أبا خيشمة)
فاذا هو أبو خيشمة الانصاري .

فقلوه (عليه السلام) : (كن أبا خيشمة) ليس أمرا بأن يكون الشخص على غير
حقيقته ، بل اراد أن يكون هذا الشخص القادم هو من ذكر أو وقع في روعه
ذلك .

ونظير هذا أن تقول على جهة الحدس أو التمني أو نحوهما (كن فلانا) أو
(كن كذا وكذا) فتطلب ان يصدق حدسك أو تمنىك وذلك كأن تسمع
خشخشة شخص أو حركة ويقع في نفسك انه (محمود) مثلا فتقول : (كن
محمودا) فأنت لاتأمر الشخص أن يكون على غير حقيقته وانما تطلب أن يصدق
حدسك وما وفر في نفسك . وقد تقول على جهة التمني فقد تسمع حركة أو نامة
وتتمنى أن يكون صاحب هذه الحركة خالدا فتقول (كن خالدا) . ونحوه أن ترى
شخصا قادم من بعيد وأنت جائع عطشان فتقول : (كن شخصا يحمل الماء
والطعام) . وقد يأتي أحد اقاربك بطرف مليء فتتمنى ان يكون مافيه عسلا
مثلا فتقول (كن عسلا) أو ليكن مافيه عسلا ، تقول ذلك متمنيا .
فهذا ونحوه ليس أمرا بشيء وانما تطلب ان تكون الحقيقة على ما تذكر .

وقد نستعمل فعل الامر بطريقة اخرى فقد تقول مثلا (أخفق ثم أخفق ،
ولكن لاتياس) فأنت ههنا لاتأمره بالاخفاق ولاتحذره منه ولكنك تقول اذا

(٦) أي : لابس البياض .

أخفقت فلا تيأس ، فأنت توجهه الى عدم اليأس عند الاخفاق .
وهو كما ترى أيضا خالي من الدلالة على زمن معين
فقد تبين أن زمن فعل الامر لا ينحصر فيما ذكره النحاة .

اسماء الافعال

وهي الفاظ تؤدي معاني الافعال ولا تقبل علاماتها وليست هي على صيغها
فسيماها النحاة اسماء الافعال .

وهي عند جمهور النحاة اسماء لان قسماً منها يقبل بعض علاماته كالثنوين وذلك
نحو صه وأف ، والألف واللام نحو (النجاهك) وليست هي عند النحاة "بمترلة بين
الاسماء والافعال" أي قسماً رابعاً من أقسام الكلام ولذلك سموها باسماء الأفعال كما
ذهب اليه بعضهم^(١) ، بل هي اسماء حقيقية^(٢) عندهم .

قال سيبويه : " واعلم ان هذه الحروف التي هي اسماء للفعل لا تظهر فيها علامة
المضمر وذلك لانها اسماء "^(٣) . وقال ابن مالك :

والأمر إن لم يك للثنون محل فيه هو اسم نحو صه وحيل .

وسميت (اسماء الافعال) بهذا الاسم لانها اسماء تؤدي معاني الافعال كما تؤدي
المصادر أحياناً معاني الافعال في نحو قولك (سكوناً) بمعنى (اسكت) و (انكفاًفاً)
بمعنى (انكف) و (صبراً) بمعنى (اصبر) غير أن هذه مصادر معربة واسماء الافعال
مبنية غير منصرفة ، وذلك نحو (صه) اسم للفعل اسكت فهو بمعنى (سكوناً) و (مه)
اسم للفعل (انكف) بمعنى (انكفاًفاً) .

وهكذا بقية اسماء الافعال . "والذي حملهم على أن قالوا إن هذه الكلمات
وامثالها ليست بافعال مع تأديتها معاني الافعال أمر لفظي وهو ان صيغها مخالفة
لصيغ الافعال ، وانها لا تنصرف تغيرفها ، ويدخل اللام على بعضها والثنوين في
بعض ، وظاهر كون بعضها ظرفاً وبعضها جاراً ومجروراً "^(٤) .

(١) في النحو العربي ١٤٠ .

(٢) حاشية الخصري على شرح ابن عقيل ٨٩/٢ .

(٣) كتاب سيبويه ١٢٣/١ وانظر المختص ٢٠٢/٣ .

(٤) شرح الرضي على الكافية ٧٣/٢ .

وذهب الكوفيون الى أنها افعال لدالاتها على الحدث والزمان ، وذهب ابن صابر الى انها قسم رابع زائد على اقسام الكلام الثلاثة سماه الخالفة (٥).

ومذهب الكوفيين بعيد في نحو (رويد خالداً) و (بله زيداً) و (النجاءك) ومكانك وعليك . فان رويد وبله مصدران معلومان يستعملان مصدرين نحو (رويد خالداً) و (بله محمد) يجر ما بعدهما .

ويستعملان اسمي فعل نحو (رويد خالداً) و (بله محمداً) بنصب ما بعدهما (٦) ، و (النجاءك) مصدر محلي بال ومكانك ظرف وعليه جار ومجرور . فجعل اسماء الافعال افعالاً فيه نظر .

وعلى أي حال لا اختلاف بين النحاة في انها تؤدي معاني الافعال سواء قلنا باسميتها أم بفعاليتها .

التنوين الداخلى عليها :

يدخل التنوين على قسم من هذه الالفاظ وذلك نحو صيد وايد واقت . وهذا التنوين عند الجمهور يفيد التنكير فإذا قلت (صه) بالتسكين كان امراً له بالسكوت عن حديث معين وإذا قلت (صه) بالتنوين كان امراً له بالسكوت عن كل حديث ، فيكون معنى (صه) السكوت و (صه) سكوتاً وهكذا (ايه) و (ايه) فان (ايه) بلا تنوين طلب الاستزادة من حديث معين و (ايه) طلب الاستزادة من أي حديث يشاء المتكلم . ومعنى (مه) بالتنوين انكفاً ومعنى (مه) بالتسكين الانكشاف .

قال سيوريه : " وزعم - أي الخليل - أن بعضهم قال (صه) ذلك ارادوا النكرة كأنهم قالوا سكوتاً " (٧)

(٥) مع المراجع ١٠٥/٢ .

(٦) شرح ابن النظم ٢٥٠ .

(٧) كتاب سيوريه ٥٣/٢ .

وجاء في (الأمالى الشجرية) : "وَمَنْ نَوَّنَهُ ارَادَ بِهِ التَّنْكِيرَ لَانِ تَنْوِينُ هَذَا الضَّرْبِ عِلْمٌ لِلتَّنْكِيرِ كَقَوْلِهِمْ فِي الْمُسْتَرَادَةِ مِنَ الْحَدِيثِ (إِبْرَاهِيمُ) إِذَا ارَادُوا حَدَّثَنِي حَدِيثًا مَا وَ (إِبْرَاهِيمُ) مِنْ حَدِيثٍ يَعْرِفُهُ الْمَحْدَّثُ وَالْمَحْدَّثُ وَمِثْلُهُ صَبَّ وَصَبَ وَمِثْلُهُ قَرَنَ قَرْنًا فَكَأَنَّ قَالًا : أَفْعَلُ سَكُوتًا وَكَفَاءً ، وَمَنْ لَمْ يَنْوِّنْ فَكَأَنَّهُ قَالَ أَفْعَلُ السَّكُوتِ وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَ (أَنْ) فَتَوَّنَ ارَادَ أَنْضَجَرَ نَضْجَرًا ، وَمَنْ لَمْ يَنْوِّنْ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ أَنْضَجَرَ التَّضْجِيرِ الْمَعْرُوفِ" (٨)

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : "وأما التَّنْوِينُ اللاحقة لبعض هذه الأسماء فعند الجمهور للتَّنْكِيرِ ... فَصَبَّ بِمَعْنَى سَكُوتًا وَإِبْرَاهِيمُ بِمَعْنَى زِيَادَةٍ فَيَكُونُ الْمَجْرَدُ مِنَ التَّنْوِينِ مِمَّا يَلْحَقُهُ التَّنْوِينُ كَالْمَعْرُوفِ ، فَفَعْنِي (صَبَّ) اسْكُتَ السَّكُوتُ الْمَعْرُوفُ الْمَعْنَى ، وَتَسْوِينُ الْمَصْدَرِ بِتَعْيِينٍ مُتَعَلِّقَةٍ أَيْ الْمَسْكُوتِ عَنْهُ ، أَيْ أَفْعَلُ السَّكُوتِ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْمَعْنَى فَجَازَ عَلَى هَذَا أَنْ لَا يَسْكُتَ الْخَاطِبُ عَنْ غَيْرِ الْحَدِيثِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ وَكَذَا (مِثْلُهُ) أَيْ كَفَّ عَنْ هَذَا الشَّيْءِ ، وَ (إِبْرَاهِيمُ) أَيْ هَاتِ الْحَدِيثَ الْمَعْرُوفَ ، فَالتَّعْرِيفُ فِي الْمَصْدَرِ رَاجِعٌ إِلَى تَعْرِيفِ مُتَعَلِّقِهِ . وَأَمَّا التَّنْكِيرُ فَكَأَنَّهُ لِلْإِبْهَامِ وَالتَّضْخِيمِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

أَلَا أَيُّهَا الطَّيْرُ الْمَرْبِيَةُ بِالْفَضْحَى عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعْتَ عَلَى لَحْمٍ
أَيْ لَحْمٍ وَأَيْ لَحْمٍ . فَكَأَنَّ مَعْنَى (صَبَّ) اسْكُتَ سَكُوتًا وَأَيْ سَكُوتَ أَيْ سَكُوتًا
بَلِيغًا أَيْ اسْكُتَ عَنْ كُلِّ كَلَامٍ" (٩)

وذهب ابن السكيت والجوهري إلى أن التَّنْوِينِ فِيمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهَا دَلِيلُ الْوَسْلِ
وَحَافِظُهُ دَلِيلُ الْقَطْعِ فَإِذَا وَصَلَتْ فِي الْكَلَامِ نَوَّنَتْ وَإِذَا وَقَعَتْ حَذَفَتْ فَتَنْوِلُ صَبَّ صَبَّ
بِتَنْوِينِ الْأَوَّلِ وَسَكُونِ الثَّانِي (١٠)

(٨) الأمالى الشجرية ٣٩١/١

(٩) شرح الرضي على الكافية ٧٧/٢

(١٠) شرح الرضي على الكافية ٧٧/٢

وذهب الرضي الى ان التنوين الداخِل عليها تنوين الحاق وتنوين مقابلة كما قيل في تنوين مسلمات. قال : ونستريح اذن بما نكلفناه لتوجيه التنوين (١١).

وقال الدكتور سليم النعيمي : "ولا نعتقد ان لديهم دليلا يبرهن مايقولون من أن (صه) بلا تنوين تدل على طلب السكوت عن حديث معين ، وان (صه) بالتنوين تدل على طلب السكوت عن كل حديث ، وان الذي يقول (اف) بغير تنوين يريد التضجر المعروف ومن يقول (اف) بالتنوين يريد تضجراً غير معروف.

بل الذي نراه ان (صه) بالتنوين ابلغ في الزجر وطلب السكوت من التي لم تنون لزيادة لفظها وكذلك الذي يقول (اف) بالتنوين فانه يعبر عن ضجر يبلغ في نفسه درجة يحتاج للترفيه عنها صوتاً أطول من صوت (اف) غير منوثة" (١٢).

وما ذهب اليه النحاة في التفريق بينها مقبول من ناحية مردود من ناحية وذلك ان التنوين هنا يفيد العموم والشمول فما نون يكون أعم واشمل مما لم ينون فاذا قلنا (صه) اردت السكوت التام المطبق وكذلك (ايه) فانه يراد به الحديث العام الشامل لان التنكير قد يفيد العموم نحو (عنده مال) و (هو ذو علم ومعرفة ونشاط وقوة).

اما قولهم ان (صه) معناه سكوتا و (صه) معناه السكوت وكذلك الباقي فهذا مردود ومغاير لتفسيرهم فان (السكوت) ليس معناه : اسكت عن حديث معين وانما هو تعريف للسكوت لا للمسكوت عنه أي اسكت السكوت المعهود. فقولك (افعل سكوتا) لا يفيد نصا ان المسكوت عنه عام ولا (افعل السكوت) يدل على ان المسكوت عنه خاص ، بل يصح أن يقال (سكوتا عن هذه المسألة) فيكون خاصا كما يصح ان يقال (السكوت عن كل حديث) فيكون عاماً.

ثم اننا لا نقول - كما يقولون - إن كل ما لم يدخله التنوين يكون معرفة فيكون نزال معرفة وهيئات معرفة اذ لا معنى لتعريف نزال وهيئات واشباهها وانما نقول فقط إن مداخله التنوين منها يفيد العموم والشمول بخلاف ما لم يدخله والله أعلم .

(١١) شرح الرضي على الكافية ٩٠/٢ - ٩١.

(١٢) اسم الفعل دراسة وطريقة تيسير - بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد السادس عشر

فائدتها

ان فائدة اسماء الافعال الدالة على الطلب هي المبالغة والتوكيد ، ف (صه) مثلا أكد وأبلغ في الزجر من (اسكت) ، و (مه) أكد وأبلغ من انكف ، و (حي) أكد وأبلغ من (أقبل) وذلك لانه يراد بها الحدث المجرد ، الا ترى انها لاتنصل بالضمائر صاحبة الحدث فلا يقال صها ولا صهوا كما يقال اسكت واسكتوا بل يقال بلفظ الافراد دوما وذلك اكتفاء بالحدث .

وبدل استعمالنا لها في اللغة الدارجة على ذلك ف (اص) أو (هص) مقلوب (صه) أبلغ في الزجر من اسكت وأشد . وقد نستعملها في المواقف التي تستوجب الصمت المطبق كأن يكون موقف رعب أو موقف يستدعي الصمت لسماح شيء مهم .

وكذلك (مكانك) ابلغ من (اثبت مكانك) و (عليك نفسك) ابلغ من (الزم عليك نفسك) لما فيه من الاختصار والسرعة .

وما كان بمعنى الخبر يفيد التعجب اضافة الى المبالغة والتوكيد وذلك نحو (هيات الامل) أي ما أبعد . قال تعالى ﴿ هيات هيات لما توعدون - المؤمنون ٣٧ ﴾ و (شتان زيد وخالد) أي ما أشد الافتراق بينهما . و (وي لخالد) أي ما أعجب امره .

واستعمالنا في الدارجة يؤكد هذا المعنى فنحن نقول (هيات) لما كان بعيدا جدا ، ونستعمل (وي) مكررة ومفردة للتعجب فنقول (وي وي) اذا كان ثمة امر يدعو الى العجب ونستعمل (اف) للتضجر الشديد .

قال ابن يعيش : " والغرض منها الايجاز والاختصار ونوع من المبالغة ... ووجه الاختصار فيها مجيئها للواحد والواحدة والتثنية والجمع بلفظ واحد وصورة واحدة . ألا ترى أنك تقول في الامر الواحد : صه يازيد ، صه يازيدان ، وفي الجماعة صه يازيدون ، وفي الواحدة : صه ياهند وصه ياهندان وصه ياهندات . ولو جئت بمسمى هذه اللفظة وهو اسكت واسكتا للاثنيين واسكتوا للجماعة واسكتي للواحدة المخاطبة واسكتن للجماعة المؤنث فتركهم اظهار علامة التانيث والتثنية والجمع ... دليل على ما قلناه من قصد الايجاز والاختصار .

وأما المبالغة فإن قولنا (صه) ابلغ في المعنى من اسكت وكذلك البواني^(١٣).
وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : "ومعاني اسماء الافعال امرا كانت أو غيره
ابلق وأكد من معاني الافعال التي يقال ان هذه الاسماء بمعناها.

٨١. الأصوات الضاربة مضاد ثم اسماء الافعال فلما تميز
في المنعول المطلق بها وجب حذف فعله قياسا.

وأما الظروف والجار والمجرور فلأن نحو امامك ودونك زيدا بنصب (زيدا) كان
في الاصل : امامك زيد ودونك زيد فحذفه فقد امكنك . فاختصر هذا الكلام
الطويل لغرض حصول الفراغ منه بالسرعة ليبادر المأمور الى الامتثال قبل أن يتباعد
عنه.

وكذا كان اصل (عليك زيدا) وجب عليك اخذ زيد ، و (اليك عني) أي ضم
رحلك وثقلك اليك واذهب عني . و (وراءك) أي تأخر وراءك فجرى في كلهما
الاختصار لغرض التأكيد.

وكل ما هو بمعنى الخير فبمعنى التعجب فعني هيهات أي ما أبعد وشتان أي
ما أشد الافتراق وسرعان ووشكان أي : ما أسرع . وبطآن أي ما أبطأه والتعجب هو
التأكيد المذكور^(١٤).

اقسامها

يقسم النخاعة اسماء الافعال الى مرتجلة ومثقولة .
فالمرتجلة ما وضع من اول الامر كذلك نحو (سبه وده ووي ورد وحي).
والمثقولة ما نقل عن ظرف أو جار ومجرور أو مصدر نحو (مكانك) بمعنى اثبت . و
(البك) بمعنى ابتعد ، و (رويدك) بمعنى أمهل^(١٥).

(١٣) شرح ابن يعيش ٢٥/٤.

(١٤) شرح الرضي على الكافية ٢/٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، وانظر الصحاح للجوهري ١/٣٦ - ٣٧ (بطآن).

(١٥) انظر التصريح ٢/١٩٧.

واسماء الأفعال على أقسام منها ما هو أصوات تشير إلى أحداث وذلك نحو (صه وهه)
واف (١٦) ووى وآه وآيه وبس). فهذه في الحقيقة أصوات تشير إلى أحداث معينة
فالمتكلم يصدر هذه الأصوات بمرزها إلى حدث متعارف عليه.

وسب ما هو صرف وجار وجزور كان في الأصل يستعمل مع متعلق أو يجر من
جسلة وبكثرة الاستعمال حذف متعلقه أو الجزء الآخر وأصبح الاكتفاء به بديل على
معنى معين وذلك المعنى هو معنى الفعل.

جاء في (شرح الرضي على الكافية): "وأما الظروف والجار فلأن نحو أمامك
ودونك زيدا بنصب زيدا كان في الأصل: أمامك زيدا ودونك زيدا فحذفه فقد
امكنك، فاختصر هذا الكلام التطويل لغرض حصول الفراغ منه بالسرعة ليبادر
المأمور إلى الامتثال قبل أن يتباعد عنه.

وكذا كان أصل (عليك زيدا) وجب عليك اخذ زيدا، واليك عني أي ضم
رحلك وثقلك اليك واذهب عني، ووراءك أي تأخر وراءك فجري في كلها الاختصار
لغرض التأكيد" (١٧).

ومنها ماله مادة لغوية معلومة سواء كانت مصدرا أم غيره، فالمصدر نحو (رويد)
تصغير (إرواد) تصغير ترخيم ومعناه الإهمال، ونحو (حذوك) بمعنى التحذر و (باه)
بمعنى دح، و (النجاهك) بمعنى النج، و (فرطك) بمعنى تقدم.

وغير المصدر نحو (بطآن) من البطء و (سرعان) من السرعة و (شنان) من
الشنّ وهو التفرق والتباعد.

وقسم منها مختلف في أصله ومادته أو مجهول وذلك نحو (هبت وهام وآمير
وهيبات) (١٨)، وأياً كان الأصل فهي تؤدي معاني معلومة.

(١٦) جاء في (منهجات الراغب الأصفهاني) ص ١٩ أن "أصل الألف كل مستفاد من وسع وقلامه فله
وما يجري مجراها. ويقال ذلك لكل مستفاد استقلالية له نحو (أف لكم ولا تعبدون من دون الله).

وقد افقت لكلاً إذا قلت ذلك استقاراً له ومنه قبل للتصغير من استقار شيء أف فلان".
(١٧) شرح الرضي ٢ / ٧٩.

(١٨) جاء في رسالة (اسماء الأفعال والأصوات - دراسة نقد) لعبد الحمادي الفضلي أن أصل (آمين).

(هبت) سريانية وعبرانية، و (هبت) قبطية ص ١٩٨.

فَعَالٍ

بصاغ من الفعل الثلاثي على وزن (فَعَالٍ) بفتح الفاء وكسر اللام قياسا عند بعضهم وسماعا عند بعضهم^(١٩) لقصد الامر نحو (سماع) بمعنى اسمع و (كتاب) بمعنى اكتب و (حفاظ) بمعنى احفظ و (حذار) بمعنى احذر.

وهذه الصيغة يراد بها التوكيد والمبالغة^(٢٠) ف (سماع) أكد من اسمع و (حذار) أكد وبلغ في الامر من احذر. يدل ذلك على ذلك أن هذه الصيغة تدل على المبالغة عموما في اسم الفعل او في غيره نحو (ياخباث) و (يافساق) ونحو (خلاق) للمنية و (أزام) للسنة و (صرام) للحرب وغيرها.

والخلاف في هذه الصيغة في كونها فعلا أو اسما هو الخلاف في عموم اسماء الافعال، وعلى أية حال فدلالتها معلومة سواء قلنا هي اسم أم فعل. وعلى هذا يكون للامر أربع صيغ:

- ١ - فعل الامر نحو اذهب وقم.
 - ٢ - الفعل المضارع المتصل بلام الامر نحو ليقيم وليذهب.
 - ٣ - اسماء الافعال سواء ما كان منها قياسيا وهو ما كان على وزن (فعال) بفتح الفاء وكسر اللام، أم ما كان منسوعا نحو صمه ومه وحني وهي كلها تفيد المبالغة والتأكيد^(٢١).
 - ٤ - المصدر التائب عن فعل الامر نحو صبرا واقداما وهو يفيد المبالغة ايضا.
- وقد يفيد الخبر الدلالة على الامر كما مر في قوله تعالى ﴿والوالدات يرضعن اولادهن - البقرة ٢٢٣﴾ أي ليرضعن اولادهن.

(١٩) انظر شرح الرضي على الكافية ٨٥ / ٢، التصريح ١٩٦ / ٢.

(٢٠) انظر شرح الرضي على الكافية ٨٥ / ٢، شرح ابن يعيش ٥٠ / ٤، المحقق ٦٥ / ١٧ - ٦٦.

(٢١) انظر بحث (اسم الفعل - دراسة وطريقة تبين للدكتور سلم النعيمي، مجلة الجمع العلمي العراقي ٨٩.

اسماء الاصوات

اسماء الاصوات هي كل لفظ حُكي به صوت أو صَوّت به للبهائم ولما لا يعقل
عموماً ، فالاول نحو (قب) حكاية وقع السيف و (طق) لوقع الحجارة ، والثاني كـ
(عدس) لزجر البغل و (هيد) لزجر الابل^(١) .
وهي كما نرى ممّا مرّ على قسمين :

الاول : حكاية صوت صادر عن الحيوانات او عن الانسان أو عن الجمادات
وشرطها ان تكون مشابهة للمحكي فن ذلك (غاق) حكاية صوت الغراب و (ملاء)
صوت الظبية اذا دعت ولدها و (طبخ) حكاية صوت الضاحك و (عيط) حكاية
صوت الفتيان اذا تصايحوا في اللعب ، و (طق) حكاية صوت وقع الحجارة بعضها
على بعض و (قب) لوقع السيف و (قاش ماش) للقماش كأنه سمي باسم صوته^(٢) ،
ونحوه (طب) حكاية لوقع الكرة على الارض و (دُم) حكاية صوت الطبل و (قيق)
حكاية صوت الدجاجة .

الثاني : اصوات يصوّت بها للحيوانات عند طلب شيء منها اما الهجي واما الزجر
نحو (عاه) و (هاب) لزجر الابل و (عوه) و (عه) للضأن والجدحش . أو لامر آخر
كالشرب والتسكين والامر بالسير وذلك كـ (سأ) للشرب و (هدع) للتسكين^(٣) .
وعندنا في عامية اهل العراق (هوش) لتسكين الحمار و (ده) لامرّه بالسير .

وأصلها "ان الشخص كان يقصد انقياد بعض الحيوانات لشيء من هذه
الافعال فيصوت لها اما بصوت غير مركب من الحروف كالصفير للذابة عند ابرادها
الماء وغير ذلك ، واما بصوت معيّن مركب من حروف معينة لامتني نخته ثم يحرضه
مقارنا لذلك التصويت على ذلك الامر . اما بصره وتأديبه واما بابناسه واطعامه ...

(١) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٨٩ ، شرح الالفية لابن الناطم ٢٥١ .

(٢) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٨٩ ، ٩١ ، شرح الالفية لابن الناطم ٢٥١ ، كتاب سيره

٦٣ / ٢ .

(٣) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٨٩ ، ٩٢ ، شرح ابن الناطم ٢٥١ .

فلما كان الأفعال المطلوبة من الحيوانات مختلفة أرادوا اختلاف العلامات الدالة عليها^(٤) .

وذكر الرضي من أسماء الأصوات قسماً ثالثاً وهي الأصوات الخارجة عن فم الإنسان "غير موضوعة وضعا بل دالة طبعاً على معان في أنفسهم كـ (أف) و (نف) فإن المتكررة لشيء يخرج من صدره صوتاً شبيهاً بلفظ (أف) ومن مستكره يصدر منه صوت شبيه بـ (نف) .

وكذلك (آه) للمتوجع أو المتعجب فهذه أصوات صادرة منهم طبعاً كـ (أح) لذي السعال إلا أنهم لما ضمنوها كلامهم لاحتياجهم إليها نسقوها نسق كلامهم وحركوها تحريكه وجعلوها لغات مختلفة كما مر من لغات (أف) و (أوه)^(٥) .

التنوين الداخل عليها :

ذهب الجمهور إلى أن التنوين الداخل عليها تنوين تكبير فها نون منها نكرة وما لم ينون معرفة .

جاء في (الكتاب) : "وزعم الخليل أن الذين يقولون غاق غاق وعاء وعاء فلا ينون فيها ولا في أشباهها أنها معرفة وكأنك قلت في عاء وعاء الانباج وكأنه قال الغراب هذا النحو، وأن الذين قالوا عاء وعاء جعلوها نكرة"^(٦) .

وجاء في (شرح ابن يعيش) : "وكذلك إذا قلت في حكاية صوت الغراب (غاق غاق) إذا نونت كان نكرة ومعناه بعداً بعداً أو فراقاً فراقاً لأن صوت الغراب يؤذن بالفراق عندهم، ولذلك سموه غراب البين، وكانهم فهموا ذلك من لفظه إذ كان الغراب من الغربة والاعتراب، وإذا أريد به المعرفة ترك منه التنوين نحو غاق غاق"^(٧) .

(٤) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٨٩ - ٩٠ .

(٥) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٨٩ .

(٦) كتاب سيوريه ٢ / ٥٣ ، وانظر المقتضب ٣ / ١٨٠ .

وقال الرضي ان التنوين الداخل عليها تنوين الحاق ومقابلة . قال في شرحه على الكافية : " والتنوين فيما دخلته تنوين الحاق ومقابلة كما قيل في تنوين (مسلمات) وليس ما قاله بعضهم من أن تنوين غاق للتنكير بشيء اذ لا معنى للتعريف والتنكير فيه " (٨)

ولعل التنوين الداخل عليها للوصل فاذا وقف قطع نحو قولك غاق غاق وعاء حاء والله اعلم .

(٨) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٩٠ .

الاساليب

الشرط

معنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غيره ^(١) أي أن يتوقف الثاني على الأول ^(٢).
فإذا وقع الأول وقع الثاني وذلك نحو (ان زرتني اكرمتك) فالأكرام متوقف على
الزيارة ، ونحو قوله تعالى : ﴿فان قاتلوكم فاقتلوهم - البقرة ١٩١﴾ وقوله : ﴿فان
أحضرتم فاستيسروا من الهدى - البقرة ١٩٦﴾ وقوله : ﴿فان طلقها فلا تحمل له من
بعد حتى تنكح زوجا غيره - البقرة ٢٣٠﴾ وقوله : ﴿وان كان ذو عسرة فنظرة الى
ميسرة - البقرة ٢٨﴾.

هذا هو الاصل وقد يخرج الشرط عن ذلك فلا يكون الثاني مسببا عن الأول ولا
متوقفا عليه ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو
تتركه يلهث - الاعراف ١٧٦﴾ فلهث الكلب ليس متوقفا على الحمل عليه او تركه
فهو يلهث على كل حال ، وانما ذكر صفة فقط . ونحو قوله : ﴿فان تولوا فان الله
لا يحب الكافرين - آل عمران ٣٢﴾ ، والله لا يحب الكافرين سواء تولوا أم آمنوا
فليس الثاني مشروطا بالأول ولا مسببا عنه . ونحو قوله تعالى ﴿فان كرهتموهن فعسى أن
تكروهن شيئا ويجعل الله فيد خيرا كثيرا - النساء ١٩﴾ وقوله ﴿قل يا أيها الناس ان
كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله - يونس ١٠٤﴾ فهو
لا يعبد غير الله سواء شكوا أم آمنوا . وقوله ﴿ان تحرس على مذهبكم فان الله لا يهدي
من يضل - النحل ٣٧﴾ ، وقوله ﴿ان تدعوهم لا يسعوا دعاءكم ولو سمعوا ما
استجابوا لكم - فاطر ١٤﴾ فهم لا يسعون الدعاء سواء دعوهم أم لم يدعوهم ،
وقوله ﴿فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعبدوا فما هم من المعتبين - فصلت
٢٤﴾ والنار مثواهم صبروا أم لم يصبروا ، وقوله : ﴿قل من كان عدوا لجبريل فانه
نزل على قلبك - البقرة ٩٧﴾ وهو قد أنزل على قلبه سواء عادوه أم والوه . وقوله :
﴿وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما - النساء ١٢٧﴾ وهو عليم بالأفعال ففعلوا
خيرا أو شرا .

(١) المقتضب ٢ / ٤٦ .

(٢) البرهان ٢ / ٣٥٤ .

فليس الشرط على هذا من باب السبب والمسبب دوماً وإنما الأصل فيه أن يكون ذلك.

جاء في (شرح الرضي على الكافية): "قد لا يكون مضمون الشرط والجزاء متعقباً لمضمون الشرط بل يكون مقارناً له في الزمان نحو: إن كان هناك نار كان احتراقاً" و(إن كان احتراقاً فهناك نار) و(إن كان الإنسان ناطقاً فالخمار ناهق) لكن التعقب المذكور هو الأغلب^(٣).

وجاء في (حاشية الصبان): "الجزاء قسبان: أحدهما أن يكون مضمونه مسبباً عن مضمون الشرط نحو: (إن جئتني أكرمتك).

والثاني: أن لا يكون مضمون الجزء مسبباً عن مضمون الشرط وإنما يكون الإخبار به مسبباً نحو: (إن تكرمني فقد أكرمتك أمس) والمعنى أن اعتدلت عليّ بأكرامك إيتائي فأنا أيضاً أعتد عليك بأكرامي إيتاك^(٤).

وجاء في (البرهان): "وقال صاحب المستوفي: أعلم أن المجازة لا يجب فيها أن يكون الجزء موقوفاً على الشرط أبداً، ولا أن يكون الشرط موقوفاً على الجزء أبداً بحيث يمكن وجوده، ولا أن تكون نسبة الشرط دائماً إلى الجزء نسبة السبب إلى المسبب. بل الواجب فيها أن يكون الشرط بحيث إذا فرض حاصله لزم مع حصوله حصول الجزء سواء كان الجزء قد يقع لا من جهة وقوع الشرط كقول الطبيب: (من استحم بالماء البارد احتفنت الحرارة باطن جسده) لأن احتقان الحرارة قد يكون لا عن ذلك، أو لم يكن كذلك كقولك: (إن كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً).

وسواء كان الشرط ممكناً في نفسه كالأمثلة السابقة أو مستحيلاً كما في قوله تعالى ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾^(٥).

(٣) شرح الرضي على الكافية ٢٧٢ / ١.

(٤) حاشية الصبان ٢٢ / ٤.

(٥) الزخرف ٨١.

وسواء كان الشرط سببا في الجزاء ووصلته اليه كقوله تعالى : ﴿وَأَن تَوَدُّواْ وَيَقُولُواْ لَّنَا آيَةٌ مِّنْ رَبِّنَا أَنِ اسْقِنا مِن مَّاءٍ بَاطِنِ الْفُجَارِ﴾ (١) ، أو كان الأمر بالعكس كقوله تعالى : ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَنَّ اللَّهَ﴾ (٢) ، أو كان لا هذا ولا ذلك فلا يقع إلا مجرد الدلالة على اقتران أحدهما بالآخر كقوله تعالى : ﴿وَأَن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُواْ إِذْ أَبَدًا﴾ (٣) ، إذ لا يجوز أن تكون الدعوة سببا للضلال ومفضية اليه ولا أن يكون الضلال مفضيا إلى الدعوة (٤) .

فاتضح بهذا أن الشرط والجواب ليسا دائما بمنزلة السبب والمسبب ولا ارتباطهما بهذه المنزلة دوما .

فعل الشرط

يقع فعل الشرط ماضيا ومضارعا نحو قوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ - إبراهيم ١٩ ، وقوله : ﴿وَأَن عَدْنَمْ عَدْنًا﴾ - الإسراء ٨ .

قالوا والماضي يفيد الاستقبال في الشرط نحو قوله تعالى : ﴿فَإِن قَاتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ - البقرة ١٩١ ونحو : (إِن زَرْنِي أَكْرَمْتِكَ) والمقصود أن ترزني .

ومن المعلوم أن الفعل الماضي يخرج إلى الاستقبال في غير باب الشرط كما أسلفنا في باب الفعل كما يخرج المضارع إلى الماضي ، فإنه قد يؤتى بالماضي مرادا به الاستقبال وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وَنَفْخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ - الزمر ٦٨ وقوله ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ - الزمر ٧٣ .

وقد يؤتى بالفعل المضارع مرادا به الماضي نحو قوله : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَسْقِيهِ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ - فاطر ٩ وقوله : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مَلِكٍ سَلِيمٍ﴾ - البقرة ١٠٢ أي ماتلت .

(٦) محمد ٣٦ .

(٧) النساء ٧٩ .

(٨) الكهف ٥٧ .

(٩) البرهان ٢ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .

ومن المعلوم ان الفعل المضارع المسبوق بـ (لم) و (لما) يفيد الماضي، فخرج الفعل من باب الى باب آخر غير منكور في اللغة.

وهو في الشرط كذلك فان الماضي في الشرط يفيد الاستقبال كثيرا.

واستعمال الفعل الماضي في الشرط للدلالة على المستقبل ليس مختصا بالعربية وحدها بل هو كثير في اللغات السامية ايضا كالاكدية والعبرية والحيشية. واكثر اللغات السامية تستعمل الماضي في الشرط والحاضر او المستقبل في الجزاء^(١٠) غير ان العربية تستعمل الماضي والمضارع للشرط والجواب.

وقد ذهب النحاة الى ان القصد من مجيء الشرط ماضيا وان كان معناه الاستقبال هو ازالة غير المتيقن منزلة المتيقن وغير الواقع منزلة الواقع وهذا ما فسروا به التعبير عن الاحداث المستقبلية بافعال ماضية في غير الشرط ايضا نحو قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور﴾ وقوله: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا﴾ - الكهف ٤٧. قالوا جئ بهذه الافعال على صيغة الماضي وان كانت مستقبلية للدلالة على انها متيقنة الحصول وانما بمنزلة الفعل الماضي في التحقق.

فهو تفسير عام للتعبير عن الاحداث المستقبلية بافعال ماضية.

جاء في (الخصائص): "وتلك قولهم (ان قت قت) فيجي بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع وذلك انه اراد الاحتياط للمعنى فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه حتى كان هذا قد وقع واستقر لا انه متوقع متروك. وهذا تفسير ابي علي عن ابي بكر وما احسنه"^(١١).

قالوا وقد يكون ذلك لاسباب اخرى كالتفاوت أو "لاظهار الرغبة في وقوعه بعد (ان ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام) فان الطالب اذا تبالغت رغبته في حصول امر يكثر تصوره اياه فرمما يخيل اليه حاصلا"^(١٢).

(١٠) انظر التطور النحوي ١٣٣.

(١١) الخصائص ٣/ ١٠٥ وانظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٢٩٣.

(١٢) الايضاح القزويني ٩٣ وانظر البرهان ٢/ ٣٥٨، مختصر المعاني للفتاوالي ٦٣.

او يكون للتعريض " بأن يخاطب واحدا ومراده غيره كقوله تعالى : ﴿لئن اشركت
ليحبطن عملك﴾ [الزمر ٦٥] .. (١٣)

وذهب الدكتور مصطفى جواد الى ان الفعل اذا كثر عبر عنه بالمضي بخلاف ما لم
يكثر، قال : " ان الفعل المعبر عنه بلفظ الشرط اذا كثر حدوثه استعمل الماضي واد
قل حدوثه استعمل المضارع ، فالماضي أولى بالكثير لانه كالحادث ، والمضارع أولى
بالقليل لانه لم يحدث . فهما متشابهان . تقول (من صبر ظفري) و (من سار وصل) ، و
(من جد وجد) و (من يكذب منكهم يعاقب) و (من يفعل كذا وكذا اكافئه مكافأة
حسنة) و (من يخالف منهم يطرد) و (ان تكن وزيرا تكن كبيرا) ورغبة القائل
كالكثرة .. (١٤)

ويبدو ان استعمال الشرط بصيغة الماضي أو المضارع قد يكون لغير ذلك .
١ - فان التعبير بالفعل الماضي قد يفيد افتراض حصول الحدث مرة في حين ان
المضارع قد يفيد افتراض تكرار الحدث وتجده . قال تعالى : ﴿ان تبدأوا الصداقات
فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - البقرة ٢٧١﴾ . فجاء بالفعل
المضارع وذلك لان هذه الاحداث تتكرر وتتجدد .

وقال : ﴿فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا
جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله - البقرة ٢٣٠﴾ .

فجاء بالفعل الماضي وذلك لان الطلاق لا يتكرر تكرار الصداقات . وقال :
﴿لا جناح عليكم ان طلقتم النساء - البقرة ٢٣٦﴾ .
وقال : ﴿وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن - البقرة ٢٣٧﴾ لما ذكرت

وقال تعالى : ﴿ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد -
لقمان ١٢﴾ فجاء بـ (يشكر) بصيغة المضارع و (كفر) بصيغة المضي ، وذلك لان
الشكر يتجدد ويكثر وليس كذلك الكفر ، فان الكفر يحصل ابتداء ويبقى صاحبه
عليه الا اذا شاء الله . فالشكر عمل يومي متجدد بخلاف الكفر الذي هو الاعتقاد .

(١٣) البرهان ٢ / ٣٥٨ وانظر الايضاح ٩٣ .

(١٤) المباحث اللغوية في العراق ٤٨ .

جاء في (تفسير الرازي) في هذه الآية : "قال في الشكر (ومن يشكر بصيغة المستقبل وفي الكفران (ومن كفر فان الله غني) ، وإن كان الشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد كقول القائل : من دخل داري فهو حر ، ومن يدخل داري فهو حر . فنقول فيه إشارة الى معنى وإرشاد الى امر وهو ان الشكر ينبغي أن يتكرر في كل وقت لتكرر النعمة ، فمن شكر ينبغي أن يكرر ، والكفر ينبغي أن ينقطع . فمن كفر ينبغي ان يترك الكفران ، ولأن الشكر من الشاكر لا يقع بكامله . بل ابدأ يكون منه شيء في العدم يريد الشاكر ادخاله في الوجود كما قال : ﴿رب اوزعني أن اشكر نعمتك﴾ (١٥) وكما قال : ﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (١٦) فإشارته الى بصيغة المستقبل تنبئنا على ان الشكر بكامله لا يوجد . وأما الكفران فكل جزء يقع منه تام فقال بصيغة الماضي (١٧) .

وقال تعالى : ﴿وما أنفقتم من نفقة أو ندرتم من نذر فان الله يعلمه - البقرة ٢٧٠﴾ .

وقال : ﴿وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم البقرة ٢٧٢﴾ .
 وقال : ﴿وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون البقرة ٢٧٢﴾ .
 وقال : ﴿وما تنفقوا من خير فان الله به عليم - البقرة ٢٧٣﴾ .
 فانه جاء في الآية الاولى بالفعل الماضي (وما أنفقتم ...)

والآيات الاخرى بالمضارع وذلك لان الآية الاولى اخبار بأن ما فعله أو نذره فقد علمه الله . أي ما حصل منك فقد علمه الله .

أما الآيات الاخرى . فتفيد الاستمرار والتكرار بذلك على ذلك انه عطف النذر على النفقة في الآية الاولى وهو لا يتكرر تكرار النفقات .

وقال : ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون البقرة ١١٢﴾ .
 وقال : ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا - الجن ١٤﴾ .

(١٥) النحل ١٩ .

(١٦) النحل ١٨ .

(١٧) التفسير الكبير ٢٥ / ١٤٥ .

وقال : ﴿ومن يُسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى - لقمان ٢٢﴾ .

فقد جاء في الآيتين الاوليين بالفعل الماضي (اسلم) والاخيرة بالمضارع (يسلم) وذلك لان (اسلم) في الآيتين الاوليين معناه الدخول في الاسلام بذلك على ذلك في الآية الاولى موازته باليهودية والنصرانية . قال تعالى قبل هذه الآية : ﴿وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك امانيهم - البقرة ١١١﴾ فرد عليهم الله بقوله (بلى من اسلم وجهه لله ...) أى بلى يدخل الجنة المسلم ، وكذلك الآية الثانية .

في حين ان قوله ﴿ومن يسلم وجهه الى الله...﴾ معناه الخضوع والانقياد لله وهو عمل يومي يفيد الاستمرار والتجدد بخلاف الآيتين الاوليين اللتين معناهما الدخول في الاسلام .

وقال تعالى : ﴿ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة - النساء ٩٢﴾ وقال : ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها - النساء ٩٣﴾ .

فجاء في القتل الخطأ بالفعل الماضي لانه خطأ لا يتكرر وهو قليل بخلاف القتل العمد وهو الاصرار على قتل المؤمن . فقد جاء به بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والتجدد لانه يتكرر وقوعه .

وقال تعالى : ﴿ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً - الاسراء ١٩﴾ .

وقال : ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها - آل عمران ١٤٥﴾ .

وذلك لان ارادة الآخرة أمر واحد فجاء بالفعل الماضي بخلاف (ارادة الثواب) ، فان ارادة الثواب تتجدد لان الثواب يتجدد بخلاف الآخرة فانها واحدة . وهذا السر في انه قال (ومن اراد الآخرة) بالفعل الماضي لكنه قال (ومن يرد ثواب الآخرة) بالمضارع .

وكذلك بالنسبة الى الدنيا . فارادة الثواب مستمرة متجددة فكل عمل له ثواب .
وقال : ﴿ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين —

التوبة ١١ ﴾ .

وقال فيمن يفعل الزنى - ﴿ فان تابا وأصلحا فأعرضا عنها — النساء ١٦ ﴾ .
فجاء بالآيتين بالفعل الماضي لان المقصود بالتوبة هي التوبة العامة فالتوبة الاولى
معناها الدخول في الاسلام والثانية معناها الانحلاع عن الفاحشة .

في حين قال : ﴿ إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما — التحريم ٤ ﴾ ، والكلام
موجه الى زوجي النبي (ﷺ) والمقصود بالتوبة هنا التوبة الجزئية المعارضة التي يتكرر
امثالها من الوقوع في اللطم والصغائر .

وقال : ﴿ وان تعودوا تعدد — الانفال ١٩ ﴾ .

وقال : ﴿ وان عدتم عدنا — الاسراء ٨ ﴾ .

فجاء في الآية الاولى بالمضارع (تعودوا) وفي الآية الثانية بالماضي (عدتم) وذلك
ان الآية الاولى نزلت بعد معركة بدر في كفار قريش وهو تهديد للمشركين واشعار
للمؤمنين بأن المشركين سيكررون العودة الى القتال وهو ما حصل ، واخبرهم بأن الله
سيعود الى نصر المؤمنين ومحق باطل الكافرين .

واما الآية الثانية ففي بني اسرائيل وقد ذكر انهم يفسدون في الارض مرتين فأخبر
بأن لهم عودة بعد تلك المرة .

فجاء بالمضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد بخلاف الثانية .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين . فان
لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكنم رؤوس اموالكم لا تظلمون
ولا تظلمون — البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩ ﴾ .

فجاء بالشرط ماضياً (فان لم تفعلوا) و (ان تبتم) وذلك لانه خروج عن الربا
والخروج عنه يكون دفعة واحدة في حين قال :

﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم — التوبة ٣٩ ﴾ فجاء
الشرط مضارعاً (الآن تنفروا) وذلك لانه في الجهاد وهو ماض الى يوم القيامة يتكرر

حصوله ، فجاء في الربا بالفعل الماضي (فان لم تفعلوا) وذلك لان لم والمضارع يفيدان الماضي ، وجاء في الجهاد بالفعل المضارع .

ونحوه قوله تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون لنتن الله الذين كفروا منهم عذاب اليم﴾ المائدة ٧٣ .

وذلك لان الانتهاء هنا دفعه واحدة لكنه قال في الجهاد والتناصر بين المؤمنين ﴿الا تفعلوه تكن فتنه في الارض وفساد كبير﴾ الانفال ٧٣ .

فلما كان التناصر مستمرا متجددا جعله بصيغة المضارع بخلاف ما قبله .

وقال : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير﴾ الانفال ١٩ .

وقال : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين﴾ البقرة ١٩٣ .

فجاء بالفعل الماضي في الآيتين (فان انتهوا) وذلك لان القصد هنا الانتهاء الكامل عن الحرب والدخول في الاسلام بدليل قوله (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وذلك يكون بالانتهاء الكامل والكف التام عن القتال لكنه قال : ﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنهوا فهو خير لكم وان تعودوا نجوا﴾ الانفال ١٩ .

فقال (ان تنهوا) بخلاف الآيتين السابقتين وذلك لان الانتهاء هنا ليس انتهاء تاما بل قد تنكرر الحروب بينها بعد . كما حصل فعلا . فجاء بالمضارع للدلالة على التجدد . وهذه الآية نزلت بعد وقعة بدر .

وقال : ﴿ان سألته عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾ الكهف ٧٦ . لان يحصل الفراق بعد سؤال واحد .

وقال : ﴿ان يسألكموها فيحلفنكم نخلوا ويخرج اضياعكم﴾ محمد ٣٧ . وهذا في سؤال الاموال وهو يتجدد بتجديدها فجاء في المتجدد بالفعل المضارع وفي غيره بالفعل الماضي والله اعلم .

٢- وقد يؤتى بالفعل الماضي مع الشرط للدلالة على وقوع الحدث جملة واحدة وان كان مستقبلا ، ويؤتى بالمضارع لما كان يتقضى ويتصرم شيئا فشيئا . أي مستمرا

وذلك نحو قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَاِستَيسِرْ مِنْ الْهَدْيِ — البقرة ١٩٦﴾ أي إذا حصل هذا ولذا عبّر عنه بالماضي ، بخلاف قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ اَصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ اِنْ تَخَالَطَوْهُمْ فَاَوْحُوا نَكَم — البقرة ٢٢٠﴾ وذلك ان المخالطة مستمرة متطاولة ليست كالا حصار فعبر عنها بالمضارع .

ونحو قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا اِنْ نَسِينَا اَوْ اِطْغَانَا — البقرة ٢٨٦﴾ أي لا تؤاخذنا اذا حصل منا نسيان أو خطأ أي وقع .

وقوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا اَوْ رُكْبَانًا فَاِذَا اٰمَنْتُمْ — البقرة ٢٣٩﴾ فان معناه اذا وقع الخوف او اذا حصل الامن بخلاف قوله تعالى : ﴿وَاَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً — الانفال ٥٨﴾ فان فيه معنى الاستمرار والتجسس بخلاف ما قبلها . ونحو قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ اِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ اِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ — الكهف ١٧﴾ .

فالطلع والغروب يقعان جملة واحدة فعبر عنها بالماضي بخلاف قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلَ اِذَا يَسِرُ — النجم ٤﴾ فانه يفيد الاستمرار والتطاؤل .

ونحو قوله تعالى : ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّعَمُ الدَّعَاءَ اِذَا مَا يُنَادُّونَ — الانبياء ٤٥﴾ أي وان تطاول عليهم الانذار وتكرر واستمر ، بخلاف قوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصَّعَمُ الدَّعَاءَ اِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ — النمل ٨٠﴾ أي اذا ادبروا عنك .

وقال : ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا — النحل ١٨﴾ ولا يحسن في هذا (ان تعددتم) وذلك لان هذا الفعل لا يفرغ منه لان نعم الله كثيرة فجاء فيه بالفعل المضارع لانه متطاؤل .

وقال : ﴿وَالَّذِينَ اِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً اَوْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ — عمران ١٣٦﴾ اي اذا صدر منهم هذا الامر . ولا يحسن (اذا يفعلون فاحشة) لان فيه معنى الاستمرار وعدم الانتهاء بعد من الفاحشة فيكون المعنى انهم يذكرون الله حين يفعلون ذلك .

فإذا أردت انقضاء الحدث وتماحه جئت بالفعل الماضي. وإن كان الحدث مستقبلا وإن لم تقصد ذلك جئت بالمضارع.

٣- ويكثر التعبير بالفعل الماضي عن الحكم الثابت القائم على المشاهدة والتجربة الماضية وهو ما يكون في الحكم ونحوها نحو (من تهور ندم ومن حذر سلم) ونحو (من صبر ظفر) و (من رام العلا سهر الليالي) و (من خاف ادلج) بخلاف ما لم يكن كذلك نحو (من يعمل يأكل) فهذه قاعدة نضعها للمستقبل ، فلا يحسن فيها (من عمل أكل).

ويمكن رجوع هذه الى النقطة السابقة.

٤- وقد يؤتى بالشرط ماضيا للدلالة على الزمن الماضي نحو (إن كنت ضربته فأخبرني) و (إن كنت عصيت ربك فنب) و (إن كنت رأيت قبل هذه المرة فلا شك في أنك ستعرفه الآن). وهو امر ينكره جمهور النحاة.

هل يأتي الشرط للمضي :

ذهب النحاة الى أن الشرط يفيد الاستقبال وإن كان فعله ماضيا. فإن هذه الادوات تطلب الماضي الى الاستقبال^(١٨) ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم — البقرة ١٩١﴾ وقوله : ﴿فإن مات أو قُتل انقلبتم على اعقابكم — آل عمران ١٤٤﴾ ولا يفيد الشرط المضي ، وما ورد من ذلك مؤول.

والصواب ان الشرط قد يأتي للمضي ، يدل على ذلك الاستعمال الفصيح بما لا يقبل التأويل.

فقد يأتي الشرط للدلالة على المضي وذلك اذا كان بلفظ (كان) بعدها فعل ماض نحو قوله تعالى : ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته — المائدة ١١٦﴾.

(١٨) انظر التصريح ٢/٢٤٩ ، حاشية الخصري ٢/١٢٢ ، حاشية الصبان ٤/١٦.

والمعنى أنك تعلم ذلك إذا كان قد صدر مني . والنحاة يقولون ذلك على أنه : إن ثبت أني كنت قلته أو إن ثبت في المستقبل أنني كنت قلته في الماضي فأنا أعلم أنك علمته (١٩) .

وهو تأول بعيد فكيف يقول لربه إن ثبت في المستقبل وهو في خطاب الله عز وجل ، وهل الله جاهل ذلك وقت الخطاب حتى يثبت له في المستقبل ؟

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إن كان قبضه قَدَّ من دبر فكذبت — يوسف ٢٧ ﴾ والنحاة يتأولون ذلك كما أسلفنا .

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "ثم اعلم أن (إن) يكون شرطها في الأغلب مستقبل المعنى فإن أردت معنى الماضي جعلت الشرط لفظ (كان) كقوله تعالى : ﴿ إن كنت قلته ﴾ و ﴿ وإن كان قبضه ﴾ ...

ثم إن (كان) إذا كان شرطاً قد يكون بمعنى فرض الوقوع في الماضي نحو ﴿ إن كنت قلته ﴾ و ﴿ وإن كان قبضه ﴾ وقد يكون متحقق الوقوع فيه نحو : زيد وإن كان غنياً إلا أنه بخيل (٢٠) .

وجاء في (بدائع الفوائد) : "قال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام (إن كنت قلته فقد علمته) فهذا شرط دخل على ماضي اللفظ وهو ماضي المعنى قطعاً لأن المسيح إما أن يكون صدر هذا الكلام منه بعد رفعه إلى السماء أو يكون حكاية ما يقوله يوم القيامة ، وعلى التقديرين فإنما تعلق الشرط وجزاؤه بالماضي ...

وليت شعري ما يصنعون بقول النبي (ﷺ) : (إن كنت الممت بذنبي فاستغفري الله وتوبني إليه) هل يقول عاقل إن الشرط هنا مستقبل ؟

وأنه لم يقصد أنه إن ثبت في المستقبل أنك اذنبت في الماضي فتوبني ولا قصد هذا المعنى وإنما المقصود المراد ما دل عليه الكلام : إن كان صدر منك ذنب فيما مضى فاستقبله بالتوبة (٢١) .

(١٩) انظر التصريح ٢ / ٢٤٩ ، حاشية الخضري ٢ / ١٢٢ ، حاشية الصبان ٤ / ١٦ .

(٢٠) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٩٣ وانظر الكليات ٧٨ .

(٢١) بدائع الفوائد ١ / ٤٥ .

وهذا هو الحق . قال تعالى : ﴿وَأَنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ
تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بَأْيَةٌ — الْأَنْعَامُ ٥٥﴾ .
فهل المعنى : أن يثبت أنه كبر عليك اعراضهم ؟

ونحوه قوله : ﴿يَا قَوْمِ أَنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْتُ — يُونُسُ ٧١﴾ .

فهل المعنى : أن يثبت في المستقبل أنه كان كبر عليكم مقامي ؟
ونحوه قوله : ﴿وَأَنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا
فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا — الْأَعْرَافُ ٨٧﴾ .

ونحوه أن تقول لصاحبك : (أن كنت عاهدته على ذلك فافعل) . وليس
المقصود أن يثبت أنك عاهدته فافعل بل هو ماضي المعنى قطعاً .
وربما دل الشرط على الماضي بغير (كان) .

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : " وقد يستعمل الماضي في الشرط متحقق
الوقوع وإن كان بغير لفظ (كان) لكنه قليل بالنسبة إلى (كان) كقوله :
أَتَغْضَبُ إِنْ أَذْنَا أذِينَا حُرَّتَا

ونحو قولك (أنت وإن أعطيت مالا بخيل) و (أنت وإن صرت أميراً لا
أهابك) (٢٢) ..

وهذا هو الحق ، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ أَقْرَبْتُمْ
فَعَلَيَّ إِجْرَامِي — هُودُ ٣٥﴾ وهو ماضي المعنى ، وقال : ﴿قُلْ إِنْ أَقْرَبْتُمْ فَلَا
تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا — الْأَحْقَافُ ٨﴾ . وقال : ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَنْ ذَكَرْتُمْ
بِلَ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرَفُونَ — يَسُ ١٩﴾ . وهذا رد على أصحاب القرية (أنا تطيرنا بكم)
بعد أن ذكروهم بالله . فهو ماضي المعنى .

وقال : ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُونَ
آلِ عَدْرَانَ ١٥٢﴾ وهذا في معركة أحد وهو ماضي المعنى .

(٢٢) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٩٣ .

وقال : ﴿ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾ — النوبة ٩٢ . وهذه آية نزلت بعد وقع الحادثة .

وقال في فرعون : ﴿حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل — يونس ٩٠﴾ .

وقال : ﴿حتى اذا ركبا في السفينة خرقها — الكهف ٧١﴾ .

وقال : ﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة — الكهف ٨٦﴾ .

وقال : ﴿حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة — النمل ١٨﴾ ،

وقال : ﴿واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها — الجمعة ١١﴾ . والآية نزلت بعد وقوع الحادثة .

وقد اخرج بعض النحاة (اذا) المسبوق بـ (حتى) من الشرطية (٢٣) . والصواب انها شرطية بدليل اقتران جوابها بالقاء قال تعالى : ﴿حتى اذا اتهموهم فسئلوا الوثاق — محمد ٤﴾ .

وقال : ﴿حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون منه هوشر مكانا واضعف جندا — مريم ٧٥﴾ .

وقال : ﴿حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم — النساء ٦﴾ .

ومما يدل على الماضي مع غير (إن) و (اذا) من ادوات الشرط قوله تعالى :

﴿وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله — آل عمران ١٦٦﴾ .

وقوله تعالى : ﴿قل ما سألتكم من اجر فهو لكم — سبأ ٤٧﴾ .

وقوله : ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار — ص ٦١﴾ .

وقوله : ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله — الحشر ٥﴾ .

بل قد يرد فعل الشرط دالا على الماضي وان لم يكن فعلا ماضيا مع فعل الكون وغيره .

فمن ذلك أن يرد خبر (يكون) فعلا ماضيا وذلك نحو قوله :

(٢٣) البرهان ٤ / ١٩٧ .

فان تكن الايام أحسن مرة التي فقد عادت لمن ذنوب

وقول الأبيرد بن المعدر الرياحي يرثي أخاه بُريدا :

فان تكن الايام فرقت بيننا فقد عذرتنا في صحابه العذر

وقول حريث بن سلمة :

ان تلك درعي يوم صحراء كُلية أضيفت فاذاكم عليّ بعار

وقول امرئ القيس :

وان تك قد ساءتلك مني خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تسلي

فهذا كله يفيد الماضي ولاشك .

ومن وردوه دالا على الماضي مع غير فعل الكون قول عمار بن عقيل :

فان تصبح الايام شين مفرقي وأذهبن اشجاني وقلن من غربي
فيارب يوم قد شربت بمشرب شفيت به غم الصدى بارد عذب

وقول العتيبي يرثي بنه :

فان يهلك بشي فليس شيء على شيء من الدنيا يلهوم

وقول ثابت بن قطنه يرثي يزيد بن المهلب :

ان يقتلوك فان قتلك لم يكن عارا عليك ورب قتله عار

وهذا كله يفيد الماضي .
فهل هناك دليل أوضح من ذلك على أن الشرط قد يأتي للمضي بـ (كان)
وبغيرها بلفظ الماضي وغيره ؟

دلالاته على الحال :

وقد يدل الشرط على الحال فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله - البقرة ٢٣﴾ ، وهذا افتراض لحالتهم آنذاك .
ونحو قوله تعالى : ﴿قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين
تعبدون من دون الله - يونس ١٠٤﴾ .
وقوله : ﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من
تراب - الحج ٥﴾ .
وقوله : ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي
الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم - غافر ٢٨﴾ .
وقوله : ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى أرأيت إن كان على الهدى - العلق
٩ - ١١﴾ .
ومما يفيد الحال كثيرا اسلوب الالهاب والتبييع نحو قوله تعالى : ﴿قل بشما
يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين - البقرة ٩٣﴾ .
وقوله : ﴿قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين - البقرة ١١١﴾ .
وقوله : ﴿واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون - البقرة ١٧٢﴾ .
وقوله : ﴿قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون - آل عمران ١١٨﴾ .

معاني ادوات الشرط إن

تستعمل (إن) في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والتأخرة^(١) والمستحيلة وسائر الافتراضات الأخرى ، فهي لتعليق امر بغيره عموماً .

فمن المعاني المحتملة الوقوع قوله تعالى : ﴿فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ - البقرة ١٩١﴾
وقوله : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ - البقرة ٢٣٠﴾
وقوله : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا - المائدة ٦﴾ .

ومن المعاني المشكوك في حصولها نحو قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي - الاعراف ١٤٣﴾ .

ومن المعاني المفترضة التي لا وقوع لها في المشاهدة قوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنِ الْغَيْرِ اللَّهُ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ - القصص ٧١﴾ ،
وقوله : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ - الطور ٤٤﴾ .

ومن المعاني المستحيلة قوله : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ - الزخرف ٨١﴾ وقوله : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا - الرحمن ٣٣﴾ ، ونحو قولنا : (إن استطعت فانخرج من ملك الله) .

جاء في (الكليات) : " (إن) الشرطية تقتضي تعليق شيء ، ولا تستلزم تحقق وقوعه ولا إمكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ وعادة كما في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام ٣٥]"^(٢) .

(١) انظر شرح ابن يعيش ٤/٩ ، الاثقان ١٤٩/١ .

(٢) الكليات ٤٠٧ .

وجاء في (شرح ابن يعيش) : "ولا تستعمل (إن) في المعاني المحتملة المشكوك في كونها ولذلك قبح (إن أحمر البسر كان كذا) و (إن طلعت الشمس آتت) الآ في اليوم المغيم"^(٣).

وربما ورد بعدها المتيقن قليلا وذلك نحو قوله تعالى ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا - البقرة ٢٣﴾ وقوله ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم - آل عمران ١٤٤﴾ وهو ميت لاحالة.

جاء في (شرح ابن يعيش) : "وتقول من ذلك : (إن مت فاقضوا ديني) وإن كان موته كائنا لاحالة فهو من مواضع (إذا) الآ أن زمانه لما لم يكن متعينا جاز استعمال (إن) فيه . قال الله تعالى : أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم"^(٤). وجاء في (الطراز) في (إن) "لا تقع الآ في المواضع المحتملة المشكوك فيها . قال الله تعالى : ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾"^(٥) وقال تعالى : ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾"^(٦) .

فإن استعملت في مقام القطع فأما أن يكون على جهة التجاهل وأنت قاطع بذلك الأمر ولكنت ترى أنك جاهل به ، وأما على أن المخاطب ليس قاطعا بالأمر ، وإن كنت قاطعا به كقولك لمن يكذبك فيما تقوله وتخبر به : (إن صدقت فقل لي ماذا تفعل ؟) وأما لتثريب المخاطب منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم وهذا كما يقول الاب لابن لا يقوم بحقه : (إن كنت أباك فاحفظ لي صنيعي فبك)"^(٧).

وجاء في (مختصر المعاني) للفتنازلي : "وقد تستعمل (إن) في مقام الجزم بوقوع الشرط تجاهلا كما إذا سئل العبد عن سيده هل هو في الدار ، وهو يعلم أنه فيها فيقول : (إن كان فيها أخبرك) يتجاهل خوفا من السيد ، أو لعدم جزم المخاطب بوقوع

(٣) (شرح ابن يعيش) ٤/٩ وانظر شرح الرضي على الكافية ٢/٢٨٢ ، المقضب ٢/٥٦ .

(٤) (شرح ابن يعيش) ٤/٩ .

(٥) الانفال ٦٦ .

(٦) فاطر ٤ .

(٧) الطراز ٣/٢٩٨ - ٢٩٩ .

الشرط فيجري الكلام على سنن اعتقاده كقولك لمن يكذبك (ان صدقتُ فإذا تفعل؟) مع علمك بانك صادق.

أو تنزيهه ، أي لتنزيل المخاطب العالم بوقوع الشرط منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى العلم كقولك لمن يؤذي أباه : ان كان أباك فلا تؤذه .

أو التوبيخ ... أو تغليب غير المتصف به أي بالشرط على المتصف به كما اذا كان القيام قطعي الحصول لزيد غير قطعي لعمر وفتقول : ان قتما كان كذا^(٨) .

وجاء في (الايضاح) للقرطبي : ” وجمي قوله تعالى ﴿ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾ (ان) يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتغال المقام على ما يقلعها عن اصلها ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين منهم فانه كان فيهم من يعرف الحق وانما ينكر عنادا^(٩) .

إذا

الاصل في (إذا) ان تكون للمقطوع بحصوله وللکثير الوقوع . فن المقطوع بحصوله قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت - البقرة ١٨٠ ﴾ فان كل واحد منا سيحضره الموت ، وقوله : ﴿ فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه - آل عمران ٢٥ ﴾ وقوله : ﴿ حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا - النساء ٦ ﴾ وقوله : ﴿ واذا حللتم فاصطادوا - المائدة ٢ ﴾ فان المحرم لا بد أن يتحلل ، وقوله : ﴿ فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون - الاعراف ٣٤ ﴾ ، وقوله : ﴿ فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين - التوبة ٥ ﴾ فانه لا بد أن تنسلخ الاشهر الحرم ، وقوله : ﴿ وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا - الاسراء ٤٩ ﴾ ، وقوله : ﴿ وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال - الكهف ١٧ ﴾ وقوله : ﴿ واذا بلغ الاطفال منك الحُلُم فليستأذنوا - النور

(٨) مختصر المعاني ٦٠-٦١ .

(٩) الايضاح ٩١ .

٥٩ ﴿وقوله : ﴿فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض - الجمعة ١٠﴾ فان الصلاة لابد أن تنقضي .

واما مايقع كثيرا فنحو قوله تعالى : ﴿اذا تداینتم بدین الى اجل مسمى فاکتبوه - البقرة ٢٨٢﴾ .

وقوله : ﴿واذا حُیتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - النساء ٨٦﴾

وقوله : ﴿واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا - الاعراف ٢٠٤﴾ .

وقوله : ﴿واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما - يونس ١٢﴾ .

والنحاة يفرقون بين (ان) و (اذا) بما ذكرنا فيقولون : إن الاصل في (إن) أن تستعمل للمشكوك فيه و (اذا) للمقطوع بوجوده .

وذكر سيويه أن (إذا) تجي وقتاً معلوماً . ألا ترى أنك لو قلت : آتيك إذا احمر البسر كان حسناً ولو قلت : (آتيك ان احمر البسر) كان قبيحاً ف (ان) ابداً مبهمه وكذلك حروف الجزاء ^(١٠) .

وجاء في (المقتضب) : "وانما منع (اذا) من أن يجازي بها ^(١١) لانها مؤقته وحروف الجزاء مبهمه ، الا ترى أنك اذا قلت : (إن تأتني آتک) فانت لاتدري أيقع منه اتيان أم لا ؟ وكذلك : من اتاني اتيت ، انما معناه : ان يأتيني واحد من الناس آت .

فاذا قلت : (اذا اتيتني ...) وجب أن يكون الاتيان معلوماً .
الا ترى الى قول الله عز وجل : ﴿اذا السماء انفطرت﴾ ^(١٢) و ﴿اذا الشمس كورت﴾ ^(١٣) و ﴿اذا السماء انشقت﴾ ^(١٤) ان هذا واقع لاحالة ؟

ولا يجوز أن يكون في موضع هذا (إن) لان الله عز وجل يعلم ، و (ان) انما مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر ، وليس هذا مثل قوله ﴿إن ينهوا يُغفر لهم ماقد سلف﴾ ^(١٥) لان هذا راجع اليهم .

(١٣) التكوين ١ .

(١٤) الانشقاق ١ .

(١٥) الانفال ٣٨ .

(١٠) كتاب سيويه ٤٣٣/١ .

(١١) يجازي بها أي : يجزم بها .

(١٢) الانفطار ١ .

وتقول : (آتيك اذا احمر البسر ولو قلت (آتيك إن احمر البسر) كان محالاً لأنه واقع لاحالة " (١٦) .

وجاء في (الاتقان) : " تختص (اذا) بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع بخلاف (ان) فانها تستعمل في المشكوك والموهم والنادر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا ﴾ (١٧) ثم قال : ﴿ وان كنتم جنبا فاطهروا ﴾ (١٨) فأني بـ (اذا) في الوضوء لتكرره وكثرة اسبابه وبـ (ان) في الجنابة لندرة وقوعها بالنسبة الى الحدث .

وقال تعالى : ﴿ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان نصيبهم سيئة يطيروا ﴾ (١٩) ، ﴿ واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان نصيبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقطنون ﴾ (٢٠) أتى في جانب الحسنة بـ (اذا) لأن نعم الله على العباد كثيرة ومقطوع بها ، و (ان) في جانب السيئة لانها نادرة الوقوع ومشكوك فيها " (٢١) .

وجاء في (شرح ابن يعيش) : " وحق ما يجازى به أن لاتدري أيكون أم لا يكون فعلى هذا تقول : (اذا احمر البسر فأتني) .

وقبح : (ان احمر البسر) ، لان احمرار البسر كائن ، وتقول : (اذا أقام الله القيامة عذب الكفار) ، ولا يحسن : (ان أقام الله القيامة) ، لانه يجعل ما أخبر الله تعالى بوجوده مشكوكاً فيه " (٢٢) .

وجاء في (الابيضاح) للقرظيني : " اما (ان) و (اذا) فهما للشرط في الاستقبال لكنها يفترقان في شيء وهو ان الاصل في (ان) أن لا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول لصاحبك (ان تكرمني اكرمك) ، وأنت لاتقطع بأنه يكرمك .

(٢٠) (الروم ٢٦) .

(١٦) المقتضب ٥٥/٢ - ٥٦ .

(٢١) (الاتقان ١/١٤٩) .

(١٧) (المائدة ٦) .

(٢٢) (شرح ابن يعيش ٩/٤) .

(١٨) (المائدة ٦) .

(١٩) (الاعراف ١٣١) .

والاصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول: (إذا زالت الشمس آتيتك).

ولذلك كان الحكم النادر موقعاً لـ (إن) لأن النادر غير مقطوع به في غالب الامر.

وجاء في (التفسير الكبير) للرازي في قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض - الزلزلة﴾: "قالوا كلمة (إن) في المجوز و (إذا) في المقطوع به"، تقول: (إن) دخلت الدار فأنت طالق) لأن الدخول مجوز، أما إذا أردت التعليق بما يوجد قطعاً لا تقول (إن) بل تقول (إذا) نحو: إذا جاء غداً فأنت طالق، لأنه يوجد للاحالة. هذا هو الاصل فان استعمل على خلافه فجاز فلما كان الزلزال مقطوعاً به قال (إذا زلزلت) (١٢١).

وجاء في (الطراز) أن: " (إن) : إنما يكون ورودها في الامور الخمسة المشكوك في وقوعها كقوله (وان جاوزوك فاحكم بينهم او أعرض عنهم) (١٢٥) ...

واما (إذا) فانما تستعمل في الامور المحققة كقوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ وقوله ﴿إذا الشمس كورت﴾ ... فهذه الامور كلها محققة فلهذا حسن دخول (إذا) فيها" (١٢٦).

وقال الدكتور علي فودة: "أن (إذا) تستعمل في معظم الحالات لمعنى غير المعنى الذي تستعمل له (إن) - أنها تستعمل في الامور المتينة اوالتي يكثر وقوعها على حين تستعمل (إن) فيما يحتمل الوقوع وعدمه، أو في الذي يحدث قليلاً، وخير ما يؤيد ذلك هو الآيات التي استعملت فيها (إن) و (إذا) معاً فقد اجتمعت في آيات يدرك القارئ لها نعتاً وضح هذه الحقيقة في آخرها" (١٢٧).

(٢٣) الايضاح ٨٨/١ - ٨٩ وانظر مختصر المعاني ٦٠ - ٦٠

(٢٤) التفسير الكبير ٥٧/٣٢ وانظر الضبيان ١٣/٤ - الاشياء والنظائر ٢٣٠/٢

(٢٥) المائدة ٤٢

(٢٦) الطراز ٢٧٧/٣ - ٢٧٨

(٢٧) الشرط بان واذا في القرآن الكريم ص ٦٠ - بحث في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض - المجلد الرابع -

السنة السابعة

وما ذكره النحاة صحيح على وجه العموم فان (إذا) تستعمل للمقطوع بمحصوله والكثير الوقوع بخلاف (ان) التي أصلها الشك والابهام أو ما هو أقل مما يستعمل به (إذا)، ويبدو ذلك واضحاً في استعمال القرآن الكريم ولا سيما الآيات التي اجتمعت فيها (ان) و (إذا) معاً كما ذكر الدكتور علي وذلك نحو قوله تعالى ﴿فان أحضرتم فاستيسروا من الهدى... فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فاستيسروا من الهدى - البقرة ١٩٦﴾ وذلك لأن الاختصار طارئ عارض والأمن هو الاصل فجاء فيها هو الاصل به (إذا) بخلاف ما هو عارض طارئ.

وقال في الحفاظ على الصلاة: ﴿فان خفتم فرجالاً أو ركبانا فاذا أنتم فاذكروا الله كما علمكم - البقرة ٢٣٩﴾ فجاء في حالة الخوف به (ان) وهي حالة طارئة بخلاف حالة الامن فانه جاء فيها به (إذا) وهي نظيرة الآية السابقة.

وقال: ﴿واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا - النساء ١٠١﴾ فجاء به (إذا) في الضرب في الارض وهو السفر لانه كثير بخلاف الفتنة فانها قليلة.

وقال: ﴿فاذا انسلاخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم... فان تابوا وأقاموا الصلاة - التوبة ٥﴾ فان انسلاخ الاشهر الحرم محتوم فجاء فيه به (إذا) بخلاف التوبة فانها مشكوك فيها فجاء فيها به (ان).

وقال: ﴿الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان... فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يترابعا - البقرة ٢٢٩ ، ٢٣٠﴾ فجاء في ذلك به (ان) لانه أندر حالات الطلاق وهو الطلاق الثالث ثم زواج المطلقة من شخص آخر ثم طلاقها منه. وقال بعد هذه الآية:

﴿واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف - البقرة ٢٣١﴾.

وقال: ﴿واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن - البقرة ٢٣٢﴾ فإن هاتين الحالتين هما حالتا الطلاق العادي بخلاف الحالتين الأولىين.

وقال : ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم إذا كُنتا تراباً إنما لني خلق جديد - الرعد ٥ ﴾ فان صيورتهم تراباً أمر محتم بخلاف العجب ، فان الأمور التي تستدعي العجب نادرة على العموم .

وقال : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين المعروف - البقرة ١٨٠ ﴾ فجاء في حضور الموت ب (إذا) لانه واقع ولا بد ، وأما ترك الخير وهو المال فهو أقل فجاء معه ب (إن) .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تدابرتم بينكم إلى أجل مسمى فاكتبوه ... ولعل الذي عليه الحق ... فان كان الذي عليه الحق متفياً أو ضعيفاً - البقرة ٢٨٢ ﴾ فان حالات الاستدانة أكثر من الحالة التي بعدها وهي ان يكون المدين سفيهاً أو ضعيف العقل .

وقال : ﴿ فاذا أحصن فان أتيت بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب - النساء ٢٥ ﴾ وهذا في الاماء ، فان كل أمة أو غير أمة تبلغ الاحصان أي البلوغ فجاء فيه باذا لانه مقطوع بمحصوله . اما إثبات الفاحشة فهو قليل فجاء فيه ب (ان) .

يدل ذلك على ذلك ايضاً ان (إذا) على كثرة استعمالها في القرآن الكريم - فقد وردت في أكثر من ثمانية وستين موضعاً - لم ترد في موضع واحد غير محتمل الوقوع ، بل هي كلها اما مقطوع بوقوعها او كثيرة الوقوع بخلاف (ان) .

قالوا ولما كانت (إذا) تفيد الجزم بالوقوع غلب معها لفظ الماضي لكونه ادل على الوقوع باعتبار لفظه بخلاف (ان) التي تستعمل في المعاني المحتملة والمشكوك فيها فانه غلب معها الفعل المضارع (٢٨) .

والملاحظ في الاستعمال ان (إذا) يكثر معها الفعل الماضي حقاً اذا ما قيس ب (ان) .

(٢٨) انظر البرهان ٣٦٢/٢ ، مختصر المعاني ٦٠-٦١ ، الايضاح ٨٨/١ .

وقد عمل الدكتور علي فودة احصاء^(٢٩) لاستعمال الفعل الماضي والمضارع مع ان الشرطية في القرآن الكريم وقد كانت نتيجة الاحصاء ان استعمال (ان) الشرطية مع الفعل الماضي اكثر من استعمالها مع المضارع فقد ذكر انها وردت في القرآن الكريم في (٥٥٤) موضعاً وحسباً موضع جاء فيها بصيغة الماضي في نحو (٣٧٠) سبعين وثلاثمائة موضع. ومعنى ذلك انه استعمل الماضي معها اكثر من المضارع.

وعندنا على احصاء الدكتور ملاحظتان :

الاولى : ان الشرط : (ان) ورد في القرآن الكريم محذوف الجواب في زهاء مائتي موضع لقسم أولغيره وينحتم في هذه الحالة أن يكون الشرط ماضياً نحو قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) (ان كنتم صادقين) (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم) . فهذا ينبغي ان يسقط من الاحصاء لانه لا اختيار فيه فتكون نتيجة الاحصاء ما يأتي :

١٨٤ موضع استعمل معها المضارع

١٧٠ موضع استعمل معها الماضي

فيكون استعمال المضارع اكثر من الماضي.

واما الملاحظة الثانية فانه لم يخص مواضع ورود الفعل الماضي والمضارع مع (اذا) حتى يتبين صدق قول النحاة أو عدمه ، فانهم قالوا ان (اذا) يستعمل معها الماضي اكثر من (ان) .

وملاحظة النحاة هذه صحيحة . فقد وردت (اذا) في القرآن الكريم شرطية وظرفية - في (٣٦٢) اثنين وستين وثلاثمائة موضع منها ثمانية عشر موضعاً فقط وردت بالفعل المضارع والبقية وردت بالفعل الماضي مما يزيد ملاحظة النحاة

ولعله يدور في خلدك ان هذا يخالف ما ذكرناه في بحث (فعل الشرط) وهو انه اذا كان الشرط وقع فعلاً ماضياً فانه قد يفيد افتراض حصول الحدث مرة أو وقوعه جملة في حين ان المضارع قد يفيد افتراض تكرار الحدث أو يفيد تطاول الحدث . والحق انه لاتناقض فيما ذهبنا اليه هنا وهناك . فان الامر الذي ذكرناه هناك ينطبق

هنا .

(٢٩) الشرط ب (ان) و (اذا) في القرآن الكريم ٦٠ وما بعدها.

فتلا قوله تعالى : ﴿فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره - البقرة ٢٣٠﴾ فقد ذكرنا فيه أنه جاء بالفعل الماضي لان الطلاق لا يتكرر كثيرا كسائر الاعمال اليومية او لان معناه : اذا حصل الطلاق أي تم .

وعندما جاء ب (اذا) فقال : ﴿فاذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن - البقرة ٢٣٠﴾ فقد جاء بها لان حالات الطلاق الاخيرة اكثر ، والفعلان ماضيان .

وعندما قال : ﴿كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية - البقرة ١٨٠﴾ فان الحديثين لا يتكرران لاحضور الموت ولاترك الميراث ولكن حضور الموت أمر واقع ولايد فجاء فيه ب (اذا) بخلاف ترك المال فانه أقل وقوعا فجاء فيه ب (ان) ، والفعلان ماضيان

وقوله : ﴿وان تعجب فعجب قولهم اذا كنا ترابا . - الرعد ٥﴾ فجاء ب (ان) مع الفعل المضارع (تعجب) لان العجب يتكرر في الحياة أو لانه حدث لم ينقطع بعد . وجاء ب (اذا) مع الفعل الماضي (كنا ترابا) لانه يكون مرة واحدة وهو واقع ولايد .

او قد يفيد المضارع مع (اذا) تكرر الحدث او استمراره وتطاوله كما ذكرنا ذلك في موضعه وذلك نحو قوله تعالى : ﴿واذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بآية غير هذا أو بآية - يونس ١٥﴾ فالتلاوة تتطاول وهي تنقضي شيئا فشيئا بخلاف قوله تعالى ﴿فاذا جاء رسولهم - يونس ٤٧﴾ وقوله ﴿اذا جاء اجلهم - يونس ٤٩﴾ . وقوله : ﴿واذا اراد الله يقوم سنوه - الرعد ١١﴾ .

فجاء بالفعل المضارع لما يحدث تدريجيا ويتبع جزءا جزءا بخلاف ما جاء بالفعل الماضي .

وقد نقول ألم يرد في القرآن الكريم (واذا تليت عليهم آياته) بالماضي ؟ والجواب انه ورد ولكن القصد مختلف ، فاذا اردت وقوع الحدث جملة جئت بالماضي واذا اردت ان الحدث مستمر لم ينقطع جئت بالمضارع . فقوله تعالى : ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا - الانفال ١٢﴾ معناه اذا قرئت عليهم فهو يشير الى اتقضاء

الحدث ونعامة بخلاف الآيات التي وردت بالمضارع نحو قوله تعالى : ﴿واذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله - يونس ١٥﴾ فان معناها انهم في اثناء القراءة يقولون : ائت بقرآن غير هذا ، يقولون ذلك والقراءة لم تكتمل بعد لفسيق ذرعهم بسماعه والله اعلم .

اذ ما

هي اذ و (ما) ركبتا فاصبحتا اداة شرط تقول : (اذ ما تنقم اقم) و (اذ) وحدها ظرف زمان يفيد المضي غالبا . قال تعالى : ﴿واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم - الاعراف ٨٦﴾ واما (اذ ما) فهي حرف عند الاكثرين يفيد الشرط وغيره (ما) من المضي الى الاستقبال (٣٠) . تقول : اذ ما تأتني آتاك . واستدل النحاة بتغير زمانها على حرفيتها (٣١) .

وذهب قسم من النحاة الى انها باقية على ظرفيتها غير ان (ما) كفتها عن الاضافة (٣٢) . فاذا لم تنضم اليها (ما) لم تكن حرف جزاء (٣٣) .

وانا لا ارى حرفيتها ، بل لا تزال ظرفا وان زمانها لم يتغير ، بل تخصص بـ (ما) . وذلك ان (اذ) للمضي كثيرا وقد تكون للاستقبال كقوله تعالى : ﴿فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم - غافر ٧٠ ، ٧١﴾ ، وقوله ﴿وجني يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان واتي له الذكرى - الفجر ٢٣﴾ ، بل هي قد تكون للاستقبال مع دخولها على الفعل الماضي وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة - مريم ٣٩﴾ وهذا يكون يوم القيامة . فعند دخول (ما) عليها جعلتها شرطية ، وخصتها بالاستقبال . واما كفها عن الاضافة فهذا امر قاله النحاة بسبب انهم يرون ان اداة الشرط لا بد ان تكون مبهمة . (٣٤) فاذا كانت موقنة أي معلومة لم تجزم ، وهذا هو

(٣٠) التصريح ٢ / ٢٤٨ .

(٣١) التصريح ٢ / ٢٤٨ .

(٣٢) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٨١ .

(٣٣) كتاب سيبويه ١ / ٤٣٢ .

(٣٤) انظر الاشياء والنظائر ١ / ٩٧ .

سبب عدم الجزم باذا وذلك لانها مضافة الى ما بعدها فتعرفت أو تخصصت به فليس فيها ابهام فلم تجزم .

جاء في (الكتاب) : «وسألته عن (إذا) ما منهم أن يجازوا بها ؟ فقال : الفعل في (إذا) بمنزلة في (إذ) إذا قلت (اتذكر إذ تقول) فـ (إذا) فيها يستقبل بمنزلة (إذ) فيها مضى ، وبين هذا ، أن (إذ) تحيى وقتاً معلوماً ، ألا ترى أنك لو قلت (آتيك إذا احمر البسر) كان حسناً ولو قلت : (آتيك أن احمر البسر) كان قبيحاً فـ (ان) ابداً مبهمه وكذلك حروف الجزاء . و (إذا) توصل بالفعل ، فالفعل في (إذا) بمنزلة في : حين» (٣٥) .

وعلى أية حال فالذي نراه ان (إذ ما) أداة شرط وهي ظرف و (ما) خصصتها بالاستقبال بعد أن كانت تستعمل للمضي كثيراً وللاستقبال قليلاً .

وقد تعامل (إذ) من دون (ما) معاملة أدوات الشرط فتقترن بجوابها الفاء وذلك نحو قوله تعالى : ﴿واذ لم يهتدوا به فسبقولون هذا افك قديم - الاحقاف ١١﴾ وقوله : ﴿فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - المجادلة ١٣﴾ وقوله : ﴿فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون - النور ١٣﴾ .

أنى

وهي ظرف للمكان (٣٦) يفيد العموم نحو (أنى تذهب اذهب) ، ويبدو أنها أكثر عموماً من (أين) لمكان المدة فيها ، فان إطلاق الالف قد يدل على سعة المكان فيها . والملاحظ في العربية ان الكلمة يتقارب معناها ومبناها فـ (لا) مثلاً أوسع في النني من (لن) أي ان زمنها أطول لانها تكون للحال والاستقبال والمضي ، نحو : ﴿فلا صدق ولا صلى - القيامة ٣١﴾ ، و (لن) مختصة بنبي المستقبل ، و (لا) مطلقة أي ان صوتها غير محدود ، و (لن) مقيدة بالسكون .

(٣٥) كتاب سيويه ١ / ٢٣٣ .

(٣٦) المص ٢ / ٥٧ ، الاثني ٤ / ١٢ .

و (إذا) أوسع زمنا من (اذ) فانها تكون ظرفا للاستقبال . وزمنه اطول من الماضي لان المستقبل دائما اطول وأفسح من الماضي الذي انتهى ، وتكون للاستمرار والمضي ايضا نحو ﴿ حتى اذا أدركه - الغرق - يونس ﴾ ٩٠ و (اذ) مقيدة بالسكون و (اذا) مطلقة .

و (من) مخصصة بالعقلاء استهامية أو شرطية أو موصوفة أو غيرها .
 لغير العقلاء من ذوات ومعان وهم أكثر من العقلاء ، وتكرر نسبة من يعقل ايضا نحو ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء - النساء ﴾ ٣٠ و ﴿ من سبيد و (ما) مطلقة .

فدة الالف في (آتي) تطلق المكان اطلاقاً بعيداً بخلاف (أين) التي لا تمتد الصوت بها امتداداً بعيداً .

أَيَّان

ظرف زمان يستعمل فيما يراد تفخيم امره ونعظيمه ^(٣٧) . قال الرضي : " وأَيَّان مختص بالامور العظام نحو قوله تعالى : ﴿ أَيَّان مَرَسَاهَا ﴾ ^(٣٨) و ﴿ أَيَّان يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ^(٣٩) ولا يقال : أَيَّان نمت ^(٤٠) .

وقد يستعمل للاستبعاد نحو قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - القيامة ﴾ ٦ . وهذا كما هو ظاهر في الاستفهام ، والراجح انها في الشرط كذلك ولنظها يوحى بذلك ، وذلك لمكان مدة الالف فيها نحو : (ايان تهرب اهرب مملك) .

أَيْنَ

ظرف مكان مبهم نحو (أين تذهب اذهب) . وقد تنضم (ما) اليها فتزيد بها ايها ^(٤١) وعموماً قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ - النساء ﴾ ٧٨ وقال :

(٣٧) شرح ابن بعش ١٠٦ / ٤ .

(٣٨) التازعات ٤٢ .

(٣٩) الذاريات ١٢ .

(٤٠) شرح الرضي على الكافية ١٣٠ / ٢ .

(٤١) شرح ابن بعش ١٠٦ / ٤ .

﴿أَيْنَمَا يُوْجِدُهُ لَا يُبَاتُ بِخَيْرٍ - النحل ٧٦﴾ وقال : ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا - الأحزاب ٦١﴾ .

أَيَّ

وهي أكثرهن إبهاما إذ هي بحسب ما تضاف إليه تقول (أَيَّ رجل تكرم أكرم) و (أَيَّ كتاب تأخذ تأخذ) و (أَيَّ مذهب تقل به أقل به) و (أَيَّ وقت تسافر أسافر) . وقد تنضم إليها (ما) فتريدها إبهاما . قال تعالى : ﴿أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى - الإسراء ١١٠﴾ .

حَيْثَا

اسم مكان مبهم . جاء في (المقتضب) : "وحيث اسم من أسماء المكان مبهم يفسره ما يضاف إليه... فلما وصلتها بـ (ما) امتنع من الإضافة فصارت كم (اذ) اذا وصلتها بما" ("") . وتلزمها (ما) اذا استعملت للشرط .

جاء في (الأشباه والنظائر) : "باب الشرط مبناه على الإبهام وباب الإضافة مبناه على التوضيح ولهذا لما أريد دخول (اذ) و (حيث) في باب الشرط لزمها (ما) لأنها لازمان للإضافة ، والإضافة توضحها فلا يصلحان للشرط حيثند فاشتراطنا (ما) لتكفيها عن الإضافة فيبيان فيصلح دخولها في الشرط حيثند" (٤٣) . قال تعالى : ﴿وحيثا كنتم فولوا وجوهكم شطره - البقرة ١٤٤﴾ .

والفرق بين (حيثا) و (أينما) كما يبدو أن (أينما) أكثر إبهاما وعموما ، وسبب ذلك أن (أين) أكثر إبهاما من (حيث) وذلك أن (حيث) لازمة للإضافة فهي مخصصة أو معرفة بما بعدها . تقول : (اجلس حيث جلس أخوك) أي في مكان جلوسه . ولذا لا تكون جزاء إلا اذا ضمت إليها (ما) لتكون مبهمة .

(٤٢) المقتضب ٥٤ / ٢ .

(٤٣) الأشباه والنظائر ٩٧ / ١ - ٩٨ وانظر المقتضب ٤٧ / ٢ ، شرح ابن يعيش ٤٦ / ٧ .

قال سيويه : "وانما منع (حيث) أن يجازي بها أنك تقول (حيث تكون
اكون). ف (تكون) وصل لها كأنك قلت : المكان الذي تكون فيه اكون... فإذا
ضممت اليها (ما) صارت بمنزلة (إن) وما اشبهها ولم يجز فيها ما جاز فيها قبل أن نجي
بـ (ما) " (٤٤).

وأما (أين) فلا تضاف أصلاً ولذلك فهي مبهمة فإذا دخلت عليها (ما) زادت
إبهاماً وعموماً وإذا دخلت على (حيث) إبهمتها ، وذلك أن (ما) تفيد الإبهام والعموم
في غير الشرط أيضاً. قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا
فَوْقَهَا - البقرة ٢٦﴾. وتقول : (دعوتك لأمر ما).

فـ (أينما) أكثر إبهاماً وعموماً من (حيثما) بذلك على ذلك الاستعمال القرآني
علاوة على القياس. فقد وردت (حيثما) في تعبير واحد تردد في مكانين ، وهو قوله
تعالى : ﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره - البقرة ١٤٤ ، ١٥٠﴾.

وترددت (أينما) في أربعة مواضع هي قوله تعالى : ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله
جميعاً - البقرة ١٤٨﴾.

وقوله : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة - النساء ٧٨﴾.
وقوله : ﴿أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً - الأحزاب ٧١﴾.
وقوله : ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بَخِيرٍ - النحل ٧٦﴾.

فأنت تحس بالشمول والعموم مع (أينما) أكثر من (حيثما) وذلك أنها استعملت
لمقدار قوة الله وأنه لا يعجزه شيء ، ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ ، ولا متداد يد
الموت وسطوته إلى كل مكان لا يعجزه عنه شيء ، ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾.

ويوضح ذلك أيضاً الآية الأخيرة (أينما يوجهه لا يأت بخير) فلو قال : (حيثما
يوجهه لا يأت بخير) لتعين ذلك في المكان المادي المحسوس ، ولكن قوله (أينما يوجهه)
يوحي بالسعة والشمول ، وهو يشمل الوجيهات المادية والمعنوية.

(٤٤) كتاب سيويه ١ / ٤٣٢ - ٤٣٣.

ثم ان قوله ﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ ليس فيه شمول للامكنة ، فهناك اما كن لا تصح فيها الصلاة وازمنة لا تصح فيها الصلاة ايضا ، وهناك حالات لا يصح فيها استقبال البيت الحرام بخلاف ما ورد في (ابنما) فانها تستغرق الحالات المذكورة. فدل ذلك على ان الشمول والعموم في (ابنما) أوسع من (حيثما) والله اعلم.

كيف

وهي لبيان الحال نحو (كيف تصنع اصنع) و (كيف تفعل افعل) ولا تلزمها (ما) في الشرط ، واستعمالها في الشرط قليل.

ما

وهي نوعان :

غير زمانية نحو ﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله - البقرة ١١٠﴾ وقوله : ﴿وما اصابكم يوم النقي الجمعان فباذن الله - آل عمران ١٦٦﴾.

وزمانية نحو قوله تعالى : ﴿فا استقاموا لكم فاستقيموا لهم - التوبة ٧﴾ أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم. ونحو قولنا : (ما تجلس أجلس) أي ما تجلس من الزمان أجلس^(٤٥).

وهي أعم من (من) كما سبق أن ذكرنا فانها مطلقة و (من) مقيدة. ان (من) مختصة بالعقلاء. قال تعالى : ﴿ومن يبذل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب - البقرة ٢١١﴾ ولا تكون لغيرهم الا أن يكونوا مختلطين بالعقلاء.

وأما (ما) فهي لغير العاقل نحو (ما تصنع اصنع) قال تعالى : ﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه - آل عمران ١١٥﴾.

ولصفات العقلاء في الشرط نحو قوله : ﴿فا استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن - النساء ٢٤﴾ وفي غير الشرط نحو قوله تعالى : ﴿فانكحوا ما طاب لكم

(٤٥) انظر المغني ١ / ٣٠٢ ، شرح الرضي ٢ / ٢٨٠.

من النساء مثنى وثلاث ورباع - النساء ٣ ، وقوله : ﴿إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني﴾ - آل عمران ٣٥ .

جاء في (المقتضب) : "و (ما) تذكره أنذر الآدميين نحو (ما تركك أبوك) و (ما) تصنع اصنع . فان قلت : (ما يأتي آت) تريد الناس لم يصلح ... لان (ما) تكون للدوات غير الآدميين ولصفات الآدميين . نقول : من عندك ؟ فيقول : زيد ، فتقول : ما زيد ؟ فيقول : جواد أو بخيل أو نحو ذلك فانما هو لسؤال عن نعت الآدميين" (١٦) .

وجاء في (الكتاب) : "و (ما) مثلها - يعني مثل من - إلا أن (ما) مبهمة تقع على كل شيء" (١٧) .

متى

وهي ظرف زمان تقول : (متى تأتي آتلك) .

ويفرق النحاة بين (إذا) و (متى) ، فيقولون : إن (إذا) للوقت المحدود و (متى) للوقت المبهم (١٨) .

وهذا التفريق ناتج عن قولهم إن (إذا) مضافة الى شرطها فهي معينة و (متى) غير مضافة فهي اذن مبهمة .

قال سيويه : "إن (إذا) تحي وقتا معلوما . لا ترى أنك إذا قلت : (آتيك إذا) أحمر البسر) كان حسنا ولو قلت : (آتيك إن أحمر البسر) ، كان قبيحا . ف (إن) أبدا مبهمة وكذلك حروف الجزاء" (١٩) . و (متى) من حروف الجزاء (٢٠) .

(١٦) المقتضب ٥٢ / ٢ .

(١٧) كتاب سيويه ٣٠٩ / ٢ .

(١٨) الفصل ٦٦ / ٢ .

(١٩) كتاب سيويه ٤٣٣ / ١ .

(٢٠) كتاب سيويه ٤٣٢ / ١ .

وقالوا ايضا في الضريق بينها إن (إذا) تقع شرطا في الاشياء المحققة الوقوع ونحوها. واما (متى) فلما يحتمل الوجود والعدم^(٥١).

جاء في (الاشياء والنظائر): "قال الخوارزمي: الفرق بينهما ان (إذا) للامور الواجبة الوجود وما جرى ذلك المجري مما علم انه كائن. و(متى) لما لم يرجح بين أن يكون وبين أن لا يكون، تقول: (إذا طلعت الشمس خرجت) ولا يصح فيه (متى)."

وتقول (متى تخرج أخرج) لمن لم يتيقن انه خارج^(٥٢).
ويُفَرَّقُ بينها وبين (إن) أن (إن) أداة تعليق لازمة فيها و(متى) زمان.

جاء في كتاب (النحو والنحاة بين الازهر والجامعة) ان قولنا (ان أكرممتي أكرمك) معناه تعليق الإكرام على الإكرام، وقولنا (متى أكرممتي أكرمك) تعليق الإكرام على زمان يقع فيه الإكرام^(٥٣) (متى) تدل على الزمان بدليل انه إذا قيل: (متى أجيئك؟) ، صح أن يقال في الجواب (متى أكرممتي) ، ولا يصح أن يقال (ان أكرممتي) لان (ان) لا تدل على الزمان ، والسؤال عن الزمان. وانما يصح ان يجاب بها إذا سئل عن الفعل قليل: هل أجيئك؟^(٥٤).
وإذا لحقتها (ما) زادت ايهاما وعموما.

جاء في (الكليات): "و(متى ما) اعم من ذلك وأشمل [يعني من متى] وربما يجري في (متى) من التخصيص مالا يجري في (متى ما)"^(٥٥).

فمن

وتكون شرطا للعاقل. قال تعالى ﴿فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بها - البقرة ١٥٨﴾.

(٥١) الاشياء والنظائر ٢ / ٢٢٥.

(٥٢) الاشياء والنظائر ٢ / ٢٣٠ ، ضوابط الفنون فصل الالف والذال (إذا).

(٥٣) (النحو والنحاة بين الازهر والجامعة ٥٩).

(٥٤) الكليات ٣٣٧.

قال سيويه : " (من) : وهي للمسألة عن الاناسي ويكون بها الجزاء للاناسي وتكون بمنزلة (الذي) للاناسي" (٥٥).

ولو قال للعقلاء أو للدوي العلم لكان أجود فإنها تستعمل لغير الاناسي من العقلاء فقد تستعمل للملائكة. قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ - النساء ١٧٢.

واستعملها للجن. قال تعالى : ﴿فَمَنْ يَسْمَعْ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهِابًا رَصَدًا﴾ - الجن ٩.

وجاء في (المقتضب) : "تقول في (من) (من يأتي آت) فلا يكون ذلك إلا لما يعقل ، فإن أردت بها غير ذلك لم يكن .

فإن قال قائل : فقد قال الله عز وجل : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ (٥٦) فهذا لغير الآدميين وكذلك ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ (٥٧) قيل إنما جاز هذا لأنه قد خلط مع الآدميين غيرهم بقوله : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ وإذا اختلط المذكوران جرى على أحدهما ما هو للآخر إذا كان في مثل معناه... (٥٨).

مهما

قالوا هي بمعنى (ما) وقيل أعم منها (٥٩) ، وقد ذكر أن أصلها (ما) ألحقت بها (ما) على وزن (كيفما) و (أينما) .

قال سيويه : "وسألت الخليل عن (مهما) فقال : هي (ما) أدخلت معها (ما) لغوا بمنزلتها مع (متى) إذا قلت : (متى ما تأتي آتاك) وبمنزلتها مع (إن) إذا

(٥٥) كتاب سيويه ٢ / ٣٠٩ .

(٥٦) النور ٤٥ .

(٥٧) النور ٤٥ .

(٥٨) المقتضب ٢ / ٥٠ - ٥١ .

(٥٩) الجمع ٢ / ٥٧ .

قلت : (إنَّ ما تأنِّي آتاك) ، ويمتزلتها مع (أين) كما قال سبحانه وتعالى : ﴿أينما نكونوا يدرككم الموت﴾^(٦٠) ويمتزلتها مع (أني) إذا قلت ﴿أينما ما تدعوا قله الاسماء الحسنی﴾^(٦١) ولكنهم استنبهوا أن يكرروا لفظاً واحداً فيقولون (ماها) فأبدلوا الماء من الالف التي في الأولى . وقد يجوز أن يكون (مه) ك (إذ) ضم اليها (ما) .^(٦٢)
وجاء في (التطور النحوي) : "وقد تضاعف (ما) لتأدية معنى الابهام والتشكير فنصير (مها) بدل mama وتلحق (ما) بغيرها أيضاً مثل (أينما) و (منى ما) و (كيفما) و (أينما) و (حيثما) ."^(٦٣)

لو

- وهي من أدوات الشرط ، ثم هي قد تكون :
- ١ - امتناعية نحو قوله تعالى : ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك - آل عمران ١٥٩﴾ وقوله : ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة - المائدة ٤٨﴾ .
وتستقى حرف امتناع لامتناع ومعناه امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط نحو (لو زرتني لأكرمك) فامتنع الاكرام لامتناع الزيارة .
 - ٢ - شرطية غير امتناعية نحو قوله تعالى : ﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون - الأنفال ٢٣﴾ إذ لا يصح أن يقال : امتنع التولي لامتناع الاسماع ، بل هم متولون على كل حال أسمعهم أم لم يسمعهم . وقوله : ﴿ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر عده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله - لقمان ٢٧﴾^(٦٤) وقوله : ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذن لأمسكنكم خشية الانفاق - الاسراء ١٠٠﴾ ، وقوله : ﴿ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الامر منهم

(٦٠) النساء ٧٨ .

(٦١) الاسراء ١١٠ .

(٦٢) كتاب سيبويه ١ / ٤٣٣ .

(٦٣) التطور النحوي ١٢٣ .

(٦٤) أنظر معني اللبيب ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦ ، شرح الإسماعيلي ٤ / ٣٥ .

لعلمه الدين يستبطنونه منهم - النساء ٨٣ ﴿ ، ونحو قولنا : (لو أتيت بالدنيا
أجرها بحذاقيرها لزهد فيها) .

٣ - وقد تأتي للتمني وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وقال الذين ظلموا لو أن لنا كرة فنتبرأ
منهم كما تبرؤا منا - البقرة ١٦٧ ﴾ ، وقوله : ﴿ قال لو أن لي بكم قوة أو آوي
إلى ركن شديد - هود ٨٠ ﴾ .

وقال بعضهم : هي قسم برأيه ليست شرطية ولا تحتاج إلى جواب . وذهب
آخرون إلى أنها هي (لو) الشرطية أشرت معنى التمني ^(٦٥) .
والحق أنها قد تكون شرطية مشربة معنى التمني فيكون لها جواب نحو : (لو أن لنا
رجالا أمثال صلاح الدين إذن ما ضاعت فلسطين) تقول ذلك متمنياً ، ونحو
قوله ^(٦٦) :

فلو نبش المقابر عن كليب فيحبر بالذئاب أي زبر
بيوم الشمشمين لقر عيناً وكيف لقاء من تحت القبور

وقد تكون للتمني برأسها نحو قوله تعالى : ﴿ لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا
منا - البقرة - ١٦٧ ﴾ وقوله : ﴿ لو أن لي كرة فأكون من المحسنين - الزمر ٥٨ ﴾ .
٤ - قالوا وقد تأتي بمعنى (إن) نحو قوله تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا
صادقين - يوسف ١٧ ﴾ ^(٦٧) .

والحق أنها لا تطابق (إن) . فإن شرط (لو) بعينه الوقوع وهو أبعد من (إن) .
جاء في الكلبيات : "والأصل في فرض الحالات كلمة (لو) دون (إن) ، لأنها لما
لا يجزم بوقوعه ولا وقوعه والحال مقطوع بلا وقوعه" ^(٦٨) .
ويدل على ذلك الاستعمال . قال تعالى : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما
يخلق ما يشاء - الزمر ٤ ﴾ .

(٦٥) المغني ١ / ٢٦٧ ، المسع ٢ / ٦٦ .

(٦٦) المغني ١ / ٢٦٧ .

(٦٦) المغني ١ / ٢٦٤ ، الكامل للمبرد ١ / ٢٣٨ .

(٦٧) كليبات أبي البقاء ٥١ .

وقال (ﷺ) : (لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري)
وتقول : (لو كلمه الموتى لم يؤمن) و (لو أجزيت الارض له ذهب لرغب عني).
ولا تحسن (ان) لذلك . ونحوه ما ذكروا انها بمعنى (ان)

فان قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا بِدَرَكِكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرَجٍ مَّشِيدَةٍ - النساء
٧٨﴾ جاء فيه بـ (لو) دون (ان) لان الانسان قصارى ما يستطيع حفظ نفسه ان
يكون في برج مشيد فجاء بـ (لو) الدالة على البعد .

وكذلك قوله تعالى : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ -
البقرة ١٣٤﴾ جاء فيه بـ (لو) التي تفيد البعد ، لان الانسان ابعد شيء عن أن
يشهد على نفسه .

وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى
قَرَبَى - التوبة ١١٣﴾ فأولو القرى هم اولى بالاستغفار من غيرهم فاذا كان منها عن
ذلك معهم فاللهي مع غيرهم اولى . وهذا ابعد شيء في الهي .
وهكذا كل ما ذكر على انه اول من غيره .

فهني لاتطابق (ان) في ذلك تماما .

٥ - وذكر انها تأتي بمعنى التقليل نحو : (تصدقوا ولو بظلف محرق) (٦٨)
ومعنى التقليل انما جاء مما ذكرناه آنفا وهو أن شرطها بعيد الوقوع فقوله (ﷺ)
(تصدقوا ولو بظلف محرق) يعلمنا الا تخقر من المعروف شيئا فالظلف المحرق ابعد شيء
عن أن يتصدق به لكونه قليلا مرغوبا عنه ومع ذلك علينا الا تخقر الصدقة به .
ونحوه : (تصدق ولو بتمر) فان التمر بعيدة عن أن يتصدق بها لزهادتها .

ونحوه (التمس ولو خاتما من حديد) فخاتم الحديد ابعد شيء عن أن يكون مهرا
لامرأة لزهادة قيمته . ومن هنا دخلها معنى التقليل .

(٦٨) المعنى ١ / ٢٧٦ ، المصحح ٢ / ٦٦

وقوع اللام في جوابها

تقع اللام في جواب (لن) وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ تَرَوْهُا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا - الفتح ٢٥﴾ وقوله: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ - محمد ٥﴾.

وهذه اللام تلحق جوابها المثبت كثيراً، وأما المنفي: (لم) فلا تلحقه والمنفي: (ما) يجوز أن تلحقه إلا أنه قليل^(٦٩). ولم ترد في القرآن الكريم لاحقة لجوابها المنفي.

واختلف في هذه اللام على أقوال:

- ١- قسم ذهب إلى أنها تفيد التسويف. جاء في (التصريح): "قال ابن عبد اللطيف في باب اللامات: هذه اللام تسمى لام التسويف لأنها تدل على تأخير وقوع الجواب من الشرط وتراخيه عنه كما أن إسقاطها يدل على التعجيل لأن الجواب يقع عقب الشرط بلا مهلة ولهذا دخلت في ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ حِطَامًا﴾^(٧٠) وحذفت في ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ آجَا﴾^(٧١) أي لوقته في المزن من غير تأخير. والفائدة في تأخير جعله حطاماً وتقديم جعله آجلاً تشديد العقوبة، أي إذا استوى الزرع على سوقه وقويت به الإطاع جعلناه حطاماً كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾^(٧٢) الآية. ١ هـ^(٧٣).
- ٢- وقسم ذهب إلى أنها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى^(٧٤).
- ٣- وقسم ذهب إلى أنها اللام الواقعة في جواب القسم فقولك: (لو زرتني لأكرمك) في تقدير (والله لو زرتني لأكرمك)^(٧٥).
- ٤- وقسم ذهب إلى أنها زائدة مؤكدة وذلك لجواز سقوطها^(٧٦).

(٦٩) شرح ابن الناطم ٢٩٢، المغني ١/ ٢٧١ - ٢٧٢.

(٧٠) الواقعة ٦٥.

(٧١) الواقعة ٧٠.

(٧٢) يونس ٢٤.

(٧٣) التصريح ٢/ ٢٦٠، البرهان ٤/ ٣٣٧.

(٧٤) المفصل ٢/ ٢٢٠ وانظر شرح ابن يعيش ٩/ ٢٢.

(٧٥) شرح ابن يعيش ٩/ ٢٢، المغني ١/ ٢٣٥، (٧٦) شرح ابن يعيش ٩/ ٢٣.

أما التسوية فلا أراه صحيحاً بدليل عدم صحة تقديره في تعبيرات كثيرة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ - آل عمران ١١٠﴾ وليس في هذا معنى التسوية.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا - النساء ٦٤﴾ وهو تواب رحيم في الحال والاستقبال والمضي ولا يراد به تسوية التوبة عليهم.

ونحوه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَبِّحَاتِهِمْ - المائدة ٦٥﴾ وليس المقصود تسوية التكفير.

ونحوه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا - الانعام ٩﴾

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ - الانعام ٣٥﴾

وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مَثَلًا هَذَا - الانفال ٣١﴾

وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً - التوبة ٤٦﴾

وقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا - الكهف ٧٧﴾

وقوله: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ - المؤمنون ٧١﴾

فهذا كله لا يحتمل التسوية.

وكونها جواباً للقسم رده ابن هشام بقوله: "لو كانت اللام بعد (لو) ابتداء في جواب قسم مقدر لكثير مجيء الجواب بعد (لو) جملة اسمية نحو: (لو جاءني لأنا أكرمه) كما يكثر ذلك في باب للقسم" (٧٧).

والذي يبدو أنها مؤكدة ويدل على ذلك أن اللام التي تفيد التوكيد تقع في الإثبات ولا تقع في النفي إلا نادراً وذلك نحو لام الابتداء سواء كانت وحدها أم مع (إن)، واللام الواقعة في جواب القسم وهي لا تدخل على النفي وهذه كذلك تدخل في الإثبات ولا تدخل على المنفي إلا قليلاً.

ويدل على ذلك أيضاً استعمال القرآني فالمتزوع اللام أقل توكيداً من المذكورة فيه وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَبَائِي - الاعراف ١٥٥﴾ بلا

(لام) ، وقوله : ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ - الاعراف ١٤٩ ﴿باللام وذلك لأن هداية الناس أجمعين أصعب وأعسر من الإهلاك. فإهلاك الآلاف والوف الآلاف ممكن بوسائل الفتك والتدمير والظواهر الطبيعية ولكن هدايتهم عسيرة. فجاء باللام لما هو شاق عسير ورجحانها مما هو أيسر.

وتحore قوله تعالى : ﴿أن لو شاء أضيناهم بذنوبهم﴾ - الاعراف ١٥٠ ﴿وهذه نظيرة الآية السابقة بخلاف قوله تعالى : ﴿ولو شاء لجعلنا منكم ملائكة﴾ - الزخرف ٦٠.

فالفارق واضح بين الافتراضين.

وقوله تعالى : ﴿انطعم من لو يشاء الله اطعمه﴾ - يس ٤٧ ﴿أيسر من قوله : ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ - يس ٦٧. وهكذا.

والخلاصة ان اللام مؤكدة فاذا اردت ان تؤكد شيئاً ما جئت بها والآن تدخلها عليه.

وهذا القول ليس بعيداً عن قول من قال هي واقعة في جواب قسم ، فكلاهما نفي التوكيد فلان القسم توكيد وجوابه مؤكد. وهي في قول الزمخشري ايضا لا تخلو من التوكيد.

ما الزائدة

تدخل (ما) بعد ادوات الشرط نحو (إذا ما) و (إمّا) و (متى ما) وقد ذهب النحاة فيها الى أنها تؤدي غرضين :

الاول : افادة الإبهام والعموم - كما سبق ان ذكرنا - فاذا قلت مثلاً : (سأزورك اذا جئ الليل) فالراجع ان يكون القصد ليل يومكم ذاك ، فاذا قلت : (سأزورك اذا ما جئ الليل) فانه لا يتعين ليل ذلك اليوم بل أصبح الكلام يحتمل الليلي الأخرى القابلة. وذلك لأن (ما) أبهمتها.

جاء في (المفصل): "تقول (منى كان ذلك؟) و (منى يكون؟) و (منى تأتي
أكرمك) و (أين كنت؟) و (أين تجلس الجلس) ويتصل بها (ما) للمريضة فتريدها
أيهما" (٧٨).

وجاء في (الكليات): " (إذا ما) فيه إيهام في الاستقبال ليس في (إذا) بمعنى
أنك إذا قلت (أتيتك إذا طلعت الشمس) فإنه ربما يكون لطلوع الغد حتى يستحق
العتاب بترك الأتيان في الغد بخلاف (إذا ما طلعت) فإنه يخص (٧٩) ذلك ولا
يستحق العتاب" (٨٠).

وكذلك بقية أدوات الشرط مثل (إذا ما) و (حيثما) و (أينما) . غير أن (ما) في
(حيثما) و (إذا ما) ليست زائدة عند النحاة كالدخلة على (أين) و (منى) و (أذا) و
(أتي) وغيرها بل هي في (إذا ما) و (حيثما) لازمة لا يكونان للمجازاة إلا بها (٨١)
وذلك لأنها من دون (ما) ظرفان يضافان إلى الجمل فهما مخصصان بسبب الإضافة
فدخلت عليها (ما) فكفتها عن الإضافة ليكونا مبهمين فأصبحت (إذا ما)
حرفا في رأي واسما مبهما في رأي آخر، وأصبحت (حيثما) ظرفا مبهما أيهما (ما) كما
سبق أن ذكرنا.

جاء في (شرح الرضي على الكافية): "وأما (حيثما) فنقول (ما) فيها كافة
(حيث) عن الإضافة لازمة كما في (منى ما) و (إمّا) وذلك إن (حيث) كانت
لازمة للإضافة فكانت مخصصة بسبب المضاف إليه فكفتها (ما) عن طلب
الإضافة لتصير مبهما كسائر كلمات الشرط" (٨٢).

وجاء في (الاشباه والنظائر): "باب الشرط مبناه على الإيهام وباب الإضافة
مبناه على التوضيح ولهذا لما أريد دخول (أذا) و (حيث) في باب الشرط لزمتهما (ما)

(٧٨) المفصل ٢ / ٦٦ وانظر الكليات ٣٣٧.

(٧٩) كذا والراجع أن الأصل "لا يخص ذلك" كما هو ظاهر.

(٨٠) الكليات ٢٧.

(٨١) المقتضب ٢ / ٤٨.

(٨٢) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٨١ ، المقتضب ٢ / ٤٧.

لأنها لازمان للاضافة ، والاضافة توضحها فلا يصلحان للشرط حيثما فاشترطنا (ما)
لتكفيها عن الاضافة فيهما فبصلح دخولها في الشرط حيثما (٨٣)

ثم ان (ما) هذه لا تختص باسماء الشرط بل قد تدخل على اسماء غيرها فتعطيها
ابهاما وعموما ايضا وذلك نحو قولك : (حدثني حديثاً ما) أي أيا كان الحديث .

جاء في (الكليات) : " (ما) في مثل (اعطني كتاب ما) ابهامية وهي التي اذا
اقرنت باسم نكرة ابهته ابهاما وزادته شياعا وعموما أي (أي كتاب كان) " (٨٤)

والخلاصة ان (ما) تدخل على ادوات الشرط فتبهم ما ليس منها وتزيد ابهام
ما كان منها .

العرض الثاني افادة التوكيد : جاء في (الكتاب) : " وتكون [يعني ما] توكيداً
لغواً وذلك قولك : (متى ما تأتني آتاك) ، وقولك (غضبت من غير ما جرم) وقال
الله عز وجل : ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ (٨٥) فهي لغوي ... وهي توكيد
للكلام " (٨٦)

وجاء في (المقتضب) : " ف (ما) تدخل على ضربين :

احدهما أن تكون زائدة للتوكيد فلا يتغير الكلام بها عن عمل ولا معنى فالتوكيد ما
ذكرته في هذه الحروف سوى (حيثما) و (إذ ما) .

واللازم ما وقع فيها ونظيرها قولك : (أما زيد اخوك) منعت (ما) (أن)
عملها " (٨٧)

وجاء في (شرح ابن يعيش) : " قد تراد (ما) مع (ان) الشرطية مؤكدة نحو
قولك : (أما تأتني آتاك) والاصل : ان تأتني آتاك زيدت (ما) على (ان) لتأكيد

(٨٣) الاشياء والنظائر ١ / ٩٧ - ٩٨

(٨٤) الكليات ٣٦٦

(٨٥) النساء ١٥٥

(٨٦) كتاب سيويه ٢ - ٣٠

(٨٧) المقتضب ٢ / ٥٤

معنى الجزاء ويدخل معها نون التوكيد وإن لم يكن الشرط من مواضعها لأن موضعها الامر والنهي وما اشبهها مما كان غير موجب وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا بَأْتِيَكُمْ مِنِّي هَدًى ﴾ (٨٨) وقال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا تَرِيبٌ مِّنَ الْبَشَرِ احِدًا ﴾ (٨٩) وقال : ﴿ وَأَمَّا نَعْرِضَنَّهُمْ ﴾ (٩٠).

والعلة في دخولها أنها لما لحقت اول الفعل بعد (إن) اشبهت اللام في (والله ليفعلن) فجاءتها نونا التأكيد كما تكون مع اللام في (ليفعلن) وجهه التشبيه بينها أن (ما) هنا حرف تأكيد كما أن اللام مؤكدة...

وقد يجوز أن لا تأتي بهذه النون مع فعل الشرط وذلك نحو قولك : أمّا تأتي آتاك " (٩١).

وجاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ - فَصَلَتْ ٢٠ ﴾ : "فإن قلت : (ما) في قوله (حتى إذا ما جاءوها) ماهي ؟

قلت : مزيدة للتأكيد ، ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليه ولا وجه لأن يخلو منها ، ومثله قوله تعالى : ﴿ أَنتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آتَمَّ بِهِ ﴾ (٩٢) أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به " (٩٣).

والظاهر من اقوال النحاة أن (ما) تؤدي معني الإيهام والتوكيد معا وإن كان يصرح أحيانا بالإيهام وأحيانا بالتوكيد ، وقد جمع بينهما ابن يعيش فقال : "وقد تدخل (ما) (أين ومتى) للجزاء زائدة مؤكدة نحو متى ماتم أقم وإني تجلس اجلس معك. قال الشاعر :

متى ما ير الناسُ الغني وجاره فقير يقولوا عاجز وجليل

(٨٨) البقرة ٣٨.

(٨٩) مريم ٢٦.

(٩٠) الاسراء ٢٨.

(٩١) شرح ابن يعيش ٩ / ٥ وانظر المع ٢ / ٦٣.

(٩٢) يونس ٥١.

(٩٣) الكشاف ٣ / ٦٩.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ (٩٤) وقال: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا فِتْمَ وَجْهَ
الله﴾ (٩٥). فإذا دخلت عليها (ما) زادت بها إيهاماً وزادت المحازاة بها حسناً (٩٦).
فذكر أنها زائدة مؤكدة ثم قال: زادت بها إيهاماً.

ومعنى التوكيد أظهر من الإيهام في الاستعمال القرآني والاستعمال العربي «ما» زادت
إيهاماً في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ﴾
٢٠ ﴿وَنُخْصِصًا فِي قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا فَتَبَحَّتْ إِبْرَاهِيمَ - الزمر ١٧﴾ فالكلام
في الحالتين على أهل النار ويحييهم إيهاماً. فلم كانت (إذا) الإي مبهمة والثانية غير
مبهمة؟

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا
أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفْبِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَبْتَغُونَ - التوبة
٩٢﴾. فهذه الآيات نزلت في جماعة مخصوصين في حادثة معينة مخصوصة فكيف
تكون (إذا) ههنا مبهمة؟

أما التوكيد فهو ظاهر واضح يدل عليه الاستعمال والقياس. فإن (ما) تزداد غير
كافة وتزداد كافة وذلك نحو زيادتها بعد الأحرف المشبهة بالفعل وبعد طائفة من حروف
الجر وبعد المضاف نحو (غضبت من غير ما جرم) فهي إذا زيدت غير كافة كانت
للتوكيد في كل مواطنها، وقد مر بنا هذا في أكثر من موطن.

وإذا كانت كافة كان لها غرض آخر كما سبق أن ذكرنا في بحث الأحرف المشبهة
بالفعل وحروف الجر.

وهي هنا زيدت غير كافة ولا مغيرة من طبيعة الاداة فهي مؤكدة. ويدل على
ذلك أيضاً استعمال القرآني فحينما زيدت (ما) مع (إن) الشرطية أكد شرطها
بالنون ولم يتخلف من ذلك موطن أحد. وقد وردت في أربعة عشر موضعاً وذلك نحو
قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْتَشِرُ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِ - الأنعام ٦٨﴾

(٩٤) النساء ٧٨.

(٩٥) البقرة ١١٥.

(٩٦) شرح ابن يعيش ٤/ ١٠٥ - ١٠٦.

وقوله : ﴿وَأَمَّا تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء - الانفال ٥٨﴾ .

وقوله : ﴿وَأَمَّا نزيثك بعض الذي نعدهم أو نتوفيتك - الرعد ٤٠﴾ .
وهذا التوكيد كثير غالب في كلام العرب ، وهذا يدل على أنها تنفيذ التوكيد .
الآتري أن (أن) لما كانت مؤكدة قد يؤتى معها باللام زيادة في التوكيد ، وإن القسم لما
كان مؤكداً كان جوابه ايضاً مؤكداً فهو قد يجاب بـ (إن) واللام أو يجاب باللام ونون
التوكيد في الفعل المضارع أو يجاب باللام و (قد) في الفعل الماضي .
فهذا دليل ظاهر على أنها تنفيذ التوكيد ، إذ لم يؤكد شرطها مع (ما) ولا يؤكد من
دونها ؟

ثم إن مواطن الاستعمال تدل على التوكيد .

جاء في (درة التتزيل وغرة التأويل) للخطيب الاسكافي : " قوله تعالى : ﴿حتى
إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون - فصلت
٢٠﴾ . وقال في سورة الزخرف : ﴿حتى إذا جاءنا قال باليت بيني وبينك بعد
المشرقين فبش القرين - ٢٨﴾ وقال قبله : ﴿حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها - الزمر
٧١﴾ يعني أبواب جهنم ، وقال بعدها : ﴿حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها - الزمر
٧٣﴾ يعني أبواب الجنة .
للسائل أن يسأل عن زيادة (ما) بعد (إذا) في سورة السجدة (١٧) وحذفها من
الموضع الآخر .

الجواب أن يقال : أنه إذا قصد توكيد معنى الشرط الذي تضمنته (إذا) لقوة
معنى الجزاء استعملت (ما) بعدها ، فقوله تعالى : ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ شهادة السمع وبائر الجوارح من المعاني القوية التي
لا يقتضيها الشرط الذي هو المحي ، ألا ترى استنكارهم لما حتى قالوا لجلودهم (لم
شهدتم علينا) فأجابوا بأن قالوا : ﴿انطقنا الله الذي انطق كل شيء﴾ وليس كذلك
﴿حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها﴾ لأن المحي يقتضي فتح الابواب ... وكذلك ﴿حتى

(١٧) يعني سورة فصلت .

إذا جاءنا قال باليت بيني وبينك ﴿أي قال الآدمي لقربه من الجن اللذين اشتركا في الدنيا في معصية الله ثم اشتركا في العذاب في الآخرة: ليتني لم أبعك وكان بعد ما بين المشرقين بيني وبينك.﴾

وهذا أيضا مما يتوقع كونه منها ثم يتبرى بعض من بعض فليس في الجزاء ما يوجب قوة الشرط الذي لا يتوقع ولا يستفاد إلا به ومنه (٩٨).

ثم إن شهادة السمع والابصار والجلود أمر مستغرب بخلاف فتح الابواب ونحوه فأكده لذلك.

وقال تعالى: ﴿ولا يَأْبُ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا - البقرة ٢٨٢﴾ زبدت (ما) مؤكدة على الشهداء حضور الشهادة عند الدعوة اليها بخلاف قوله تعالى: ﴿إذا تدانيتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه - البقرة ٢٨٢﴾ وقوله: ﴿وأشهدوا إذا تباعتم - البقرة ٢٨٢﴾ وذلك لأن الشهيد قد يتباطأ ويتكاسل أو ينكص عن الشهادة لأنه ليست له مصلحة خاصة به أو قد تلحق به ضررا فاحتاج إلى التوكيد.

وقال تعالى: ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون - الانبياء ٤٥﴾ ، أي وإن تطاول الانذار وتكرر وأكد بخلاف قوله تعالى: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين - النمل ٨٠﴾ فتوليهم مدبرين لا تحتاج إلى توكيد كالانذار.

وقال: ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به - يونس ٥١﴾ ، أي أنهم لا يؤمنون إلا إذا حل العذاب يقينا لا حذما ولا تخمينا ولا استتاجا يدل على ذلك سياق الآية. قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿قل أرأيتم إن اتاكم عذابه بيانا أو نهرا ماذا يستعجل منه المجرمون.﴾ ثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون - يونس ٥٠ - ٥١.

وقال تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا - المائدة ٩٣﴾ فزاد (ما) بعد (إذا) توكيدا للتقوى ، بذلك على ذلك تكرارها ثلاث مرات في الآية (إذا ما اتقوا ... ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا).

وهكذا كل ماورد واضح فيه معنى التوكيد .

وكذلك زيادتها بعد (ان) . قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا - مَرَمٌ ٢٦ ﴾ واحتمال الرؤية احتمال قوي جدا فأكدتها وقد وقعت .

وقال : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا بَاطِنُكُمْ مِنِّي هَدَىٰ فَمَنْ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ - طه ١٢٣ ﴾ . وهذا الكلام في آدم وإبليس واحتمال انزال الهدى اي الرسالات السماوية مؤكدة فأكدته وقد حصل .

وقال : ﴿ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِنِّي مَا يُوعَدُونَ . رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ - الْمُؤْمِنُونَ ٩٣ ، ٩٤ ﴾ .

واحتمال اراءه ما يوعدون احتمال قوي فأكدته ، وقد اراه الله ذلك فيما بعد في بدر وغيرها .

وهكذا سائر ما ورد من الآيات مما يدل على ان (ما) انما زيدت للتوكيد والله أعلم .

تقديم الاسم على فعل الشرط

تقوم العرب : (إذا جاءك محمد فأكرمه) وتقول : (إذا جاءك فأكرمه) قال تعالى : ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ - الْبَقَرَةُ ١٨٠ ﴾ وقال : ﴿ إِنْ أَمْرُوهُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ - النِّسَاءُ ١٧٦ ﴾ وقال : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ - الْانْفِطَارُ ١ ، ٢ ﴾ .

وهذا عند الجمهور من باب حذف فعل الشرط الذي يفسره الفعل المذكور بعده .
والتقدير : إِنْ هَلَكَ أَمْرُوهُ هَلَكَ ، وإذا انفطرت السماء انفطرت وذلك لأن أداة الشرط لا تلبيها إلا الأفعال (٩٩) .

(٩٩) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٨٣ ، المقضب ٢ / ٧٤ ، المعجم ٢ / ٦٦ .

وعند الكوفيين أنه مرفوع بالفعل بعده وهو فاعل متقدم على فعله (١٠٠) أو مبتدأ
خبره ما بعده (١٠١).

إن تقدير الجمهور بعيد عن المعنى مفسد لصحة الكلام مؤد إلى ركة بالغة فيه ،
إذ ما الغرض من هذا الحذف والذكر مع العلم بأن المفسر والمفسر لفظ واحد بعينه
لايزيده إيضاحاً ولا بياناً ولا تفسيراً ؟ فلو كان المفسر يعطينا معنى زائداً على المفسر
وإيضاحاً لم يكن فيه لكان مقبولاً ولكن الفعل المذكور هو نفس الحذف فما الغرض
إذن من الذكر والحذف ؟

إن "التفسير" مقبول في نحو قوله تعالى : ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا
الآ بشر مثلكم - الانبياء ٣ ﴾ فإنه فسر النجوى ووضحها بقوله (هل هذا الآ بشر
مثلكم) ، وفي قوله ﴿ هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب ألم تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم - الصف ١٠ ، ١١ ﴾ ففسر
التجارة بقوله ﴿ تؤمنون بالله ... إلى آخره ﴾ .

ولكن أين الإيضاح في قولنا (إذا جاءك محمد جاءك فأكرمه) ؟ هذا من ناحية ،
ومن ناحية أخرى أنه بموجب هذا التقدير لافرق بين قولنا (إذا جاءك محمد فأكرمه) و
(إذا جاءك محمد فأكرمه) وقوله (إذا السماء انشقت) و (إذا انشقت السماء)
فيكون تقديم الاسم وتأخيره واحداً ، ولا غرض لذلك سوى التقدير المفسد للجمال
التعبير وفصاحته .

كان ينبغي للنحاة أن يقولوا : إنه قد بلى الفعل أداة الشرط في كلام العرب نحو
﴿ إذا جاءك المنافقون - المنافقون ١ ﴾ وقد بليها الاسم ثم فعل الشرط نحو ﴿ إذا السماء
انفطرت - الانفطار ١ ﴾ والفرق بين التعبيرين في المعنى هو كذا وكذا . وهذا أمثل من
التقدير الذي يفسد المعنى ويضيعه ويذهب بجمال الكلام وفصاحته .
وعلى أي حال فالمعنى في التعبيرين مختلف ولاشك .

(١٠٠) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٨٣ .

(١٠١) أنظر شرح ابن عقيل ٢ / ١١ ، حاشية الصبان ٢ / ٥٩ .

إن تقديم الاسم على فعل الشرط إنما هو للعناية والاهتمام الذي هو الغرض من التقديم عموماً ، وتختلف أوجه العناية هذه . فقد يكون التقديم للتخصيص وهو أهم غرض للتقديم وذلك نحو قولنا (إذا جاءك محمد فأكرمه) ، و (إذا جاءك محمد فأكرمه) فإن الجملة الأولى تفيد التخصيص ومعناه أن الأكرام مختص بمحمد دون غيره فإذا جاءك غيره فلا تكرمه . أما الثانية فهي طلب الأكرام لمحمد من غير تخصيص له به والمعنى أكرم محمداً عند مجيئه . وهو أي المخاطب غير منهي عن إكرام غيره وهو كقولنا (أكرم محمداً) و (محمداً أكرم) فإن في الثانية تخصيصاً دون الأولى .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذن لاستسكنتم خشية الاتفاق - الاسراء ١٠٠ ﴾ .

جاء في (الكشاف) في هذه الآية : "إن (تملكون) فيه دلالة على الاختصاص وإن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ، ونحو قول حاتم : (لو ذات سوار لطشتي) وقول المتلمس :

ولو غير أنحولي أرادوا تقيصتي

وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر (١٠٢) .

وقد يكون التقديم للتحويل وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ إذا السماء انشقت - الانشقاق ١ ﴾ وقوله : ﴿ إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت - الانفطار ١ - ٤ ﴾ .

فهذه من مواطن التحويل وذلك إن انفطار السماء وانتثار الكواكب وتنجير البحار وبعثرة القبور كل ذلك مما يؤدي إلى المول الكبير والرعب فقدمها لهذا الغرض . ألا ترى أنه قال : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها - الزلزلة ١ ﴾ فلم يقدم الاسم وذلك لأن مشهد الزلازل واقع متكرر على الأعوام والأيام وإن كانت هذه الزلزلة أعظم منها جميعاً

بخلاف المشاهد التي ذكرها فإنه لم يحدث أن انشقت السماء أو انفطرت أو انتثرت
النجوم أو تفجرت البحار، قاهلوا والفرح ههنا أكبر وأكبر فقدم ما قدم للنهويل .
وقد يكون للتعظيم نحو : (إذا الخبر أفتى بذاك فقد كفانا مؤونة البحث والتنقيب) و
(إذا ابن حجر صحح الخبر فكيف نرده) ونحو ذلك .

وقد يكون لتعجيل المسرة أو المساءة نحو (إذا الحبيب حضر وهبت لك ما تريد) و
(إذا ولدك عاد من سفره فإذا تعطيني) ، أو تقول (إذا السفاك ملك البلاد فلا خير
في الحياة) .

وقد يكون للتحقير نحو (إذا الجاهل الغبي أصبح سيداً علينا فبطن الأرض خير لنا
من ظاهرها) و (إذا هذا الجبان الدليل أهانك فتعسا لك) .
إلى غير ذلك من اغراض التقديم الأخرى .

إقتران جواب الشرط بالقاء وإذا الفجائية إقترانه بالقاء

قد يرتبط جواب الشرط بالقاء نحو قوله تعالى ﴿فمن يُهن الله فما له من مكرم -
الحج ١٨﴾ ويجب ذلك إذا كان الجواب لا يصلح أن يقع شرطاً فإن صلح وقوعه
شرطاً فلا يجب ربطه بالقاء . ويذكر النحاة المواطن التي يجب فيها إقتران الجواب
بالقاء وهي على وجه الإيجاز :

١ - أن يكون الجواب فعلاً مقترناً بـ (قد) أو كان زمنه ماضياً وإن لم يقترن بـ (قد) .
لفظاً نحو قوله تعالى : ﴿إن كان قبضه قد من دبر فكذبت - يوسف ٢٧﴾
وقوله : ﴿إن كنت قلته فقد علمته - المائدة ١١٦﴾ .

فإذا دل على وعد أو وعيد جاز ارتباطه بالقاء وذلك على تنزيل المستقبل منزلة
لماضي لانه محقق الوقوع وذلك كقوله تعالى : ﴿ومن جاء بالسينة فكذب وجوههم في
النار - النمل ٩٠﴾ أي كأن الأمر قد حصل .

٢ - أن يكون طلبياً نحو قوله تعالى : ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت
منهم - النور ٦٢﴾

٣- أن يكون جامداً نحو: ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَوْلَىٰ مِنْكَ وَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي

خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ - الكهف ٣٩، ٤٠ ﴿

٤- أن يكون مقترناً بحرف استقبال كالسين وسوف نحو قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ مِنْ

دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ - المائدة ٥٤ ﴿

٥- أن يكون مقترناً بـ (لَنْ) أو (لَمَّا) نحو: (أَنْ جَاءَنِي فَلَنْ أُفْرَطَ فِي حَقِّهِ).

٦- أن يكون جملة اسمية نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْمِعُوا فِيهِمْ﴾ -

البقرة ٢٣٤ ﴿ ونحو (مَنْ جَدَّ فَالْمُسْتَقْبَلُ لَهُ) (١٠٣).

هذه أهم المواضع التي تقترن بها الفاء. وهذه المواضع لا يصح أن تقع شرطاً فإذا وقعت جواباً اقترنت بالفاء.

وسبب اختيار الفاء للربط هو أنها أي الفاء تفيد السبب عموماً في الشرط وغيره
تقول: (الطفل يبكي فيضحك أخوه) و (يقوم خالد فيقوم محمد) قال تعالى:
﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَافِرِينَ فَسَبِّحْ لَهُمْ لَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَأَكِيدُوا فَجْتَكُمْ فِي الشَّرِّ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى السَّبَبِ.

جاء في (التصريح): "وتخصت الفاء بذلك لما فيها من معنى السببية" (١٠٤).

وقال أبو حيان: "وهذه الفاء هي فاء السبب الكائنة في الإيجاب في نحو
قولك: (يقوم زيد فيقوم عمرو) وكما يربط بها عند التحقيق يربط بها عند
التقدير" (١٠٥).

وقال ابن يعيش: "فأثرت بالفاء لأنها تفيد الاتباع وتؤذن بأن ما بعدها مسبب عما
قبلها" (١٠٦).

وليست هذه مهمة الفاء فقط، بل هي قد تفيدنا أيضاً في تعيين الجزاء وإيضاح
المعنى وأن حذفها قد يؤدي إلى اللباس أو إلى عدم اكتمال المعنى في تعبيرات عديدة

(١٠٣) انظر التصريح ٢/٢٤٩، شرح الرضي على الكافية ٢/٢٩١.

(١٠٤) التصريح ٢/٢٥٠.

(١٠٥) المعجم ٢/٦٠.

(١٠٦) شرح ابن يعيش ٢/٩.

وذلك نحو قولنا (من أحسن لنفسه ومن أساء فعليها) ألا ترى أننا لو حذفنا الفاء وقلنا
(من أحسن لنفسه) كان (لنفسه) متعلقاً بـ (أحسن) وبقي الكلام غير تام ، فلما
جئنا بالفاء اتضح القصد وتم المعنى .

ونحو قوله تعالى : ﴿ وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم - البقرة ٢٧٢ ﴾ فلو قلت :
(وما تنفقوا من خير لأنفسكم) لم يكتمل المعنى لأن المجرور ارتبط بالشرط فأصبح في
حيزه ولم يصبح في حيز الجزاء . وكذا لو قلت : (إن تصيهم سيئة فبما قدمت أيديهم)
كان الجزاء (فبما قدمت أيديهم) ، وكان المعنى أنه إذا أصابتهم سيئة فإنه بسبب
ما اكتسبته أيديهم ، ولو حذفنا الفاء لم يتم المعنى .

ومثله (إذا استعنت فبالله) أي فاستعن بالله ولو حذفنا الفاء لم يتم المعنى لأن
المجرور يرتبط بالفعل .

ثم إن المعنى قد يتغير بتغير موضع الفاء في الجملة وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فإن
أرادا فصلاً عن تراضٍ منها وتشاور فلا جناح عليهما - البقرة ٢٢٣ ﴾ فإذا قلت (فإن
أرادا فصلاً فعن تراضٍ منها) كان المعنى إنها إذا أرادا الطلاق فإنما أراداه عن
تراضٍ . أي إن التراضي على الطلاق وقع وحصل .

وانظر إلى قولنا (إن تركه لك عن طيب نفس تأخذه) فإن الجواب هو :
(تأخذه) والمعنى إذا تركه طيبة نفسه أخذته ، ولكن لو قلنا (إن تركه لك فعن طيب
نفس تأخذه) كان المعنى أنه إذا تركه فأخذك له عن طيب نفس ، أو يكون : إن تركه
لك فقد تركه عن طيب نفس و (تأخذه) استئناف أي أنت تأخذه . ولو قلنا (إن
تركه فلك عن طيب نفس تأخذه) كان المعنى إذا تركه فهو لك ، تأخذه عن طيب
نفس .

ونحو ذلك أن تقول : (إن أكرمت كريماً أعاده عليك بخير مما فعلت) فالجواب
هنا (أعاده) ولكن إذا قلت (إن أكرمت فكريماً أعاده عليك بخير مما فعلت) كان
المعنى : إن أكرمت فقد أكرمت كريماً ، وجملة (أعاده عليك) صفة . ولو قلت (إن
أكرمت كريماً أعاده عليك بخير مما فعلت) كان المعنى إذا أكرمت كريماً هذه صفته
فهذا من فعلك .

ونحوه : (إذا مشيت الى مكربة فلي أجرها) و (إذا مشيت فالى مكربة لي أجرها)
فالجواب في الثانية (الى مكربة) و (لي أجرها) نعت لها والجواب في الاولى (فلي
أجرها) .

وانظر الى قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَ قَيْصُ قَدْ مِنْ قَبْلُ - يَوْسُفَ ٢٦ ﴾ ، فلو قلت
(ان كان قيصه قد من قبل) كان المعنى ان قيصه قد من قبل .

وكذا قوله تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا - هُودَ ٨٨ ﴾
والجواب في الآية مجذوف . ولو قلت (ان كنت على بينة من ربي) كان المعنى
اني اذا كنت على بينة فذلك من ربي . وكان (من ربي) هو الجواب .

وتقول : (إذا أرسلنا لهم قاضياً قضى بينهم بالعدل) فالجواب : (قضى) فاذا
جئت بالفاء كان الجزاء حينئذ وضعها فيه . فإن قلت : (إذا أرسلنا لهم قاضياً قضى
بينهم بالعدل) كان الجواب (بالعدل) أي بالعدل كان حكمه أو بالعدل فعلاً ،
وتقول : (إذا أرسلنا لهم قاضياً قضى بينهم بالعدل) أي إذا أرسلنا أحداً فإنا أرسلنا
قاضياً وكان (قاضياً) هو الجزاء وجملة (قضى بينهم) نعت له .

ونحوه أن تقول (إذا قضيت أمراً فلا راد له) والجواب (فلا راد له) . ولو قلت
(اذا قضيت فأمر لا راد له) كان المعنى فقضاؤك أمر لا راد له ، وكانت (لا راد له)
صفة . أو تقول (فأمر) ، أي فقد قضيت أمراً .

وانظر الى هذه الجملة كيف يتغير المعنى بتغير موضع الفاء :

إذا رأيت إبراهيم حاد عني .

إذا رأيت إبراهيم حاد فعي .

إذا رأيت فإبراهيم حاد عني .

فالفاء ليست لمجرد الربط بل لها غرض آخر لا يتضح المعنى إلا بها أحياناً .

دخول الفاء جوازاً على الجواب :

قد يقترن جواب الشرط بالفاء جوازاً وذلك إذا كان الفعل ماضياً وقصد به وعد أو وعيد وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ومن جاء بالسبيته فكُتبت وجوههم في النار﴾ الفل ٩٠ ، أو كان مضارعاً مجرداً أو منفياً بـ (لا) وقبل بـ (لم) أيضاً^(١٠٧) . وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ومن كفر فأمته قليلاً﴾ البقرة ١٢٦ وقوله ﴿فإن طلقها فلا تحل له﴾ البقرة ٢٣٠ .

أما الماضي الذي قصد به وعد أو وعيد فاقترانه بالفاء يدل على أنه ثل مثله ماضي المعنى مبالغة في تحقق وقوعه^(١٠٨) ، أي كأن الأمر حصل وتم .
وأما المضارع المجرد أو المنفي بلا فهو عند الأكثرين على تقدير مبتدأ بعد الفاء قالوا ولذا يرتفع الفعل بعدها .

جاء في (المصم) : " ويرفع الجواب وجوباً إن قرن بالفاء سواء كان فعل الشرط ماضياً نحو ﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾^(١٠٩) أم مضارعاً نحو ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً﴾^(١١٠) رفع لأنه حينئذ من جملة اسمية وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ، فهو لا يخاف^(١١١) .

وقال الرضي : " مذهب سيويه تقدير المبتدأ في الأخير ليكون جملة اسمية في التقدير . وقال المبرد لأحاجة إليه ... وإن ثبت نحو قولك : (إن غبت فيموت زيد) لم يكن للمذهب سيويه وجه إذ لا يمكن في مثله تقدير مبتدأ إلا ضمير الشأن ولا يجوز إلا بعد التخفيف قياساً وبعد أن وأخواتها ضرورة^(١١٢) .

(١٠٧) انظر شرح ابن الناظم ٢٨٨ ، التصريح ٢٤٩/٢ .

(١٠٨) شرح الأشموني ٢٣/٤ ، حاشية الصبان ٢٣/٤ .

(١٠٩) المائدة ٩٥ .

(١١٠) الجن ١٣ .

(١١١) مع الخواص ٦٠/٢ ، وانظر التصريح ٢٤٩/٢ - ٢٥٠ ، كتاب سيويه ٤٣٧/١ - ٤٣٨ .

(١١٢) شرح الرضي على الكافية ٢٩٢/٢ .

وهذا الافتراض الذي ذكره الرضي ثابت في فصيح الكلام ، ولا داعي للتوقف فيه . قال تعالى : ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يُجْزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون - القصص ٨٤ ﴾ فلا يصح تقدير مبتدأ ههنا .
والذي يدولي أن هذه الفاء لها غرض في الكلام وليس دخولها كخروجها .

أما دخولها على الفعل الماضي فقد ذكر النحاة الغرض منه وهو الاشعار بأن الحدث وقع فعلاً أو هو بمنزلة الواقع تحقيقاً وتأكيذاً له .

وأما في المضارع فالذي يبدو أنها تفيد التوكيد فقوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره - البقرة ٢٣٠ ﴾ أكد من قولنا (فإن طلقها لا تحل) بلا (فاء) . وقوله : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً - طه ١١٢ ﴾ أكد من قولنا (لا يخف ظلماً ولا هضماً) .

ويدل على ذلك أمور منها :

إن الفاء قد تكون زائدة للتوكيد .

جاء في (المغني) في معاني الفاء : " الثالث ان تكون زائدة دخولها في الكلام كخروجها (١١٣) " .

جاء في (حاشية الدسوقي على المغني) تعليقاً على هذا القول :

" فلا يتأني أنها تفيد توكيد المعنى وتقويته لقولهم : إن زيادة الحروف تدل على زيادة المعنى . وقد يقدم لذلك تزيين اللفظ وتسمينه والآذان ذلك عند (١١٤) " .

ويدل على ذلك استعمالها في غير الشرط فهي قد تفيد التوكيد . قال تعالى

﴿ وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر - المدثر ٣ - ٥ ﴾ .

يذكر النحاة ان الفاء دخلت هنا لمعنى الشرط " كأنه قيل : وما كان فلا تدع

تكبيره (١١٥) " .

(١١٣) المغني ١/ ١٧٧ .

(١١٤) حاشية الدسوقي ١/ ١٧٧ .

(١١٥) الكشف ٣/ ٢٨٥ .

والحق أنا لا نشم رائحة للشرط هنا بل هو زيادة في التأكيد والتخصيص ، فقدم
المفعول للتخصيص وجاء بالفاء زيادة في التوكيد ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ يَلِ اللّٰهُ فاعبد
وكن من الشاكرين - الزمر ٦٦ ﴾ ، وقوله : ﴿ واياي فارهيون - البقرة ٤٠ ﴾ فجاء
الفاء زيادة في التوكيد .

وقد ذهب أبو الفتح الى أنها زائدة في نحو (وربك فكبر) ونحوه أن يقال : زيدا
فاضرب وعمراً فاشكر^(١١٦) .

والفاء لا تزال تستعمل عندنا في لغتنا الدارجة في العراق لتوكيد الكلام تقول :
(والله ما أروح) فإذا أكدناه قلنا (والله فلا أروح) .

وإذا كانت تستعمل في الفعل الماضي للدلالة على تأكيد وقوع الفعل فما المانع من
أن تكون كذلك في المضارع ؟

ويدلك على ذلك الاستعمال القرآني فقد جاءت الفاء في المواطن التي فيها زيادة
في التوكيد . قال تعالى : ﴿ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون -
يونس ٤٩ ﴾ .

وقال : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون - النحل ٦١ ﴾ .
وقال في سورة الاعراف أيضاً ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون - الاعراف ٣٤ ﴾ .

فأنت ترى أنه أتى بالفاء في آية يونس ولم يأت بها في الآيتين الأخريين . وسبب
ذلك - والله أعلم - إن المواطن في سورة يونس أكد - يدل على ذلك سياق الآيات :

قال تعالى في سورة يونس قبل هذه الآية : ﴿ ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم
فضي بينهم بالقسط وهو لا يظلمون . ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل
لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون - يونس ٤٧ - ٤٩ ﴾ .

(١١٦) أنظر التفسير الكبير ١٩١/٣٠ في قوله تعالى (وربك فكبر)

وقال في سورة الاعراف : ﴿ قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ، ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون - الاعراف ٣٣ - ٣٤ ﴾ .

وقال في سورة النحل : ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم . ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون - النحل ٦٠ ، ٦١ ﴾ .

فالكلام في سورة يونس هو في آجال الامم وحسابها يوم القيامة . فقد ذكر أن كل أمة إنما تدعى وتحاسب بأجلها المحدد لها . والمشركون ينكرون هذا ويسخرون منه قائلين : ﴿ إذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد - ق ٣ ﴾ ، ويقول بعضهم لبعض : ﴿ هل نلذكم على رجل ينشكم اذا مُزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد - سبا ٤٨ ﴾ وفي هذا الموطن أيضاً يسخرون قائلين : ﴿ متى هذا الوعد ان كنتم صادقين - يونس ٤٨ ﴾ فانكارهم هذا يستدعي التوكيد ولذا قال بعد هذه الآيات : ﴿ ويستنبئونك أحق هو ؟ قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين - يونس ٥٣ ﴾ فيأمر الرسول أن يقسم لهم على ذلك . فموطن التوكيد واضح في آية يونس بخلاف الوطنين الآخرين .

أما آية الاعراف فإن ذكر الأجل يأتي فيها عرضاً كما هو ظاهر من السياق .

وآية النحل كذلك ، فانها جاءت تعليقاً على معتقدهم بأن الملائكة بنات الله مع انهم يكرهونهن لانفسهم قال : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون . وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الا سوء ما يحكمون - النحل ٥٨ - ٥٩ ﴾ فرد الله عليهم بقوله : ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم - ٦٠ ﴾ .

ثم قال : ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم... الآية ٦١﴾ أي ان هؤلاء ظلموا وجاروا في قولهم فتنسبوا الى الله مالا يليق به فلو يؤاخذهم بذلك لمحل لهم العذاب ولكنه يؤخرهم الى أجل مسمى لا يتعدونه. ثم يعود بعد هذه الآية الى حكاية معتقدتهم الباطل فيقول : ﴿ربهم يشاء ما يكرهون﴾ أي ان الله لا يهتم بكرههم كما حكي عنهم ذلك.

فانت ترى ان ذكر الأجل جاء عرضاً في أثناء الكلام على الاعتقادات الباطلة وليس كذلك الأمر في سورة يونس. فإن السياق فيها إنما هو في آجال الأمم وحسابها في اليوم الآخر الذي ينكره المتحدث عنهم من الكفرة فاحتاج الكلام الى زيادة توكيد بخلاف المواطنين الآخرين.

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿من يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً - الحن ١٣﴾ : "فلا يخاف - فهو لا يخاف أي فهو غير خائف ولأن الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذاك لقليل (لا يخاف).

فان قلت : أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال : لا يخاف ؟

قلت : الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالاً على تحقيق ان المؤمن ناج للاحالة ، وانه امر الشخص بذلك دون غيره (١١٧) .

فقد ذكر ان الفاء دلت على تحقيق ان المؤمن ناج للاحالة ولكنه لم يخرج من دائرة النجاة في تقدير مبتدأ ليكون الكلام من باب التخصيص. وهذا مالا داعي له ولا يصدق على كثير من التعبيرات ، فابن التخصيص في قوله تعالى مثلاً ﴿قل إن اقربته مني فلنكون لي من الله شيئاً - الاحقاف ٨﴾ ؟

فان تقديره كما يذهب النحاة (انتم لا تملكون لي من الله شيئاً) وعلى هذا التقدير يفيد الكلام تخصيصاً ، لكن لما كان ذلك فلو لا انهم لا يملكون له من الله شيئاً كما لا يملك غيرهم من الله شيئاً فليسوا هم الذين يملكون له من الله شيئاً كما لا يملك

ويردّ هذا أيضاً انه لا يصح تقدير مبتدأ احياناً بعد الفاء كما ذكرنا فينتي هذا المعنى.

إن صاحب الكشف لو اقتصر على معنى التحقيق لكان كلامه أسلم ومنهجه أسدّ والله أعلم.

وجاء في (أنوار التنزيل) في قوله تعالى: ﴿فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - الاعراف ٣٥-٣٦ ﴿ قوله: "وإدخال الفاء في الخير الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد" (١١٨). فقد ذكر أن إدخال الفاء أفاد المبالغة في الوعد ومعنى المبالغة ههنا التوكيد بخلاف عدم ذكرها فدل ذلك على صحة ما ذكرناه والله أعلم.

اقتترانه ب إذا الفجائية

قد يقترن جواب (إن) و (إذا) من بين أدوات الشرط ب (إذا) الفجائية وذلك إذا كان الجواب فيه شروط معينة يذكرها النحاة.

جاء في (التصريح): "وبحوز أن تغني (إذا) الفجائية عن الفاء في الربط لأنها أشبهت الفاء في كونها لا يبتدأ بها ولا تقع إلا بعد ما هو معقب بما بعدها فقامت مقامها إن كانت الأداة الجازمة (إن)..... أو كانت الأداة غير الجازمة (إذا) الشرطية لأنها تشبه (إن) في كونها أم باب الشروط غير الجوازم، والجواب فيها جملة اسمية موصولة غير مطلية وغير مقرونة ب (إن) التوكيدية (١١٩)".

وعلى هذا فإن الجواب ليصلح اقترانه ب (إذا) الفجائية يجب أن تكون فيه الشروط الآتية:

(١١٨) أنوار التنزيل ٢٠٤.

(١١٩) التصريح ٢٥١/٢، وانظر الانصاف ٢٣/٤، الجمع ٦٠/٢.

١ - أن يكون جملة اسمية فإن كان فعلية لم يحز اقترانها به فلا يجوز اقترانها في نحو (إن كان قيصه فصدقت).

٢ - أن تكون الجملة مثبتة فإن كانت منفية لم يصح اقترانها بها فلا يجوز (أن يسافر إذا ما أنا مسافر).

٣ - أن تكون الجملة خبرية فإذا كانت غير خبرية لم يصح اقترانها بها فلا يجوز (إن عصيت إذا ويل لك).

٤ - أن تكون غير مقرونة بـ (إن) المؤكدة فلا يصح أن تقول : (إن ذهب إذا إلى معك).

ومثال ما اجتمعت فيه الشروط قوله تعالى : ﴿وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون - الزمر ٤٥﴾ وقوله : ﴿إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون - الروم ٢٥﴾.

وهناك شرط أغفله النحاة وهو أن يحتمل الكلام معنى المفاجأة والألم بحسن دخولها وإن وجدت الشروط فلا يحسن مثلاً أن يقال في نحو قوله تعالى : ﴿وإن تحفوها وتتوهمها الفقراء فهو خير لكم - البقرة ٢٧١﴾ ، (إذا هو خير لكم) فإنه ليس فيها معنى المفاجأة.

ولا يحسن في نحو قوله تعالى : ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان - البقرة ٢٨٢﴾ أن يقال : (إذا رجل وامرأتان) أو (إذا هما رجل وامرأتان) ولا في نحو قوله تعالى : ﴿وإن كانت واحدة قلها النصف - النساء ١١﴾ أن يقال (إذا لها النصف) ، ولا في نحو قوله : ﴿وإن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما - النساء ١٣٥﴾ أن يقال (إذا الله أولى بهما) ولا في قوله ﴿وإن يحسبك بخير فهو على كل شيء قدير - الأنعام ١٧﴾ أن يقال (إذا هو على كل شيء قدير).

بل لابد من توفر عنصر المفاجأة ليصح الكلام وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وهم من بلزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون - التوبة ٥٨﴾ أي يسخطون فجأة ، وقوله ﴿إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون - الروم ٢٥﴾ أي تخرجون فجأة استجابة لأمر الله.

فلا يحسن وضع (إذا) في المواطن التي يذكرها النحاة إذا لم يكن المواطن صالحاً للمفاجأة.

إن الفاء تفيد السبب ولا تفيد المفاجأة وهناك فرق بين السبب والمفاجأة، ألا نحسن فرقا في المعنى بين قوله ﴿وإن لم يعصوا بها إذا هم يستخطون﴾ والقول (فيهم يستخطون)؟ ألا ترى أن في الأول سرعة تغير ومفاجأة في الموقف، وأما الثاني فسبب محض وليس فيه معنى المفاجأة؟

تقول (من أسلم فله الجنة) و (من فتن المؤمنين في دينهم فله عذاب شديد) فالفاء افادت السبب ولم تفد المفاجأة والسرعة فالعذاب قد يكون في الآخرة.

وعلى هذا فإن (إذا) لا تغني عن الفاء ولا الفاء تغني عن (إذا) بل لكل منها غرض ومعنى.

قالوا: "وقد يجمع بين الفاء وإذا الفجائية تأكيداً خلافاً لمن منع ذلك قال تعالى: (فإذا هي شاحصة ابصار الذين كفروا)".

قال الزمخشري: (إذا) هذه هي الفجائية وقد تقع في المجازاة سادة مسد الفاء فإذا جاءت الفاء معها تعاوتتا على وصل الجزاء فيؤكد ولو قيل: إذا هي شاحصة، أو (فهي شاحصة) كان سديداً. اهـ (١٢٠)

ولاشك أنه قد يجمع بينهما كما ورد في القرآن الكريم ولكن ليس تأكيداً إذ ليسا هما بمعنى واحد حتى يفيد اجتماعهما التوكيد بل لجمع معني الفاء و (إذا) فيراد باجتماعها السببية والمفاجأة، قال تعالى: ﴿حتى إذا هي فتحت بأجوج وأبجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ واقترب الوعد الحق فإذا هي شاحصة ابصار الذين كفروا يابولنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين — الانبياء ٩٦، ٩٧ ﴿فجمع بين الفاء و (إذا) لارادة معني السبب والمفاجأة، وليس حذف احدهما بغني الآخر عن ذكره كما هو ظاهر كلام الزمخشري، بل إذا حذف احدهما لم يؤد الآخر معناه والله اعلم.

رفع جواب الشرط بغير الفاء

إذا وقع جواب الشرط مضارعاً والشرط ماضياً جاز في جواب الشرط وجهان :
الرفع والجزم نحو (إن جئتني أذك) و (إن جئتني أروك) ^(١٢١) . قال تعالى : ﴿وإذا عملت من سوء تود لو أن يسهاويته أمدأ بعيداً﴾ آل عمران ٣٠ . فما الفرق بين التعبيرين في المعنى ؟

الذي يبدو أن رفع الفعل أقوى وأدل على الامضاء من جزمه وذلك لأنَّ اضل الكلام في الرفع تقدم المتأخر ، والتقدير في الجملة السابقة (أزورك إن جئتني) فيكون الكلام في الرفع قد بني على امضاء الحدث ثم ادرك المتكلم الشرط مؤخراً ^(١٢٢) ، وأما في الجزم فقد بني الكلام على الشرط ابتداءً ولذلك جزم الجواب .

قال سيوريه : "وقد تقول : (إن أتيتني آتيك) أي آتيك إن أتيتني ... ولا يحسن أن تأتي آتيك من قبل أن (إن) هي العاملة ^(١٢٣) .

فبالجزم يكون الكلام مبنيًا على الشرط وبالرفع يكون الكلام مبنيًا على الامضاء ولو كان مبنيًا على الشرط لجزم .

العطف على الشرط والجواب

إذا جئت بفعل مضارع مقرون بالواو أو الفاء بعد فعل الشرط جاز فيه وجهان :
الجزم على الاتباع ، والنصب . تقول : (إن تضرب خالدًا وتهنه اغضب عليك) ونقول : (إن تضرب خالدًا وتهنه اغضب عليك) . فالجزم على العطف والنصب على المعية .

ونقول : (إن تعنف أخاك فتغضبه لا اكلمك) بالجزم ، تقول : (إن تعنف أخاك فتغضبه لا اكلمك) بالنصب على السببية .

(١٢١) انظر شرح الرضي على الكافية ٢/٢٩٠ ، شرح ابن الناطم ٢٨٧ ، شرح الأشموني ١٧/٤ .

(١٢٢) انظر الاصول لان السراج ١٩٦/٢ .

(١٢٣) كتاب سيوريه ٤٦٣/١ .

فإن جئت بالفعل بعد الجواب جاز فيه الرفع على الاستئناف زيادة على الوجهين السابقين^(١٢٤)، نحو (إن تكرم سالماً أكرمك وأساعدك) فالجزم على العطف، والنصب على المعية، والرفع على الاستئناف ومعنى الاستئناف أنك تساعد سواه فعمل ذلك أم ٧

فمعنى الجزم أنك تساعد أن أكرم سالماً، ومعنى الرفع أنك تساعد على كل حال وليست مساعدتك له مرتبطة بالشرط. ومثله قوله تعالى: ﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾ — آل عمران ١٦٦ ﴿﴾، فبناء بالفعل مرفوعاً والمعنى أنهم لا ينصرون وليس ذلك مشروطاً بالقتال وإنما هو اخبار مستأنف ولو جزم لكان مشروطاً بالقتال.

اجتماع الشرط والقسم

إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منها فإن تقدمها ذو خبر جاز جعل الجواب لأي منها^(١٢٥).

وذلك لأن المتقدم يكون الكلام مبنيًا عليه فإذا قلت (والله إن زرتني لأكرمك) فقد بنيت الكلام على القسم وكان الشرط مقيداً له، وإن قلت (إن زرتني والله أكرمك) كنت بنيت الكلام على الشرط وجعلت القسم معترضاً.

جاء في (أمالى ابن السجري): "والله إن قلت لأقومن — لأقومن جواب القسم والشرط معترض... وإن تقدم الشرط كان القسم معترضاً والجواب للشرط مثل: إن قلت والله قلت^(١٢٦)."

فإن تقدمها ذو خبر نحو (أنا والله إن زرتني أكرمك) جاز جعل الجواب للقسم أو للشرط باعتبار أن الكلام بني على أنه تنبيه غير الشرط والقسم وهو يحتاج إلى خبر

(١٢٤) انظر: الأشجوني ٢٤/٤ - ٢٥، التصريح ٢٥١/٢.

(١٢٥) التصريح ٢٥٣/٢، شرح ابن الناظم ٢٩٠، شرح ابن عقيل ١٢٦/٢.

(١٢٦) أمالي ابن السجري ٢٤٠/١، وانظر شرح الرضي على الكافية ٢٨٤/٢، كتاب سيبويه ٤٤٤/١.

فيمكن جعل كل من القسم أو الشرط معترضا فإذا قلت : (انا والله ان تأتني آتاك)
جعلت القسم اعتراضاً بين المبتدأ والخبر، وان قلت (انا والله ان أتيتني لآيتيك)
جعلت الشرط قيداً للقسم.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يبدو أن إطلاق لفظ (معترض) أو (اعتراض)
على الشرط غير موفق أحيانا لأنه قد يفهم أن أهميته ثانوية في الكلام في حين أنه قد
يكون الكلام قسما على الشرط وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم أنك اذن لمن الظالمين— البقرة ١٣٥﴾ فإنه ليس من السداد أن
نقول ان اصل الكلام : والله انك لمن الظالمين ثم اعترض بالشرط ، كيف وقد أقسم
الله على الشرط ؟؟

ونحوه قوله تعالى: ﴿وان اطعموهم انكم لمشركون— الانعام ١٢١﴾ فإن
القسم مضمر عند النحاة وتقدير الكلام (ولئن اطعموهم) بدليل ان الجواب للقسم
ولم يقترن بالفاء.

جاء في (الكتاب) : "فلو قلت : (ان أتيتني لأكرمك) و (ان لم تأتني
لأغضبك) جاز لأنه في معنى لئن أتيتني لأكرمك ، ولئن لم تأتني لأغضبك ولا بد من
هذه اللام مضرة أو مظهرة لأنها لليمين كأنك قلت : والله لئن أتيتني
لأكرمك (١٢٧)..."

وهو كما ترى قسم على الشرط ، فالشرط هو المتصود بالكلام وقد أقسم الله عليه ،
فتسمية الشرط معترضا في نحو هذا تسمية غير موفقة لاتناسب أهميته في الكلام ولا
في اداء المعنى ، وعلى أي حال فهو مصطلح نحوي وهو نظير التسمية بالفضلة مع أن
المعنى يتوقف عليها أحيانا فإذا حذف ذهب معنى الكلام وذلك نحو قوله تعالى :
﴿ولا تمش في الارض مرحا— لقمان ١٨﴾ وقوله : ﴿واذا قاموا الى الصلاة قاموا
كسالى— النساء ١٤٢﴾ وقوله : ﴿وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين—
الانباء ١٦﴾ ، وقول الشاعر :

(١٢٧) كتاب سيبويه ٤٣٦/١ وانظر المعنى ٦٤٠/٢

انما الميت من يعيش كشيئاً كاسفاً بآله قليل الرجاء
ونحو (ضربي العبد مسياً) فإذا حذفت الفضلة في نحو هذا اختل الكلام وفسد
المعنى ومع ذلك فالنصوصات ههنا تسمى فضلة في الاصطلاح ولا مشاحة في
الاصطلاح.

حذف جواب الشرط

أ- حذفه وجوباً :

يحذف جواب الشرط وجوباً وذلك اذا تقدم عليه أو اكتشف ما يدل عليه وكان
فعل الشرط ماضياً نحو (أزورك ان زرتني) ونحو (انت مفلح ان صدقت) و (انت ان
صدقت مفلح). قال تعالى : ﴿وَأَنَا أَن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ — البقرة ٧٠﴾ (١٢٨).

وعند الكوفيين ان جواب الشرط هو المتقدم في نحو (أزورك ان زرتني) (أزورك)
هو الجواب عندهم (١٢٩).

وقد رد البصريون ذلك بأنه لو كان الجواب هو المتقدم لزم اذا كان فعلاً ولزمته
الفاء اذا كان جملة اسمية (١٣٠) فكان يصح أن يقال (أزرك ان زرتني) و (فأنت
مفلح ان صدقت).

ويرده ايضاً أننا نقول (اذا امطرت السماء نبت الزرع) ولا نقول "نبت الزرع اذا
امطرت السماء" بل نقول (ينبت الزرع) ونقول (اذا فارقت الحمى خرج) ولا نقول
(خرج اذا فارقت الحمى) ، ونقول (ان زرتني زرتك) ولا نقول (زرتك ان زرتني) بل
نقول (أزورك) فدل على ان المتقدم ليس جواباً للشرط.

وذهب جماعة من البصريين الى أن ثمة فرقاً في المعنى بين التقديم والتأخير فان قولنا
(أزورك ان زرتني) الكلام فيه مبني على الوعد غير المشروط ثم بدأ للمتكلم ان يشترط
بخلاف ما إذا بدأ بالشرط فقال (ان زرتني زرتك) فانه بناه ابتداء على الشرط.

(١٢٨) انظر المعنى ٦٤٧/٢.

(١٢٩) انظر شرح الاشموني ١٥/٤.

(١٣٠) انظر شرح ابن يعيش ٧/٩.

قال ابن السراج: "فأما قولهم (أحييتك إن جئتني) و (آتيك إن تأتني) فالذي
عندنا أن هذا الجواب محذوف كفي عنه الفعل المقدم وإنما يستعمل هذا على جهتين:
أما أن يضطر إليه شاعر فيقدم الجزاء للضرورة وحقه التأخير

على ما
قدم

قليل من ذلك بل الكلام مبني على الشرط وإن تأخر
جاء في (البرهان): "ففي التقديم بني الكلام على الخبر ثم طرأ التوقف في
التأخير بني الكلام من أوله على الشرط. كذا قاله ابن السراج فتابعه ابن مالك
وغیره.

وفوراً في ذلك بل مع التقديم الكلام مبني على الشرط أي لو قال: (أحييتك إن جئتني) فلو كان
عشرة الدراهم فإنه لم يقر بالعشرة ثم انكر درهما ولو كان كذلك لم يقع الاستثناء
ثم زعم ابن السراج أن ذلك لا يقع إلا في الضرورة وهو مردود بقوله في القرآن
كقوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة ١٧٢]

أما ما زعم ابن السراج زعم أن ذلك لا يقع إلا في الضرورة فمهم على ابن
السراج فإنه لم يقل ذلك، وإنما قال: أن هذا التعبير إما أن يقع في ضرورة شعر وإن
الشاعر لم يقصد منه ما يقصد في اختيار الكلام، وإما أن يكون على نية ذكر الجزاء
بغير شرط ثم بدا له أن يذكر الشرط فيما بعد. وهذا حق.
أما ما ذكره صاحب البرهان فلا أراه ينهض دليلاً على رد ابن السراج فهناك فرق
بين القولين: فقولهم (أحييتك إن جئتني) عشرة الدراهم جملة واحدة. والجملة الواحدة
تؤخذ بكل قهدها. وأما (أحييتك إن جئتني) فجملة ثلثان.

(١٣١) الاستدلال ١٩٦/٢

(١٣٢) البرهان ٣٦٦/٢ - ٣٦٧

وأيا كان الامر فانه يبدو على كمال حال ان الحدث المتقدم أكد وأكثر تحقيقاً من المتأخر، فعلى ما ذكره ابن السراج ان الكلام مبني على الوعد واليقين ولم يبن على الشرط، ولو بناء على الشرط لزمه

وسى
ذلك ان حدوثه أكد وأقوى

واما اذا اكتشف ما يدل عليه نحو قولنا (أنت ان درست ناجح) فالشرط في نحوه اعتراض من غير شك. فأنت بنيت كلامك على اليقين ثم اعترضك الشرط قبل ان تتم الكلام ونحوه (محمد فطنت مسافر) فانك اردت ان تقول عن سعد محمد اليقين ثم اعترضك الظن

وعلى هذا نحن نقول
ان درست. فأنت ناجح.
أنت ان درست ناجح.
أنت ناجح ان درست.

فالجملة الاولى مبنية على الشرط ابتداء. والثانية مبنية على اليقين والشرط معترض. والثالثة مبنية على اليقين حتى اذا مضى الكلام على اليقين أدرك الشرط فاستأنفته في الكلام. فالسراج في الجملة الاخيرة أكد لان الاحتمال مضى على اليقين اما الشرط فتأخر. ثم الثانية لأن الشرط اعترض الخبر، ثم الاولى لأن الكلام فيه مبني على الشرط ابتداء.

اما الاشتراط للمحذوف ان يكون فعل الشرط ماضياً في كل ما مر مع القسم او مع غيره فانه يبدو ان العرب لا تجزم بعد اداة الشرط الا اذا ارادت بناء الكلام على الشرط. فان الجزم بها يعني ان الكلام مبني على الشرط فلا تحذف لأن الكلام سينتقض اذ كيف يكون الكلام مبنياً على الشرط واليقين في وقت واحد؟ فانك اذا قلت (ازورك ان تزورني) كان الكلام مبنياً على الشرط بدلالة الجزم وكان مبنياً على اليقين بدلالة ما تقدم عليه وارتفاعه اذ لو كان جواباً لجزم فيكون الكلام مبنياً على الشرط واليقين في آن واحد وهو باطل.

قال سيبويه : " وبيع في الكلام ان تعمل (إن) أو شيء من حروف الجزاء في
الافعال حتى تجزمه في اللفظ ثم لا يكون لها جواب ينجزم بما قبله .
ألا ترى أنك تقول (آتيك إن أتيتني) ولا تقول (آتيك إن تأنني) إلا في
شعر " (١٣٣)
وهذا يزيد ما ذهب اليه ابن السراج .

ب - حذفه جوازا :

وهو على ضربين :
الاول : أن يحذف اختصار نحو قوله تعالى : ﴿ قالوا طائركم معكم إن ذكرتم بل
انتم قوم مسرفون — يس ١٩ ﴾ أي (تطيرتم) بدليل قوله تعالى (قالوا انا تطيرنا) .
ونحو قوله : ﴿ واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم
ترحمون — يس ٤٥ ﴾ أي (أعرضوا) (١٣٤) .

جاء في (المقتضب) : " فأما حذف الخبر فمعروف جيد من ذلك قوله : ﴿ ولو أن
قرآنا سئرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً ﴾ (١٣٥)
قال الراجز :

لو قد حداهن أبو الجودي

برجز مسحفر الروي

مستويات كنوي البرني

لم يأت بخبر لعلم المخاطب ، ومثل هذا الكلام كثير . ولا يجوز الحذف حتى يكون
المحذوف معلوماً بما يدل عليه من متقدم خبر أو مشاهدة حال " (١٣٦) .
الثاني للدلالة على التفتيح والتعظيم .

(١٣٣) كتاب سيبويه ٤٣٦/١ .

(١٣٤) انظر الايضاح للقرويني ١٨٧/١ ، البرهان ١٨٣/٣ ، المعج ٦٢/٢ ، الاغان ٥٧/٢ .

(١٣٥) الرعد ٣١ .

(١٣٦) المقتضب ٨١/٢ وانظر كتاب سيبويه ٤٥٣/١ .

جاء في (البرهان): "قالوا: وحذف الجواب يقع في مواقع التفضيم والتعظيم ويجوز حذفه لعلم المخاطب به وإنما يحذف لقصد المبالغة لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون له ذلك الوقف، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصاً إلا بعد العلم بالسياق" (١٣٧).

وجاء في (الايضاح) للقزويني: "أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه، ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره كقوله: ﴿وسيق الذين اتقوا إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتح أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طمأن فادخلوها خالدين﴾ (١٣٨) وكقوله: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ (١٣٩) ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ (١٤٠) ﴿ولو ترى إذ همزون ناكسو رؤوسهم عند ربهم﴾ (١٤١) (١٤٢).

وقال ابن يعيش: "وقال أصحابنا إن حذف الجواب في هذه الأشياء ابلغ في المعنى من إظهاره. ألا ترى أنك إذا قلت لعبدك: (والله لئن قت إليك) وسكت عن الجواب ذهب فكره إلى أشياء من أنواع المكروه فلم يدر أيها يقي، ولو قلت: لأضربك فأنيت بالجواب لم تبق شيئاً غير الضرب" (١٤٣).

وجاء في (الاتقان): "أنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعددها طول وسآمة فيحذف ويكتفى بدلالة الحال وترك النفس تجول في الأشياء المكنية بالحال عن ذكرها. قال ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي

(١٣٧) البرهان ٣/ ١٨٣.

(١٣٨) الزمر ٧٣.

(١٣٩) الانعام ٢٧.

(١٤٠) الانعام ٣٠.

(١٤١) السجدة ١٢.

(١٤٢) الايضاح ١/ ١٨٧-١٨٨.

(١٤٣) شرح ابن يعيش ٩/ ٩.

يراد بها التعجب والتعويل على النفوس ومنه قوله في وصف أهل الجنة : ﴿ حتى إذا
جاؤها وفتحت أبوابها ﴾ فحذف الجواب إذا كان وصف ما يحدوته ويلقونه عند ذلك
لا يشاهي وسما الحذف دليلا على سبق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركب
ذلك منه ما هنالك وكذا قوله : ﴿ ولو نرى رب
أفتر على آياتنا ﴾ مرة فظيما لأنكاد نحيط به العبارة (١٤٤)

وقال رسول الله ﷺ وسبق الذين كفروا إلى جهنم رميا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها
وقال لهم عزربا أم يأتيكم رسل منكم الزمر ٧٩ ﴿

وقال رسول الله ﷺ وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها
وقال لهم عزربا سلام عليكم طينم فادخلوها خالدين الزمر ٧٣ ﴿

فقال في أهل جهنم : ﴿ حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها ﴾ فبمعنى جواب الشرط
(فتحت أبوابها) . وقال في أهل الجنة : ﴿ حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها ﴾ فجاء بالواو
(وافتحت) وحذف الجواب .

قالوا : لأن جهنم مسجون لا أصحابها والمسجون مفتحة الأبواب لا تفتح إلا لدخول
فيها أو خروج منها . ثم قال تعالى : ﴿ أنها عليهم مؤسدة المسرة ٨ ﴾ . في حين
قال في أهل الجنة (وافتحت أبوابها) لأن أبوابها مفتحة لأنها دار الكرامة . قال تعالى :
﴿ جذات عدن مفتحة لهم الأبواب ص ٥٠ ﴾ . وحذف الجواب لأن الكلام
يضيئ عن وصف الكرامة التي أعدت لهم .

جاء في (الكشاف) في هذه الآية : وإنما حذف [يعني الجواب] لأنه في صفة
نواب أهل الجنة فدل بخدقه على أنه شيء لا يحيط به الوصف . وقيل أبواب جهنم
لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها ، وأما أبواب الجنة فتتقدم فتحها بتدليل قوله
﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾ فلذلك جني بالواو كأنه قيل حتى إذا جاؤها وقد
فتحت أبوابها (١٤٥)

(١٤٤) الانقان ٥٧/٢

(١٤٥) الكشاف ٤١/٢ وانظر التفسير الكـ ٢٣/٢٧

وجاء في (البرهان) في هذه الآية ان ابا علي قال : "انما تركت الواو في التار لانها
مغلقة وكان مجيئهم شرطا في فتحها فتقوله (فتحت) فيه معنى الشرط . واما قوله
(وفتحت) في الجنة فهذه واو الحال كأنه قال : جاؤا وهي منتحة الابواب أو هذه
حاجها .

وهذا الذي قاله ابو علي هو السواب ويتشهد له أمران .

أحدهما : ان العادة مطروقة شاهدة في اهانة المعبدين بالسجود من أجل قبحها حتى
يردوا عليها وأكرام المتعبدين بإعداد فتح الابواب لهم مبادرة وأهنياء .
والثاني : النظم في قوله ﴿ جنات عدن منتحة لهم الابواب ﴾ (١٤٦) .

ومن الحذف : لانه على ان ويل والتعظيم قوله تعالى : ﴿ ولو ترى اذ وقفوا على
النار ﴾ (١٤٧) . وقوله : ﴿ ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة
باسطون ايديهم ﴾ (١٤٨) . انفسكم - الانعام ٩٣ ﴿ ويقولون (لو رأيت فلانا والسيئات
تأخذ منه) ولذا . وهذا الحذف اقبح واعظم لان على هذا التقدير يذهب خاطر
المخاطب الى كل من من السيد فيكون الخوف على هذا التقدير أشد مما اذا كان
قويين له ذلك انجبا .

(١٤٦) البرهان ١٨٩/٣ - ١٩٠ . وانظر بائع العنوان ١٧٤/٢ - ١٧٥ .

(١٤٧) التفسير الكبير للرازي ٤ : ٢٣٥ - ٢٣٦ . وانظر الكشف ٢٤٩/١ . قوله تعالى : ﴿ ولو ترى اذ يرون
ظلموا اذ يرون العذاب ﴾ .

تشبيه الاسم الموصول بالشرط

قد يشبه الاسم الموصول بالشرط فتدخل في جوابه الفاء نحو (الذي يدخل الدار فله مكافأة) فان دخول الفاء معناه ان المكافأة تترتب على دخول الدار ترتب الجزاء على الشرط فيكون دخول الدار سبباً للحصول على المكافأة ، واما حذفها فيحتمل السببية وغيرها أي يحتمل ان المكافأة مترتبة على الدخول كالجملية السابقة ، ويحتمل ان المكافأة ليست مترتبة على الدخول بل هي له قبل أن يدخل كأنك تقول : انظر الى ذلك الذي يدخل الدار فان له مكافأة ، فليس دخول الدار سبباً للحصول عليها .

وعلى هذا فدخول الفاء يفيد التنصيص على السبب وحذفها لا يفيد التنصيص على شيء بل يحتمل السبب وغيره .

جاء في (الكامل) في قولهم (الذي يأتيه فله درهم) "فدخلت الفاء لانه استحق الدرهم بالاثيان فان لم ترد هذا المعنى قلت : الذي يأتيه له درهم" (١).

وقال سيبويه : "وسألت عن قوله (الذي يأتيه فله درهمان) لم جاز دخول الفاء ههنا ، و (الذي يأتيه) بمنزلة (عبدالله) وأنت لا يجوز لك ان تقول (عبدالله فله درهمان) ؟

فقال : انما يحسن في (الذي) لانه جعل الآخر جواباً للاول وجعل الاول به يجب له الدرهمان فدخلت الفاء ههنا كما دخلت في الجزاء إذا قال : (إن يأتي فله درهمان) . وان شاء قال (الذي يأتيه له درهمان) كما تقول : (عبدالله له درهمان) غير أنه انما دخل الفاء لتكون العطية مع وقوع الاثيان ، فاذا قاله (له درهمان) فقد يكون ان لا يوجب ذلك بالاثيان ، فاذا ادخل الفاء وانما يجعل الاثيان سبب ذلك فهذا جزاء وان لم يجزم لانه صلة" (٢).

(١) الكامل ٦٤٢/٢ .

(٢) كتاب سيبويه ٤٥٣/١ وانظر الخصائص ٣٢٤/٣ ، شرح ابن يعيش ١٠٠/١-١٠١ .

ولا يفيد حذف الفاء تنصيحا على عدم السبب كما ذهب إليه المبرد وجماعة من النجاة.

جاء في (المقتضب) : "ألا ترى أنك تقول : (الذي يأتيك فله درهم) فلولا أن الدرهم يجب بالاثيان لم يجر دخول الفاء كما لا يجوز (زيد فله درهم) و (عبدالله فنطلق)... فإذا قلت (الذي يأتيك له درهم) لم نجعل الدرهم له بالاثيان... بل ان الفاء تفيد التنصيص على السبب وتجرى الجواب منها يفيد احتمال السببية وغيرها فإذا قلت (الذي يفتح الصندوق له خمسة دراهم) — بلا فاء — فإن قولك هذا يحتمل السببية وغيرها أي يحتمل أن الحصول على الدراهم يكون بسبب فتح الصندوق ويحتمل أن الشخص الذي يفتح الصندوق له مبلغ خمسة دراهم وليست هذه الدراهم يستحقها بسبب فتح الصندوق بل هي له قبل أن يباشر فتح الصندوق فكأنك قلت : انظر إلى هذا الشخص الذي يفتح الصندوق فإن له خمسة دراهم.

ولكن إذا قلت (الذي يفتح الصندوق فله خمسة دراهم) فقد جعلت استحقاق الدراهم بسبب فتح الصندوق.

قال ابن هشام : "كما تربط الفاء الجواب بشرطه كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط وذلك في نحو (الذي يأتيك فله درهم) ويدخلها فهم ما اراده المتكلم من ترتيب لزوم الدرهم على الاثيان ولو لم تدخل احتمال ذلك وغيره..." (١)

وهذا ما اشار اليه سيوبه في قوله الذي ذكرناه "غير انه انما ادخل الفاء لتكون العطية مع وقوع الاثيان، فإذا قال (له درهمان) فقد يكون أن لا يوجب ذلك بالاثيان" أي يحتمل ذلك وغيره.

قال تعالى : ﴿وَاللّٰتِي يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوْنَ عَلَيْهِنَّ اَرْبَعَةً مِنْكُمُ — النِّسَاء ١٥﴾ فلا استشهاد بترتيب على اثيان الفاحشة.

(٣) المقتضب ٣/١٩٥-١٩٦.

(٤) المغني ١/١٦٥ وانظر شرح الرضي ١/١٠٩، التصريح ١/١٧٤.

وقال : ﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما - النساء ١٦ ﴾ فالأيداء منترب على
أثبان الفاحشة ترتب الجزاء على الشرط .
يدلك على ذلك الاستعمال القرآني .

قال تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم
أذى لهم أجرحهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾
وقال : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فممن
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون - البقرة ٢٧٤ ﴾
فجاء في الثانية بالنساء دون الأولى وذلك لأن الحالة الثانية أمثل وأشد من الأولى
يدلك على ذلك كثرة الاعداء وعمومه والاختصاص فيه في الثانية فدرك ﴿ الذين
ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية ﴾ ولم يقل مثل ذلك في الأولى ، مؤلفاً لهم
ممن قبلهم فأكد لهم الجزاء وربطه بالنساء .

وقال : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن نقبل شفعتهم يومئذ ﴾
الضالكون - آل عمران ٩٠

وقال : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أيمانهم شئ ولا ينفعهم
ذهباً ولو افقدنى به - آل عمران ٩١ ﴾

فجاء في الثانية بالنساء دون الأولى وذلك لما في الثانية من تأكيد وهدايتهم أنهم
وهم كفار بخلاف الأولى .
ومثله قوله تعالى :

﴿ إن الذين كفروا وصعدوا عن سبيل الله وشأنهم المرسلون من بعد ذلك ﴾
لن يقضوا الله شيئاً وسيجزيهم أعمالهم - محمد ٣٢

وقوله : ﴿ إن الذين كفروا وصعدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار ﴾
لم - محمد ٣٤

وهو نظير مأمور، فقد جرد الأولى من الفاء وجاء في الثانية بالفاء تأكيداً وذلك
لأنهم ماتوا وهم كفار.

وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ - البروج ١٠﴾

وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ - البروج ١١﴾

فجاء في الأولى بالفاء دون الثانية وذلك لأن المقام والسياق يقتضيان تأكيد الأولى
وذلك أنها جاءت تعقياً على الذين فتنوا المؤمنين عن دينهم وجعلوهم في الاختديد
وأضرموا عليهم النار ﴿قَتَلَ أَصْحَابَ الْأَخْضُدِ النَّارَ ذَاتَ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ -
البروج ٤-٦﴾ فأكد لهم العذاب بسبب فتنهم المؤمنين عن دينهم

ويتمثل أن يكون حذف الفاء من أصحاب الجنة إشارة إلى أن دخول الجنة ليس
بالعمل وحده بل هو برحمة من الله وفضل كما ذكر الرسول (ﷺ) لأن العمل
الصالح لا يبلغ أن يكون مقابلاً للجنة فيكون دخولها برحمة الله واقتسامها بالعمل
قال (ﷺ) : (لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :
وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ) فحذف الفاء في أهل الجنة لأنها ليست
السبب للدخول وجاء بها في أهل النار لأن أعمالهم هي السبب في دخولها والله أعلم.

وأما قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ - النِّين
٦﴾ فإنه ورد بالفاء لأن الإيمان والعمل الصالح هما سبب الأجر. فالفرق بين هذه
الآية والتي قبلها أن تلك في الجنة والعمل ليس مقابلاً للجنة ، وهذه في الأجر وهو
سبب له والله أعلم.

ولا يقتصر التشبيه بالشرط على الاسم الموصول بل النكرة الموصوفة إذا كانت
صفتها جملة فعلية أو ظرفاً بشرط قصد العموم فقد تتضمن معنى الشرط ويكون في

جوابها الفاء نحو (كل رجل يأتيني فله دينار) و (كل رجل في الدار فله درهم) ^(٥) و (رجل يسألني فله أجر) و (رجل في المسجد فله بر) ^(٦).

وكذلك المبتدأ أو اسم (إن) إذا كان معرفة موصوفاً بالاسم الموصول نحو قوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح - النور ٦٠﴾ وقوله: ﴿قل إن الموت الذي تقرون منه فإنه ملاقيكم - الجمعة ١﴾ (السعي الذي تسعاه فستلقاه) ^(٧). وغير ذلك ^(٨).

(٥) الفصل ٨٠/١، وانظر كتاب حيبويه ٤٥٣/١.

(٦) أنظر شرح الأشموني ٢٢٤/١ - ٢٢٥.

(٧) أنظر المجمع ١٠٩/١، شرح الأشموني ٢٢٤/١ - ٢٢٥.

(٨) أنظر المجمع ١٠٩/١.

التوكيد

التوكيد يفيد تقوية المؤكد وتمكينه في ذهن السامع وقلبه ، جاء في (المفصل :
« وجدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع
ومكثته في قلبه وأعطت شبهة ربما خالجت أو توهمت غفلة وذهاباً عما أنت بصدده
فأزله » (١).

والعرب تؤكد كل شيء تراه في حاجة الى التوكيد فهي قد تؤكد الحكم كله أو
تؤكد جزءاً منه وقد تؤكد لفظة بعينها أو تؤكد مضمون الحكم أو مضمون اللفظة . أو
غير ذلك ، فنقول (إن محمداً مريض) و (محمد مريض محمد مريض) فهذا تأكيد
للحكم.

ونقول : (محمد نفسه مريض) فهذا تأكيد لكلمة واحدة.

ونقول : (محمد ساع الى الخير معياً) فهذا تأكيد للحدث الذي تضمنه اسم
الفاعل.

ونقول (أدلت ليلاً) فهذا تأكيد للزمن الذي تضمنه الدلج ، لان الدلج هو
السير في الليل خاصة . قال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً - الإسراء ٢﴾
ف (ليلاً) تأكيد للزمن الذي تضمنه الاسراء.

ونقول (لك علي مائة دينار اعترافاً) فهذا تأكيد لمضمون الجملة لانه اعتراف
بالدين ولو لم تقل (اعترافاً).

وقد اقتتت العرب في ذلك افتناناً واسعاً فجاءت بالتوكيد على صور متعددة
فهناك :

١ - ألفاظ تفيد التوكيد حيثما وقعت مثل ان ولام الابتداء ونوني التوكيد الثقيلة
والخفيفة.

(١) المفصل ٤ / ٢ وانظر شرح ابن يعيش ٤٠ / ٣ .

٢ - ألفاظ تفيد التوكيد في مواطن دون أخرى وهي الحروف الزائدة مثل ما ولا والباء وإن وأن وذلك نحو قوله ﴿حتى إذا ما جاءوها﴾ فصلت ٢٠ ﴿وعمّا قليل لبصبحن نادمين﴾ المؤمنون ٤٠ ﴿و (ما) هنا حرف زائد أفاد التوكيد. ونحو ﴿قال مامنك أن لا نسجد﴾ الاعراف ١٢ ﴿و (لا) هنا حرف زائد أي مامنك أن نسجد وهي تفيد التوكيد. وكالباء في الخبر نحو ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ فصلت ٤٦ ﴿

٣ - ثم قد يكون التوكيد على صور إعرابية وتركيبية مختلفة ، فقد يكون على صورة مفعول مطلق سواء كان مؤكداً لمصدر عامله نحو ﴿وكلّم الله موسى تكليماً﴾ النساء ١٦٤ ﴿أم كان مؤكداً لمضمون الجملة وهو المؤكد لنفسه أو لغيره نحو ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ آل عمران ١٤٥ ﴿و (أنت أنحي يقيناً)﴾

وقد يكون بصورة ظرف مؤكد لزمان عامله نحو ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ الاسراء ١ ﴿و (تكلم حيناً) فإن التكلم لا يكون إلا في حين.

وقد يكون على صورة حال نحو ﴿أقبل الطلاب كافة﴾ و ﴿ولّى مديراً﴾ القصص ٣١ ﴿

وقد يكون على صورة نعت نحو ﴿أمسس الدابر لا يعود﴾ لأن كل أمسس دابر ونحو ﴿فإذا نضج في الصور نفخة واحدة﴾ الحاقة ١٣ ﴿و (أقبل رجلان اثنتان).

وقد يكون على صورة مخطوف نحو ﴿هذا كذب واقتراء﴾ و ﴿هذا ضلال وضّي﴾ وقد يكون على صورة جار ومجرور نحو قوله تعالى ﴿فخبر عليهم السقف من فوقهم النحل﴾ النحل ٢٦ ﴿لأن السقف لا يكون إلا فوقاً. ونحو ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ الانعام ٣٨ ﴿والطيران لا يكون إلا بالجناحين.

وغير ذلك من الصور.

٤ - ثم قد يكون بصورة تابع متجرد للتوكيد وهو الذي يسميه بعضهم (التوكيد الصناعي) ^(٢) . وأكثر ما ذكرت مر في بابه الذي هو الصق به .

تقول (قطع الامير اللص) اي قطع غلامه بأمره فيجب اذن إما تكرير لفظ المنسوب اليه نحو (ضرب زيد زيد) أي ضرب هو لامن يقوم مقامه أو تكريره معنى وذلك بالنفس والعين ومتصرفاتها لاغير^(١٠) .

الفاظه :

ذكرنا أن الفاظ هذا التوكيد هي (النفس) و (العين) ومشتقاتها مضافة الى ضمير المؤكد. ويستعمل في التثنية والجمع وزن (أفعل) فتقول (حضرت البنتان انفسها) و (حضرت البنات اعينهن) و (حضر الطالبان انفسهما او اعينها) و (حضر الطلاب انفسهم او اعينهم).

والمقصود بلفظ (النفس) و (العين) حقيقة الشيء^(١١) جاء في (بدائع الفوائد) : «واما النفس فعلى اصل موضوعها انما هي عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد»^(١٢) .

«والعين : يراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان او مايقوم مقام العيان .

وليست اللفظة على اصل موضوعها لان اصلها أن يكون مصدراً وصفة لمن قامت به ثم عبر عن حقيقة الشيء ب (العين) كما عبر عن الوحش ب (الصيد) وانما (الصيد) في اصل موضوعه مصدر من صاد يصيد ومن ههنا لم يرد في الشريعة عبارة عن نفس الباري سبحانه وتعالى لانه نفسه سبحانه غير مدركة بالعيان في حقنا اليوم»^(١٣) .

وجاء في (لسان العرب) : «والعين عند العرب حقيقة الشيء... وعين الشيء نفسه وشخصه وأصله والجمع (أعيان) . وعين كل شيء نفسه وحاضره وشاهده . وفي الحديث : اوه عينُ الربا أي ذاته ونفسه . ويقال : هو هو عينا وهو هو بعينه ، وهذه

(١٠) شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٦٠ - ٣٦١ وانظر شرح شذور الذهب ٥٠٨ - ٥٠٩ ، شرح ابن يعيش ٤٠ / ٣ - ٤١ .

(١١) انظر شرح عمدة الحفاظ ٥٥٥ .

(١٢) بدائع الفوائد ٢ / ٦ .

(١٣) المصدر السابق ٢ / ٢ .

اعيان دراهمك ، ودراهمك باعيانها... ويقال : إن فلان لكريم عين الكرم ، ولا اطلب اثراً بعد عين أي بعد معاينة^(١٤) .

واذا اجتمعت النفس والعين قدمت النفس على العين فتقول (قدم محمد نفسه عينه) وليس العكس قالوا لان الاصل في الاطلاق على الحقيقة هي النفس ، والعين منقولة اليها (جاء في شرح الرضي على الكافية) : « واما تقديم النفس على العين فلأن النفس لفظ موضوع لماهيتها حقيقة ولفظ العين مستعار لها مجازاً من الجارحة المخصصة كالوجه في قوله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه)^(١٥) أي ذاته^(١٦) .

ويبدو أن لفظ (العين) اطلق تجوزاً على حقيقة الشيء فاما ان يكون لفظ (العين) في الاصل مصدراً أطلق على (المعين) أي المرئي وهو الذي تدركه العين كما ذكر ابن القيم ثم اتسع استعمالها لغير المرئي فتقول (هو الربا بعينه) و(هو عين الحق) أو (الحق بعينه) و(هو عين الكذب) أو (الكذب بعينه) . والربا والحق والكذب ونحوها مما لا يدرك بالعين .

أو تكون في الاصل مستعارة من العين التي هي الجارحة فأطلق الجزء على الذات كما ذكر الرضي وكما نقول الآن في لغتنا الدارجة (اقبل اخوك برأسه) و(أقبل بعينه) فالرأس هو جزء وكذلك العين وقد أطلقا على الكل ثم اصبح المقصود بالرأس والعين الذات او الحقيقة .

ثم توسع في الاستعمال فاصبح التعبير يطلق على ما ليس جارحة . وعلى أي حال فهي تستعمل في التوكيد بمعنى حقيقة الشيء وذاته .

ويبدو ان الرأي الثاني ارجح اذ إن هناك نظيراً لهذا الاستعمال في اللغات السامية الاخرى فبعضها يستعمل (الرأس) بمعنى الشخص . جاء في (التطور النحوي) «وتقارب النفس في العربية العين وهي تضاف اكثر مما تبدل نحو (عين الامر) وقد تؤخر مع الحاق الباء نحو (الامر بعينه) وهي في هذا المعنى خاصة بالعربية .

(١٤) لسان العرب (عين) .

(١٥) القصص ٨٨ .

(١٦) شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٦٨ .

ويوجد في سائر اللغات السامية أسماء أخرى مرادفة لها نحو (الرأس) أو qnōmā في السريانية ومعناها (الشخص) (١٧) .

ولا نزال في لغتنا الدارجة نستعمل الرأس للتوكيد فنقول (رأيتك برأسه) او (حتى يأتيني هو برأسه) أي بنفسه .

وتختص (النفس) و (العين) بجواز جرهما بالباء الزائدة زيادة في التوكيد نحو (اقبل الامير بنفسه) و (اقبلت هند بعينها) ولا يجوز ذلك في غيرهما من الفاظ التوكيد (١٨) .

ويبدو أن هذه الباء ليست زائدة بمعنى أن حذفها وذكرها سيان فليس قولنا (اقبل اخوك بنفسه) مثل (اقبل اخوك نفسه) وانما تفيد الباء أن المؤكد فعل ذلك وما كان متوقعا منه ان يفعل او بعبارة أخرى انها يؤتى بها للاهتمام الزائد فقولك (اقبل اخوك بنفسه) معناه اقبل وما كان متوقعا أن يقبل اما لان اخاك بمنزلة عالية لاتناسب مجيئه او لغير ذلك .

ولا نزال نحن نستعمل هذه الباء فنقول (ذهبت اليه بنفسه فلم يفعل) بمعنى أن هذا اقصى ما استطيع أن أفعله . وتقول (كلمته انا بنفسه فرد كلامي) .

ومثله ما تقوله العامة (ذهبت اليه برجلي) وهو كناية عن الاهتمام الكثير بالشيء .
٢- والغرض الثاني هو رفع احتمال عدم ارادة الشمول وذلك نحو ان تقول (اقبل الطلاب) فان هذا القول يحتمل ان المقبلين هم اكثر الطلاب وليس فيه تنصيب على قصد العموم والاحاطة فاذا اردت التنصيب على قصد العموم رفعت هذا الاحتمال فتقول : جاء الطلاب كلهم او جميعهم او اجمعون او نحو ذلك فيفيد الاحاطة والشمول .

(١٧) التطور النحوي ٩٨ - ٩٩ .

(١٨) انظر شرح عمدة الحفاظ ٥٦١ ، المص ١٢٢ / ٢ ، شرح الاشموني ٣ / ٧٧ .

الفاظ هذا التوكيد :
يؤكد لهذا الغرض بالالفاظ الدالة على العموم واشهرها هي :

كل :

وهو اسم يفيد الاستغراق والاحاطة بالافراد والاجزاء . تقول (كل ظالم مبغوض)
فانه يفيد استغراق افراد الظالمين . قال تعالى ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ - الطور ٢١
فهذا استغراق واحاطة بجميع الافراد . وتقول (كل البشر محاسب) فهذا استغراق
لافراد البشر .

فاذا اضيفت الى نكرة افادت استغراق كل فرد من افراد الجنس ، واذا اضيفت
الى معرفة فان كانت المعرفة عامة استغرقت كل الافراد كما في قولنا (كل البشر
محاسب) واذا كانت معهودة استغرقت كل الافراد المعهودين نحو (اقبل كل الطلاب)
فهو استغراق لطلاب مخصوصين .

وقد تستغرق الاجزاء نحو قولك (اكلت كل تفاحتك) اي كل اجزائها فاذا قلت
(اكلت كل تفاحك) كان المعنى انك اكلت كل افراده .

جاء في (المغني) في هذه اللفظة «اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو (كل
نفس ذائقة الموت)»^(١٩) والمعروف المجموع نحو ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فردا﴾^(٢٠) واجزاء
المفرد المعروف نحو (كل زيد حسن) فاذا قلت (اكلت كل رغيف لزيد) كانت لعموم
الافراد فان اضيفت الرغيف الى زيد صارت لعموم اجزاء فرد واحد»^(٢١) .

و (كل) تضاف الى النكرات والى المعارف وقد تقطع عن الاضافة لفظا وينوى
معناها . فاذا اضيفت الى نكرة روعي معناها ان كان مؤنثا او مذكرا مفردا او غيره .
تقول (كل رجل اهداني كتابا) فعاد الضمير عليها مفردا مذكرا و (كل امرأة اهدت

(١٩) آل عمران ١٨٥ .

(٢٠) مريم ٩٥ .

(٢١) المغني ١ / ١٩٣ .

قرطا) فعاد الضمير عليها مفردا مؤنثا وتقول (كل رجلين ذهبوا في طريق) و (كل فريق ذهبوا في واد).

جاء في (المغني): «واعلم ان لفظ (كل) حكمه الافراد والتذكير، وان معناها بحسب ما تضاف اليه فان كانت مضافة الى منكر وجب مراعاة معناها ولذلك جاء الضمير مفردا مذكرا في نحو ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾^(٢٢) و ﴿كل انسان الزمناه طائره في عنقه﴾^(٢٣)... ومفردا مؤنثا في قوله تعالى ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾^(٢٤). ومجموعا مذكرا في قوله تعالى ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (المؤمنون ٥٣)^(٢٥).

واذا اضيفت الى معرفة فقالوا يصح مراعاة اللفظ والمعنى فتقول (كل اخوتك ذاهب) والمعنى كل منهم ذاهب. و (كل اخوتك ذاهبون). جاء في (المخصص): «ان (كلا) لفظ واحد ومعناه جميع ولهذا يحمل مرة على اللفظ ومرة على المعنى فيقال كلهم ذاهب وكلهم ذاهبون»^(٢٦). وقيل بل لا يعود الضمير عليها من خبرها الا مفردا مذكرا^(٢٧).

فان قطعت عن الاضافة لفظا جاز مراعاة اللفظ والمعنى قال تعالى: ﴿كل آمن بالله - البقرة ٢٨٥﴾ وقال ﴿كل كذب الرسل - ق ١٤﴾ وقال ﴿كل له قانتون - البقرة ١١٦﴾ وقال: ﴿وكل في فلك يسبحون - يس ٤٠﴾ فأفرد مراعاة للفظ (كل) وجمع مراعاة لمعناها قال ابن هشام: «والصواب ان المقدريكون مفردا نكرة فيجب الافراد كما لو صرح بالمفرد ويكون جمعا معروفا فيجب الجمع وان كانت المعرفة لو ذكرت لوجب الافراد ولكن فعل ذلك تنبيها على حال المحذوف فيها، فالاول نحو ﴿كل يعمل على شاكلته﴾^(٢٨) ﴿كل آمن بالله﴾ ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾^(٢٩) اذ التقدير كل أحد.

(٢٢) القمر ٥٢.

(٢٣) الاسراء ١٣.

(٢٤) المغني ١ / ١٩٩.

(٢٥) المدثر ٣٨.

(٢٦) الاسراء ٨٤.

(٢٧) المغني ١ / ١٩٦ - ١٩٧.

(٢٨) النور ٤١.

(٢٩) النور ٤١.

والثاني نحو ﴿كل له قانتون﴾ ﴿كل في فلك يسبحون﴾ و ﴿كل اتوه
داخرين﴾ (٣٠) ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ (٣١) أي كلهم (٣٢).

وجاء في (بدائع الفوائد) أن الاخبار بالجمع معناه انهم مجتمعون في الحدث وان
الافراد معناه ان كل واحد قام به على انفراد فاذا قلت (كل حضض) كان المعنى ان كل
واحد منهم حضر واذا قلت (كل حضروا) كان المعنى انهم اجتمعوا في الحضور. وكذا

اذا كانت مضافة لفظا نحو (كلهم حضروا) و (كلهم حضض) غير أنه في الجملة الاولى
أي (كلهم حضروا) أفاد التعبير احتمال اجتماعهم في الحضور واحتمال حضورهم
فرادى بخلاف الثانية فانها تفيد حضور كل واحد منهم على رسله جاء في (بدائع
الفوائد): ﴿كل اخوتك ضربني﴾ يقتضي أن كل واحد منهم ضربك. فلو قلت (كل
اخوتك ضربوني) و (كل القوم جاؤوني) احتمل ذلك واحتمل ان يكونوا اجتمعوا في
الضرب والمجيئ لأنك اخبرت عن جملتهم بنحبر واقع عن الجملة بخلاف قولك (كل
اخوتك جاءني) فإنما هو إخبار عن كل واحد منهم وإن الاخبار بالمجيئ عم بمجيئهم.

فتأمل على هذا قوله تعالى ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ (٣٣) كيف افرد الخبر
لانه لم يرد اجتماعهم فيه. قال تعالى ﴿كل الينا راجعون﴾ (٣٤) فجمع لما اراد الاجتماع
في المجيء... ولا يرد على هذا قوله تعالى ﴿وله من في السماوات والارض كل له
قانتون﴾ (٣٥) بل هو تحقيق له وشاهد لان القنوت هنا هو العبودية العامة التي يشترك
فيها اهل السماوات والارض ولا يختص بها بعضهم عن بعض... وهذا بخلاف قوله
تعالى ﴿كل من عليها فان﴾ (٣٦) افرد لما لم يجتمعوا في الفناء....

ومما جاء مجموعا لاجتماع الخبر قوله تعالى ﴿كل في فلك يسبحون﴾ (٣٧) وما افرد
لعدم اجتماع الخبر قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود

(٣٤) الانبياء ٩٣.

(٣٥) الروم ٢٦.

(٣٦) الرحمن ٢٦.

(٣٧) يس ٢٠.

(٣٠) القمل ٨٧.

(٣١) الانفال ٥٤.

(٣٢) المغني ١ / ٢٠٠.

(٣٣) الاسراء ٨٤.

٢٠ محسباً بديل

وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب. إن كل الكذب الرسل فحق عقاب ﴿٣٨﴾ فافرد لما لم يجتمعوا في التكذيب ﴿٣٩﴾.

وذكروا مسألة اخرى في (كل) وهي انها اذا وقعت في حيز النفي افادت ثبوت الفعل لبعض الافراد واذا لم تقع في حيزه اقتضى النفي عن كل فرد. فاذا قلت (لم يجئ كل الطلاب) كان معناه انه جاء قسم منهم ، واذا قلت (كل الطلاب لم يجئ) كان المعنى انه لم يأت منهم أحد.

قيل : وقد يخرج عن هذا نحو قوله تعالى ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم - البقرة ٢٧٦﴾ وأجيب عن ذلك بان ذلك حاصل إذا لم يدل دليل على خلافه فان دل دليل كان بحسبه. جاء في (المغني) : «قال البيانون : اذا وقعت (كل) في حيز النفي كان النفي موجها الى الشمول خاصة وافاد بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الافراد كقولك (ما جاء كل القوم) و (لم آخذ كل الدراهم) وكل الدراهم لم آخذ. وقوله : ما كل رأي الفتي يدعو الى رشد وقوله :

ماكل مايتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

وان وقع النفي في حيزها اقتضى السلب عن كل فرد كقوله عليه الصلاة والسلام لما قال له ذو اليدنين : أنسيت ام قصرت الصلاة ؟ كل ذلك لم يكن. وقول ابن النجم :

قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع

(٣٨) ص ١٢ - ١٤

(٣٩) بدائع الفوائد ١ / ٢١٤ - ٢١٥.

وقد يشكل على قوهم في القسم الاول قوله تعالى ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ (٤٠) ...

والجواب عن الآية ان دلالة المفهوم انما يعول عليها عند عدم المعارض وهو هنا موجود اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقا (٤١) .
وهذا كله اذا لم تقع تأكيدا .

فان وقعت تأكيدا اضيفت لفظا الى ضمير المؤكد نحو (الطلاب كلهم حاضرون)
فاذا كان المؤكد جنسا عاما كان التوكيد يشمل كل افراد الجنس نحو (الخلق كلهم عيال الله) و (الناس كلهم ميتون) . واذا كان معهودا كان يشمل كل اولئك الافراد المعهودين نحو (حضر طلاب الصف كلهم) جاء في (بدائع الفوائد) : « ان (كلا) اذا تقدمت تقتضي الاحاطة بالجنس واذا تأخرت وكانت توكيدا اقتضت الاحاطة بالمؤكد خاصة جنسا شائعا كان او معهودا » (٤٢) .

وقد تقول : ما الفرق بينها اذا تقدمت او كانت مؤكدة نحو (كل الطلاب حضر) أو (حضر الطلاب كلهم) ؟

والجواب هو انها اذا تقدمت افادت العموم ابتداء ولم تدع احتمالا لغير الاحاطة واذا تأخرت وكانت مؤكدة احتمل الكلام العموم وغيره ثم جئت بما يرفع احتمال عدم العموم .

ثم انها مع التقدم يمكن التعبير بها للدلالة على الاحاطة والشمول بصورة اوسع مما تقع مؤكدة ، فانها اذا وقعت مؤكدة افادت العموم في المعارف فقط ، اما اذا تقدمت فإنها تفيد العموم في النكرات والمعارف مفردا او غيره مما لا يصح ان يقع مؤكدا وذلك نحو قوله تعالى ﴿كل نفس بما كسبت رهينة - المذثر ٣٨﴾ ولا يقال (نفس كلها بما كسبت رهينة) ، وقال ﴿تدمر كل شيء بامر ربها - الاحقاف ٢٥﴾ ولا يقال (تدمر

(٤٠) الحديد ٢٣ .

(٤١) المغني ١ / ٢٠٠ - ٢٠١ وانظر دلائل الاعجاز ٢١٥ وما بعدها .

(٤٢) بدائع الفوائد ١ / ٢١٢ - ٢١٣ .

شيئا كله) ، وقال ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - النحل ١١١﴾ ولا يقال : (يوم تأتي نفس كلها) .

وحتى اذا قيل نحو ذلك على مذهب الكوفيين فان المعنى يختلف فانه يصح على مذهب الكوفيين ان تقول (صمت شهرا كله) لان النكرة محدودة^(٤٣) ولكن اذا قدمت (كلا) وقلت (صمت كل شهر) تغير المعنى واصبحت تفيد استغراق الشهور .

جميع :

وهي مأخوذة من الاجتماع وتستعمل لعدة معان :
فقد تكون بمعنى مجتمع يوصف بها المفرد يقال (هو رجل جميع) بمعنى مجتمع الخلق أي قوي ، ورجل جميع السلاح أي مجتمع السلاح^(٤٤) .

ويوصف بها الجمع فيقال (هؤلاء جميع) أي مجتمعون قال تعالى ﴿وانا لجميع حاذرون - الشعراء ٥٦﴾ اي مجتمعون ، وقال ﴿ام يقولون نحن جميع منتصر . سبهم الجمع ويولون الدبر - القمر ٤٤ ، ٤٥﴾ أي مجتمعون ، وقال ﴿وان كل لما جميع لدينا محضرون - يس ٣٢﴾ ومعناها كلهم مجموعون . جاء في (الكشاف) في هذه الآية : «والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون لمحضرون للحساب يوم القيامة . وقيل محضرون معذبون .

فان قلت : كيف اخبر عن (كل) بـ (جميع) ومعناها واحد ؟

قلت : ليس بواحد لان (كلا) يفيد معنى الاحاطة وان لا يتفقت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان الحشر يجمعهم والجميع (فعل) بمعنى (مفعول) يقال : حي جميع وجاؤا جميعا^(٤٥) .

(٤٣) انظر شرح الاثموني ٧٧ / ٣ ، التصريح ١٢٤ / ٢ - ١٢٥ .

(٤٤) انظر لسان العرب (جمع) .

(٤٥) الكشاف ٥٨٧ / ٢ .

وقال تعالى ﴿ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا﴾ ٦١ أي مجتمعين أو متفرقين. وقال: ﴿نحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ الحشر ١٤ أي نحسبهم مجتمعين وهم متفرقون .

واما (جميع) المضافة الى الضمير فتكون توكيداً بمعنى (كل) فاذا قلت (اقبل الرجال جميعهم) كان المعنى اقبلوا كلهم وليس معناه اقبلوا مجتمعين ، فقد يكونون مجتمعين او متفرقين.

فهناك فرق بين قولنا (اقبل الرجال جميعا) و (اقبل الرجال جميعهم) ف (اقبل الرجال جميعا) تحتل معنيين :

الاول ان يكون معناه اقبلوا كلهم وذلك نحو قوله تعالى ﴿وتوبوا الى الله جميعا - النور ٣١﴾ والمعنى توبوا كلكم وليس معناه توبوا مجتمعين. وقوله ﴿قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا - الاعراف ١٥٨﴾ اي كلكم وليس معناه مجتمعين. الثاني ان يكون معناه اقبلوا مجتمعين كقوله تعالى ﴿ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا﴾ .

واما (اقبل الرجال جميعهم) فلا يكون الا بمعنى كلهم^(١) . والخلاصة ان الفرق بين (جميع) اذا اتصلت بالضمير (جميعهم ، جميعنا ...) و (جميع) المفردة ان المتصلة به لا تكون الا توكيداً بمعنى (كل) والمفردة قد تكون بمعنى (كل) وقد تكون بمعنى (مجتمع) .

وقد تحتل المعنيين معا وذلك نحو قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم جميعا - الانعام ٢٢﴾ فهذا يحتل معنيين :

الاول ان يكون بمعنى (كل) فيكون المعنى : ويوم نحشرهم كلهم .
والثاني ان يكون بمعنى (مجتمع) فيكون المعنى : ويوم نحشرهم مجتمعين .
وقد يراد المعنيان معاً أي نحشرهم كلهم مجتمعين فبعدوله الى المفردة كسب المعنيين معاً ولو قال (ويوم نحشرهم جميعهم) لافاد معنى واحداً فقط .

(٤٦) انظر كتاب سبويه ١/ ١٨٩ .

ف (جميع) المفردة اوسع استعمالاً ومعنى من المضافة ، الا ترى انك لو قلت : (اللهم اكفني شر مخلوقاتك جميعاً) كان المعنى محتملاً لجميع الشر وجميع المخلوقات ولو قلت (اكفني شر مخلوقاتك جميعه) لكان نصاً في الشر ، ولو قلت (جميعها) لكان نصاً في المخلوقات .

وهذا من أوجه الفرق بين (كل) و (جميع) فان (كلاً) تفيد العموم حيث وقعت وكيفما كانت وليست كذلك (جميع) .

وفرقوا بين (كل) و (جميع) ايضاً فقالوا : وان (كل) تدل على كل فرد بطريق النصوصية بخلاف (جميع) فانه يدل على كل الافراد وهو الذي يراد من قولهم : وان (جميع) للعموم الاحاطي .

وفرقت الحنفية بينها بان (كل) نعم الاشياء على الانفراد ، و (جميع) تعمها على سبيل الاجتماع ومثلوا لذلك بقولهم : ان القائد اذا قال لجنده : (من دخل هذا الحصن فله الف دينار) فدخل واحد استحق الالف وان دخله جماعة لم يستحق احد منهم شيئاً . واذا قال (كل من دخل هذا الحصن اولاً فله ألف دينار) فدخله واحد استحق الالف وان دخله جماعة استحق كل واحد منهم ألفاً .

واذا قال لهم : (جميع من دخل هذا الحصن اولاً فله الف دينار) فدخله واحد استحق الالف وان دخله جماعة استحقوا ألفاً فقسم بينهم (اصول البزدوي ج ٢ ص ٩ ، التوضيح ج ١ / ٦٠) ^(٤٧) .

أجمع :

وهي من لفظ (الاجتماع) ايضاً ولها استعمالات عدة :
فقد تكون اسم تفضيل نحو (رايك أجمع للشمل) و (هذا الحد اجمع من غيره) .

(٤٧) الانموذج في اصول الفقه ٢٠٢ - ٢٠٣ .

وقد تكون صفة مشبهة بمعنى (مجتمع) على وزن (أفعل) الذي مؤنثه (فعلاء) مثل احمر حمراء فيقال : (اجمع جمعاء) و (أجمع) معناه مجتمع ومعنى (جمعاء) مجتمعة فيقال فرع اجمع وبهية جمعاء أي مجتمعة الخلق جاء في (عمدة الحافظ) : «وفي الحديث (كما تُنتج الابل من ابل من بهية جمعاء) أي مجتمعة الخلق وعلى هذا يخرج قول الراجز :

يرمي عليها وهي فرعُ أجمع وهي ثلاث اذرع واصبع
ف (اجمع) هنا صفة ل (فرع) بمعنى مجتمع كما كانت (جمعاء) عنة لبهية» (٤٨).

وقد تكون من الفاظ الاحاطة فتستعمل توكيدا بمعنى (كل) تقول : جاء الرجال اجمعون ومعناها : جاءوا كلهم وهذه ليست اسم تفضيل ولا صفة مشبهة بل هي وصف مرتجل للتوكيد.

يدلك على انها ليست اسم تفضيل ان تأنيثها على وزن (فعلاء) أي جمعاء ، واسم التفضيل تأنيثه (فُعلى) مثل كبرى وصغرى .

ثم ان اسم التفضيل يضاف ويحلى بـ (أل) فيقال احسنهم والاحسن وهذه لا تضاف ولا تحلى بـ (أل) فلا يقال اجمعه ولا اجمعهم ولا الأجمع تقول (قضيت الشهر اجمع) ولا تقول اجمعه لانها هي معرفة (٤٩) من غير اضافة ولا حرف تعريف .

ويدلك على انها ليست صفة مشبهة ان (افعل فعلاء) لا يجمع جمع مذكر سالما بل يجمع على (فُعَل) وهذه يجمع مذكرها جمع مذكر سالما فيقال (اجمعون) قال تعالى ﴿فسجد الملائكة كلهم اجمعون - الحجر ٣٠﴾ ، ويجمع مؤنثها على (فُعَل) فيقال (جُمِعَ) مثل جمع اسم التفضيل نحو الكُبر والصُغر ، ثم ان (افعل فعلاء) نكرة وهذه معرفة .

فهي صفة جمعت شيئا من اسم التفضيل شيئا من الصفة المشبهة وتمحضت للتوكيد.

(٤٨) عمدة الحافظ وعدة الالفاظ ٥٧٥ .

(٤٩) انظر كتاب سيبويه ٥ / ٢ ، المقتضب ٣ / ٣٤٢ .

فتأنيثها كالصفة المشبهة وجمعها كاسم التفضيل . وتباعدت عنها معا بانها لا تضاف ولا تعرف بـ (أل) ، ولا يستعمل منها إلا جمع المذكر السالم فلا يقال الأجامع كالأكابر والأصاغر بل لا يقال الا (أجمعون) .
وبذلك على أنها صفة انها لا تنصرف ولو كانت اسما غير وصف لانصرفت مثل ارنب وأفعى .

فهى اذن وصف استعمل للاحاطة بمعنى (كل) والفرق بينها ان (اجمع) من لفظ الجماعة والمجموع والاجتماع و (كُلًّا) للدلالة على كل فرد حتى تستغرق جميع الافراد فقولك (رضوا بذلك اجمعون) يفيد ان مجموعهم رضي بذلك واما قولك (رضوا بذلك كلهم) فيفيد أن افرادهم رضوا بذلك . والنتيجة واحدة لانه اذا رضي كل افرادهم فقد رضي مجموعهم فـ (أجمع) تشير الى العموم ابتداء و (كل) تشير الى الافراد حتى تستغرقهم و (كلهم اجمعون) للجمع بين المعنيين فتكون زيادة في التوكيد .

وقد ذهب بعض النحاة الى أنها تفيد الاتحاد في الوقت^(٥٠) فيكون معنى قولنا (جاء الرجال اجمعون) جاءوا مجتمعين .

والحق انها لا تفيده قال تعالى ﴿لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ - الحجر ٣٩ ﴿٥١﴾ ومعناها (كلهم) وليس معناها (مجتمعين) . وقال ﴿أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ لعنة الله والملائكة والناس اجمعين﴾ - البقرة ١٦١ ﴿٥٢﴾ ومعناها (كلهم) وليس معناها مجتمعين .

قال ابن يعيش : «واعلم أنه قد ذهب قوم الى ان في (اجمع) فائدة ليست في (كل) وذلك انك اذا قلت (جاءني القوم كلهم) جاز أن يجيئك مجتمعين ومفترقين فاذا قلت (اجمعون) صارت حال القوم الاجتماع لا غير . وذلك ليس بسديد والصواب ان معناهما واحد من قبل ان اصل التأكيد اعادة اللفظ وتكراره وانما كرهوا تواليها بلفظ واحد فابدلوا من الثاني لفظا يدل على معناه فجاءوا بـ (كل) و (أجمع) ليدلوا بها على معنى الاول ولو كان في الثاني زيادة فائدة لم يكن تأكيداً لان التأكيد

(٥٠) انظر شرح الاشبوني ٧٧ / ٣ .

(٥١) انظر شرح الاشبوني ٧٧ / ٣ .

تمكن معنى المؤكد ... ومع هذا لو أريد معنى الاجتماع لوجب نصبه لانه يكون حالا لان التقدير فعل ذلك في هذه الحال^(٥٢).

وظاهر أن (اجمع) لا يفارقها معنى الاحاطة البتة ولا تفيد غيره اما اذا احتمل الكلام الاتحاد في الوقت اضافة الى الاحاطة كما في قوله تعالى ﴿واثبوني باهلكم اجمعين - يوسف ٩٣﴾ وقوله ﴿فسجد الملائكة كلهم اجمعون﴾ فهذا لا يستفاد من (اجمع) بل ان الكلام يحتمله ولو لم تذكر (اجمع). الا ترى انه يجوز ان يكون هذا الاحتمال مع (كل) ايضا؟

فاذا قلت (جاء افراد الاسرة كلهم) احتمل ان يكونوا جاؤا مجتمعين واحتمل غير ذلك وكذلك بالنسبة للآية فقد يحتمل انهم سجدوا في وقت واحد ولكن (اجمعون) لا تدل عليه ولا تفيد. بل الامر كما ذكرنا آنفا في معنى (كل) و (اجمع).

ويدلك على ذلك ايضا أنه يجوز أن نقول (يموت الناس كلهم اجمعون) وليس معناه انهم يموتون في وقت واحد.

فهي تختلف عن (جميع) فان جميعا قد تتجرد للدلالة على الاجتماع فلا يراد بها معنى الاحاطة واما هذه فلا تتجرد لهذا المعنى ولا يفارقها معنى العموم والشمول.

الاعداد من ثلاثة الى عشرة اذا اضيفت الى ضمير ما تقدمها :

تقول العرب (اقبل الرجال ثلاثهم) و (رأيت الاولاد خمستهم) وفيها لغتان : لغة الحجاز وهي النصب ولغة تميم وهي الاتباع قال سيبويه : « هذا باب ما جعل من الاسماء مصدرا كالمضاف في الباب الذي يليه) وذلك قولك (مررت به وحده) و (مررت بهم وحدهم) و (مررت برجل وحده).

(٥٢) شرح ابن يعيش ٣ / ٤١ وانظر شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٦٩.

ومثل ذلك في لغة اهل الحجاز (مررت بهم ثلاثتهم واربعتهم) وكذلك الى العشرة وزعم الخليل انه اذا نصب (ثلاثتهم) فكأنه يقول : مررت بهؤلاء فقط ولم اجاوز هؤلاء كما اذا قال (وحده) فانما يزيد مررت به فقط لم اجاوزه .

واما بنو تميم فيجرونه على الاسم الاول إن كان جرًا فجرا وان كان نصبا فنصبا وان كان رفعا فرفعا .

وزعم الخليل أن الذين يُجرون كأنهم يريدون ان يعموا كقولك : مررت بهم كلهم اي لم ادع منهم أحداً^(٥٣) .

وظاهر من كلام سيبويه ان النصب يكون على الحالية والاتباع على التوكيد^(٥٤) .

ومع انها لغتان فعنى النصب لا يطابق معنى الاتباع ، فان الاتباع يفيد الاحاطة والشمول فاذا قلت (اقبل الرجال ثلاثتهم) بالرفع كان المعنى : اقبلوا كلهم وذلك اذا كان العدد معلوما .

وان النصب يفيد اجتماعهم في المجي أي اقبلوا مجتمعين فكأنك قلت : اقبلوا حال كونهم ثلاثة . وقد يفيد النصب ما يفيد الاتباع من شمول فيكون من باب الحال المؤكدة كما تقول (اقبل الطلاب جميعهم وجميعا) .

وقد مربنا في (جميع) أن الاتباع يفيد الاحاطة والنصب يحتمل الاجتماع ويحتمل الاحاطة . وهذا شبيه بذلك .

فالاتباع يكون للدلالة على الاحاطة والشمول من غير نظر الى اجتماعهم او عدمه * والنصب يحتمل معنيي الاجتماع والاحاطة .

قال الرضي : «وهذه الاسماء الثمانية (يعني من الثلاثة الى العشرة) اذا اضيفت الى ضمير ما تقدم منصوبة عند اهل الحجاز على الحال لوقوعها موقع النكرة اي (مجتمعين في المجي) وبنو تميم يتبعونها ما قبلها في الاعراب على انها توكيد^(٥٥) .

(٥٣) كتاب سيبويه ١ / ١٨٧ وانظر المقتضب ٣ / ٢٣٩ .

(٥٤) انظر الجمع ١ / ٢٣٩ ، شرح الرضي ١ / ٣٦٢ .

(٥٥) شرح الرضي على الكافية ١ / ٢٢٠ .

وقال : « وبعضها يستعمل مرة تابعاً على التأكيد ومرة حالا وذلك من الثلاثة فما فوقها كما مر في باب الحال نحو : (جاءني القوم ثلاثتهم) و (جاءوني ثلاثتهم) . ولا يؤكد بـ (ثلاثة) وإخواتها الا بعد ان يعرف المخاطب كمية العدد قبل ذكر لفظ التأكيد والا لم يكن توكيدا بخلاف الوصف في نحو : جاءني رجال ثلاثة^(٥٦) . والظاهر ان تميم تريد بهذا الاستعمال الدلالة على الاحاطة مثل (كل) و (أجمع) من دون نظر الى افتراق او اجتماع فاتبعت لذلك .

واما الحجازيون فيستعملونه حالا مؤكدة مثل (كافة) و (قاطبة) في قولنا (اقبل اهل البلد كافة) .

واذا اريدت الدلالة على اجتماع العدد فلا بد من نصبه ولا يصح الاتباع لانه سيكون حالا والحالة هذه .

التوكيد اللفظي

ويكون باعادة اللفظ الاول او تقويته بمرادفه معنى^(٥٧) ، وقد يؤتى بموازنه مع اتفاقهما في الحرف الاخير ويسمى اتباعا^(٥٨) .

فن اعادة اللفظ الاول قولنا (اقبل محمد محمد) و (اقبل اقبل محمد) ويحتمل ان يكون منه قوله تعالى ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًا دَكًا - الْفَجْرَ ٢١﴾ .

ومن تقويته بمرادفه معنى قولنا (جاء قدم محمد) ومنه قوله تعالى ﴿فَجَاجَا سَبَلًا - الْأَنْبِيَاءَ ٣١﴾ لأن الفجاج هي السبل . وقوله ﴿وْغَرَابِيبُ سُودَ - فَاطِرَ ٢٧﴾^(٥٩) لان معنى (غرابيب) سود ، ومفردا غريب أي اسود فكأنه قال : سُود سود .

(٥٦) شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٦٢ .

(٥٧) شرح الالفية لابن الناظم ٢١٠ ، المص ٢ / ١٢٥ ، شرح الاشبوني ٣ / ٨٠ .

(٥٨) شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٦٥ ، فقه اللغة للثعالبي ٥٦٦ .

(٥٩) انظر البرهان ٢ / ٣٨٥ .

ومن الاتيان بموازنه لفظا قولهم : جائع نائع ، عطشان نطشان ، حسن بسن ، ويسمى اتباعا سواء كان للكلمة المتبعة معنى ام لم يكن^(٦٠) .

جاء في (تأويل مشكل القرآن) : «وربما جاءت الصفة فارادوا توكيدها واستوحشوا من اعادتها ثانية لانها كلمة واحدة فغيروا منها حرفا ثم اتبعوا الاولى كقولهم : عطشان نطشان ، كرهوا أن يقولوا : عطشان عطشان فأبدلوا من العين نونا . وكذلك قولهم : حسن بسن كرهوا أن يقولوا : حسن حسن فأبدلوا من الحاء باء . وشيطان ليطان في اشباه له كثيرة^(٦١) .

وجاء في (فقه اللغة) للثعالبي : «وهو- أي الاتباع - من سنن العرب وذلك أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورونها إشباعا وتوكيدا كقولهم : جائع نائع وسأغب لاغب وعطشان نطشان^(٦٢) .

وهذا التوكيد أي التوكيد اللفظي اوسع استعمالا من التوكيد المعنوي لانه يكون في الاسماء النكرات والمعارف ويكون في الأفعال والحروف والجمل بخلاف التوكيد المعنوي فإنه يكون في الأسماء المعارف فقط . تقول (قتل قتل رجل) و«هرب سجين سجين» و«اقبل محمد محمد» و«ان محمداً ان محمداً مسافراً» و«ان محمداً فاز ان محمداً فاز» . وفي الحديث (والله لأغزون قريشا) ثلاث مرات^(٦٣) .

وقد تقتزن الجملة المؤكدة بعاطف نحو : (والله ثم والله) ونحو قوله تعالى ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يُحَمَّدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب - آل عمران ١٨٨﴾ فقوله (فلا تحسبنهم) توكيد لقوله (لا تحسبن)^(٦٤) . ويجب ترك العاطف «عند ايها» التعدد نحو (ضربت زيدا ضربت زيدا) ولو قيل (ثم ضربت زيدا) لتوهم أن الضرب تكرر منك مرتين تراخت احدهما عن الاخرى والغرض انه لم يقع منك الا مرة واحدة^(٦٥) .

(٦٠) انظر شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٦٥ .

(٦١) تأويل مشكل القرآن ١٨٣ .

(٦٢) فقه اللغة ٥٦٦ .

(٦٣) شرح الاشموني ٣ / ٨١ .

(٦٤) انظر شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٦٥ ، شرح ابن الناطم ٢١٠ .

(٦٥) شرح الاشموني ٣ / ٨١ - ٨٢ .

الغرض من هذا التوكيد :

اهم اغراض التوكيد اللفظي هي :

- ١ - ان يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع او عدم الاصغاء : فاذا ظن المتكلم أن السامع غافل عن سماع اللفظ فلا بد من أن يكرره اللفظ ليدفع هذا الضرر. ولا ينفع هنا التوكيد المعنوي فاذا قلت (اقبل محمد) وكان المتكلم غافلا من سماع لفظة (محمد) او لم يكن مصغيا فلا ينفع ان تقول (نفسه) او عينه لانه لم يسمع الكلمة المؤكدة نفسها فلا بد من ان تعيد له اللفظة ليسمعاها.
- ٢ - ان يدفع عن السامع ظنه بالمتكلم الغلط : فاذا كان المتكلم ظن أن السامع يعتقد أن المتكلم قد غلط في ذكر اللفظ فقد ذكر (خالدا) مثلا وهو يريد (محمدا) فلا بد من ان يكرر اللفظ ليزيل هذا الظن من ذهن السامع ولا ينفع هنا التوكيد المعنوي ايضا. وذلك كما اذا قلت لمحدثك (زارنا خالد الليلة) ثم سبق الى ظنك ان المخاطب يعتقد انك غلطت في ذكر خالد وانك تعني (محمدا) لاسباب كأن يظن أن خالدا لا يزورك او هو غير موجود في البلد او نحو ذلك فلا بد لرفع هذا الوهم من التكرار اللفظي.

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : « فاذا قصد المتكلم احد هذين الامرين فلا بد ان يكرر اللفظ الذي ظن غفلة السامع عنه او ظن ان السامع ظن به الغلط فيه تكريرا لفظيا نحو (ضرب زيد زيد) و (ضرب ضرب زيد) ولا ينفع ههنا التكرير المعنوي لأنك لو قلت (ضرب زيد نفسه) فرما ظن بك أنك اردت (ضرب عمرو) فقلت (نفسه) بناء على أن المذكور (عمرو) .

وكذا ان ظننت به الغفلة عن سماع لفظ (زيد) فقولك (نفسه) لا ينفعك . وربما يكرر غير المنسوب والمنسوب اليه لظنك غفلة السامع او لرفع ظنه بك الغلط ، اما في الحرف نحو (ان ان زيدا قائم) او في الجملة نحو قوله تعالى : ﴿ فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ﴾^(١) .

وليس من ذلك ما ذكره الرضي في قوله تعالى ﴿فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا﴾ الانشراح ٥ ، ٦ اذ لا يريد الله سبحانه من التكرير رفع غفلة السامع ولا دفع ظن الغلط عن نفسه تعالى الله عن ذلك وانما هو لتقوية الحكم وتمكينه في نفوس المؤمنين وتطمينهم به .

٣- الغرض الثالث ان يدفع المتكلم ظن التجوز: فقد يذكر المتكلم حكما فيظن السامع أن المتكلم لم يقصد الحكم حقيقة وانما اراده تجوزاً ومبالغة فيكرر اللفظ لازالة هذا الظن وليثبت في ذهنه ان الحكم كما ذكر ليس فيه تجوز. وذلك كما اذا قلت (عدا الامير) فرمما ظن السامع أن الامير مشي سريعا فسميته عدوا فلا بد في نحو هذا من ازالة التجوز بتكرير اللفظ او بالمجئ بالمصدر فتقول (عدا عدا الامير) او (عدا الامير عدواً). جاء في (شرح الرضي على الكافية) : «والغرض الثالث ان يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا وهو ثلاثة انواع :

احدها ان يظن به تجوزا في ذكر المنسوب فرمما تنسب الفعل الى الشيء مجازا وانت تريد المبالغة لا ان عين ذلك الفعل منسوب اليه كما تقول (قتل زيد) وانت تريد (ضرب ضربا شديدا) او تقول (هذا باطل) وانت تريد (غير كامل). فيجب ايضا تكرير اللفظ حتى لا يبقى شك في كونه حقيقة نحو قوله عليه السلام : (ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل) (١٧).

٤- وقد يكون المقصود تقوية الحكم وتمكينه في ذهن السامع وقلبه كما في قوله تعالى ﴿فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا﴾.

٥- وقد يكون للتهويل والتعظيم وذلك نحو قوله تعالى ﴿وما ادراك ما يوم الدين . ثم ما ادراك ما يوم الدين - الانفطار ١٧ ، ١٨﴾ فقد كرر الاية لتهويل ذلك اليوم وتفخيمه ومثله (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون - التكاثر ٣ ، ٤). ومنه قوله (عليه السلام) : (الا اخبركم باكبر الكبائر) فعد من ذلك الشرك بالله وعقوق الوالدين . قال الراوي : وكان متكئا فجلس فقال : (الا وشهادة الزور

(٦٧) شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٦٠ .

الا وشهادة الزور) وظل يكررها حتى قلنا : ليتها سكت او كما قال فهذا التكرار قصد به تفضيع امر شهادة الزور.

٦- ثم اذا طال الكلام وخشي المتكلم على السامع نسيان اوائل الكلام كرر له اللفظ ليجعل ذلك اللفظ قائما في نفسه متمكنا من ذهنه لئلا ينسيه ذلك طول الكلام. وذلك نحو قولك (لا تظن أنني اذا ذهبت الى قوم في امروروني ردأ غير جميل لا تظن انني عاالد اليهم) فكررت (لا تظن انني) خوفا على السامع من ان ينسى اول الكلام. ولذا يحسن اذا طال الكلام توكيد اوله توكيدا لفظيا لتمكين الحكم في ذهنه وعدم فتوره عنه قال تعالى : ﴿أبعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون- المؤمنون ٣٥﴾. فأكد (انكم) لما طال الكلام لتقويته في ذهن السامعين.

وقال : ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يُمحّدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم- آل عمران ١٨٨﴾ فأكد (لا تحسبن) بقوله (فلا تحسبنهم) لان الكلام قد طال واراد تمكين الحكم وتقريره في اذهان المخاطبين. والله اعلم.

توكيد الفعل بالنون

يؤكد الفعل المضارع وفعل الامر الامر بنوني التوكيد الثقيلة والخفيفة نحو:
(لَأَقُومَنَّ بَوَاجِي) و (لَأَقُومَنَّ بَوَاجِي) قال تعالى: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ - الهمزة
٤٠﴾ وقال ﴿لَنَسْفَعَنَّ بِالْناصِيَةِ - العلق ١٥﴾. ويدل على انها حرفا توكيد أنه يجاب
بها القسم. قال تعالى: ﴿تَاللّٰهِ لَأَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ - النحل ٥٦﴾.

ويبدو أن النون حرف يؤكد الاسماء والافعال غير أنها تدخل في اول الاسم وآخر
الفعل ف (ان) هي نون ثقيلة مسبوقة بالهمزة. ولما كانت تدخل في اول الاسم بدئت
بهمزة توصلاً الى النطق بالساكن وجعلت الهمزة من بناء الكلمة.

وهناك تشابه بين (انّ) والنون، فكلاهما حرف توكيد غير أنّ احدهما يؤكد
الاسماء والاخرى تؤكد الافعال، وكلاهما ثقيلة وخفيفة، وكلاهما تدخل الفتح على ما
دخلت عليه ف (انّ) تدخل على الاسماء وتنصبها، والنون تدخل على الفعل وتنبه على
الفتح. تقول (ان محمداً ليسافرَنَّ)، وكلاهما يجاب بها القسم في الاثبات، تقول:
(والله لأذهبن) و(والله إني لمعكم) قال تعالى: ﴿وَتَاللّٰهِ لَا كِيدَ لَكُمْ - الانبياء
٥٧﴾ وقال ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلًا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ - الذاريات
٢٣﴾.

وتلزم النون الفعل اذا كان جوابا لقسم مثبتا مستقبلاً غير مفصول عن لامة
بفاصل^(١)، نحو (والله لأسعين في الخير) قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ - مريم
٦٨﴾.

وذكر الخليل أن الثقيلة آكد من الخفيفة. جاء في (الكتاب):
”وزعم الخليل أنها توكيد كما التي تكون فصلاً فاذا جئت بالخفيفة فانت مؤكدة وإذا
جئت بالثقيلة فانت أشدّ توكيدا“^(٢) ذلك لان تكرير النون بمنزلة تكرير

(١) شرح الاشموني ٣/ ٢١٥، التصريح ٢/ ٢٠٣، شرح ابن الناطم ٢٥٢.

(٢) كتاب سيوريه ٢/ ١٤٩ وانظر شرح الاشموني ٣/ ٢١٢.

التأكيد^(٣) ، وقد اجتمعنا في قوله تعالى ﴿ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرین - يوسف ٣٢﴾ فجاء بالثقل في قوله ﴿ليسجنن﴾ ، وبالخفيفة في قوله ﴿وليكونن من الصاغرین﴾ قالوا لأن "أمرأة العزيز كانت أشد حرصاً على سجنه من كونه صاعراً"^(٤) ، فأكدت السجن لذلك بالثقل بخلاف الصغار.

ونون التوكيد تخلص الفعل للاستقبال فلا تدخل على فعل للحال قال تعالى : ﴿لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين - الفتح ٢٧﴾ ، فإذا كان الفعل للحال لم تدخل عليه النون نحو (والله لأحسبك كاذباً).

جاء في (الكتاب) : "وان كان الفعل قد وقع وحلفت عليه لم ترد على اللام وذلك قولك والله لفعلت ... فالنون لا تدخل على فعل قد وقع وانما تدخل على غير الواجب"^(٥).

وجاء في (شرح ابن يعيش) : "اعلم أن هاتين النونين الشديدة والخفيفة من حروف المعاني والمراد بها التأكيد ولا تدخلان إلا على الافعال المستقبلية خاصة وتوثران فيها تأثيرين : تأثيراً في لفظها وتأثيراً في معناها ، فتأثير اللفظ اخراج الفعل الى البناء بعد أن كان معرباً ، وتأثير المعنى اخلاص الفعل للاستقبال بعد أن كان يصلح لها"^(٦) ، "إذ لو قلت (ان زيدا يقوم) جاز أن يكون للحال والاستقبال بمنزلة مالا لام فيه فإذا قلت (ان زيدا يقوم) كان هذا جواب قسم والمراد الاستقبال لا غير"^(٧).

وهذه النون كثيرا ما تدخل على الشرط المسبوق بـ (ما) الزائدة ولا سيما شرط (إن) نحو قوله تعالى ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء - الانفال ٥٨﴾ وقوله : ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا -

(٣) شرح ابن يعيش ٣٧ / ٩ .

(٤) حاشية الصبان ٢١٢ / ٣ وانظر التصريح ٢٠٣ / ٢ .

(٥) كتاب سيويه ٤٥٤ / ١ .

(٦) شرح ابن يعيش ٣٧ / ٩ وانظر شرح ابن النازم ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٧) شرح ابن يعيش ٣٩ / ٩ .

الاسراء ٢٨ ﴿وذلك لان (ما) للتوكيد فجئ بالنون التي هي للتأكيد ايضا ولذلك قالوا ان دخولها هنا قريب من الواجب ،^(٨) ، ولم ترد في القرآن الكريم الا مؤكدة .

قال سيبويه : ” ومن مواضعها حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل (ما) للتوكيد وذلك لأنهم شبهوا (ما) باللام التي في (لتفعلن) لما وقع التوكيد قبل الفعل الزموا النون آخره كما الزموا هذه اللام وان شئت لم تقحم النون كما انك ان شئت لم تحي بها فأما اللام فهي لازمة في اليمين فشبهوا (ما) هذه إذ جاءت توكيداً قبل الفعل بهذه اللام التي جاءت لاثبات النون فمن ذلك قولهم : إِمَّا تَأْتِيَنِي آتُكَ“^(٩) . فذكر أن (ما) شبيهة بلام القسم في التوكيد .

وتدخل كثيرا ايضا على الطلب كالامر والنهي والاستفهام والتعني وما الى ذلك .^(١٠) قال تعالى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ - البقرة ١٤٧﴾ وقال الاعشى :

وهل يمنعني ارتيادي البلا دمن حذر الموت أن يأتيَن

(٨) التصريح ٢ / ٢٠٤ .

(٩) كتاب سيبويه ٢ / ١٥٢ .

(١٠) انظر التصريح ٢ / ٢٠٤ ، شرح الاشبوني ٣ / ٢١٣ وما بعدها .

القسم

الغرض من القسم توكيد الكلام وتقويته^(١) ، فإذا أقسمت على شيء فقد أكدته . ويطلق على القسم اليمين والحلف أيضا . ولفظها يفيد معنى القوة . فاليمين : من معانيه القوة والقدرة . جاء في (لسان العرب) : ” واليمين القوة والقدرة ... وفي التتزيل العزيز (لاخذنا منه باليمين)^(٢) . قال الزجاج : أي بالقدرة “^(٣) .

فلعل اليمين التي هي القسم اخذت من هذا المعنى لأنها تقوية للكلام ، وقيل بل ” سميت اليمين يميناً لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه ... وقال بعضهم : قيل للحلف يمين باسم يمين اليد وكانوا يبسطون أيماهم إذا حلفوا وتحالفوا وتعاهدوا وتبايعوا “^(٤) .

وفي هذا المعنى أيضا معنى القوة لان يمين الانسان اقوى من شماله . الحلف : وأما الحلف فلا يخلو معناه من القوة أيضا . فمن هذه المادة اللغوية نفسها (الحلف) بالكسر وهو ” العهد يكون بين القوم ، وقد حالفه أي عاهده وتحالفوا أي تعاهدوا ... قال ابن الاثير : اصل الحلف المعاهدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق “^(٥) .

فالمعاهدة والمعاهدة والمخالفة قوة ولاشك ولعل الحلف الذي هو القسم مأخوذ من هذا المعنى لانه تقوية للكلام .

وقيل بل المخالفة التي هي المعاهدة مأخوذة من (الحلف) الذي هو (اليمين) فقد قال الليث : ” حالف فلان فلانا فهو حليفه وبينها حلف ، لانها تحالفا بالأيمان ان

(١) انظر كتاب سيويه ١ / ٤٥٤ ، شرح ابن يعيش ٩ / ٩٠ .

(٢) الحاقة ٤٥

(٣) لسان العرب (يمين)

(٤) لسان العرب (يمين)

(٥) لسان العرب (حلف)

يكون امرهما واحداً بالوفاء فلما لزم ذلك عندهم في الأحلاف التي في العشائر والقبائل صار كل شيء لزم شيئاً فلم يفارقه فهو حليفه حتى يقال : فلان حليف الجود وفلان حليف الاكثار وفلان حليف الإقلال“^(٦) .

وجاء في (اساس البلاغة) : ”حلف بالله على كذا حلفاً... وحالفه على كذا وتحالفوا عليه واحتلفوا عليه...“

ومن المجاز: بينهم حلف أي عهد. وهم حلفاء بني فلان وأحلافهم وهذا حلفي وهو حليف الندى وحليف السهر“^(٧)

فجعل الحلف بالله هو المعنى الاول ونقل منه معنى الحلف الذي هو العهد والمخالفة ونحوها .

وأما لكان الامر في الحلف معنى التلويح إذ كل شيء يدخله الحلف يكون قوة له .

وكذلك القسم فن اشتقاقه ما يعطي معنى القوة ، فالقسم بفتح فسكون هو ”ان يقع في قلبك الشيء فتظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة“^(٨) .

وأما لفظ (القسم) فيدل على ان اصله من (القسم) وهو النصيب وذلك ان الشخص كان يحلف على قسمه أي نصيبه فيأخذه ، فكان القسم بادئ ذي بدء يستعمل في الحلف على النصيب خاصة ثم عم استعماله في كل موضع والله اعلم .

جاء في (لسان العرب) : ”وأقسمت حلفت وأصله من القسامة... والقسامة الذين يحلفون على حقهم ويأخذون... والقسامة الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون“^(٩) .

وقيل إن كل قسم ورد في القرآن الكريم بلفظ (الحلف) ففيه معنى الخنث او الحلف الكاذب والامر كما ذكر. قال تعالى : ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم -

(٦) لسان العرب (حلف).

(٧) اساس البلاغة (حلف) ١٩١ / ١٩٢ .

(٨) القاموس المحيط (قسم) ٤ / ١٦٤ .

(٩) لسان العرب (قسم).

المائدة ٨٩ ﴿ وهو في حنث اليمين. وقال : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون - المجادلة ١٤ ﴾ وقال : ﴿ وليحلفن إن اردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون - التوبة ١٠٧ ﴾ .

وأما القسم فهو عام استعمله القرآن في الكذب والصدق . قال تعالى على لسان ابليس ﴿ وقاسمها إني لكأ لمن الناصحين - الاعراف ٢٠ ﴾ وهو كذب . وقال : ﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال - ابراهيم ٤٤ ﴾ ، وقال : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة - النور ٥٣ ﴾ . وهذا كله حنث وكذب .

وأما ما ورد في غير ذلك فنحو قوله تعالى ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم - الواقعة ٧٥ ، ٧٦ ﴾ . وقال : ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون - المعارج ٤٠ ﴾ .

أنواع القسم

القسم نوعان :

أ- ظاهر أو صريح : " ويستدل عليه بحرف القسم مثل قوله تعالى : ﴿ والسماء ذات الحُبُك إنكم لني قول مختلف - الذاريات ٧ ، ٨ ﴾ أو يستدل عليه بفعل القسم كقول الشاعر :

وأقسم لا أنساك ما ذرَّ شارِق وما هبَّ آل في ملمعة قفر
أويستدل عليه بالحرف والفعل معا كقوله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم ليوثنن بها - الانعام ١٠٩ ﴾ .
أويستدل عليه بلفظ من ألفاظ القسم اسماً كان أو مصدراً كقول امرئ القيس :
فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي" (١٠)

(١٠) أساليب القسم في اللغة العربية - كاظم فتحي الرواي ٣٢ - ٣٣ ، وأنظر الكليات لابي البقاء ٢٩٠ .

ب - مضمّر أو غير صريح : وهو ما دلت عليه اللام نحو ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ - آل عمران ١٨٦﴾ ونحو ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم - الحشر ١٢﴾ وقوله ﴿ولقد صدقكم الله وعده - آل عمران ١٥٢﴾.

جاء في (الكتاب) : "وسألته [يعني الخليل] عن قوله (لتفعلن) إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يحلف به ، فقال : إنما جاءت على نية التمين وإن لم يتكلم بالحلوف به" (١١).

أو دل عليه المعنى نحو ﴿وإن منكم إلا واردها - مريم ٧١﴾ (١٢).

وكقولهم : (علم الله) و (شهد الله) و (عمرك الله) و (عاهدت الله) لافعلن و (علي عهد الله لافعلن) (١٢).

أحرف القسم

أشهر أحرف القسم : الواو والباء والتاء واللام.

الواو : وهي أكثرهن استعمالاً في القسم (١٣) ، وهي والتاء تختصان به من بين حروف الجر.

ولا يذكر فعل القسم معها فلا يقال : أقسم والله ، ولا تدخل على الضمير فلا يقال : وك يقال : بك (١٤).

وتدخل على كل مقسم به : قال تعالى : ﴿والفجر وليال عشر - الفجر ١﴾ ، وقال : ﴿والليل إذا يغشى - الليل ١﴾ ولا تختص بلفظ الله تعالى .

(١١) الكليات لامي البقاء ٢٩٠ ، أساليب القسم في اللغة العربية ٣٦ - ٣٩ .

(١٢) كتاب سيويه ٤٥٥ / ١ .

(١٢أ) أنظر كتاب سيويه ١٤٧ / ٢ ، المجمع ٤٤ - ٤٥ ، شرح الرضي على الكافية ٣٧٨ / ٢ .

(١٣) كتاب سيويه ١٤٣ / ٢ .

(١٤) أنظر الرضي على الكافية ٣٧٠ / ٢ .

الباء : ويموز ذكر فعل القسم معها وحذفه . تقول : أقسم بالله لأقولن الصدق . قال تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم - الواقعة ٧٧- ٧٨ ﴾ . ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن - النور ٥٣ ﴾ .

وتقول : (بالله لأقولن الصدق) . قال تعالى ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين - ص ٨٢ ﴾ ، وقال الشاعر :

بربك هل ضمنت إليك ليلي

وتدخل على الظاهر والمضمر فتقول : أقسم بك يارب لأسعين في الخير . وتختص الباء بالجواب الطلبي والاستعطافي فتقول : (بالله عليك افعل هذا ولا تفعل هذا) و (هل فعلت هذا ؟) و (إلا فعلت هذا) ، ولا يميز ذلك في غيرها فلا تقول : (والله افعل هذا أو لا تفعل هذا أو هل فعلت هذا) .

جاء في (المعجم) : " إختص بها [أي باء القسم] الطلب والاستعطاف فلا يقسم فيها بغيرها نحو بالله أستخيرني ؟ ، وبالله هل قام زيد ؟ أي أسألك بالله مستحلفاً ، (١٥) .

التاء : وتكاد تختص بلفظ الله تعالى ولم ترد في القرآن الكريم إلا معه قال تعالى : ﴿ وتالله لأكيدن أصدانكم - الانبياء ٥٧ ﴾ ، وقال : ﴿ تالله إن كدت لتردين - الصافات ٥٦ ﴾ .

وفيه معنى التعجب والتفخيم . قال تعالى على لسان أخوة يوسف لابيهم : ﴿ تالله إنك لني ضلالك القديم - يوسف ٩٥ ﴾ متعجبين من بقاء أبيهم على حاله لم يتغير ولم يتبدل مع طول العهد . وقال أيضاً على لسان أخوة يوسف لآخيه يوسف : ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا - يوسف ٩١ ﴾ متعجبين مما حصل له من علو منزلة ورفعة مكانة وما جرّت له فعلتهم من الخير على غير ما كانوا يتوقعون ويؤمنون .

(١٥) المعجم ٢ / ٣٨ وانظر ابن يعيش ٩ / ١٠٠ .

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿وتالله لا كيدن أصنامكم - الانبياء ٥٧﴾ : "فإن قلت : ما الفرق بين الباء والتاء ؟

قلت : إن الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها . وإن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره" (١٦) .

ومن التخييم قوله تعالى : ﴿تالله لتسألن عما كنتم تفترون - النحل ٥٦﴾ ، وقوله : ﴿تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك - النحل ٦٣﴾ .
ويبدو أن القسم بها أكد وأفخم من الواو لاختصاصها باسم الله سبحانه .

اللام : وهي مختصة بلفظ (الله) تعالى ولا تستعمل في القسم إلا إذا أريد به معنى التعجب . قال سيويه : "ولا يجيء الا أن يكون فيه معنى التعجب . قال أمية بن عائذ :

لله يبقى على الايام ذو حيد بمشمر به الظيان والآس" (١٧) .

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : "قوله ومعنى (الواو) في القسم للتعجب نحو (لله لا يؤخر الاجل) . قولهم (في التعجب) يعنون في الامر العظيم الذي يستحق أن يتعجب منه فلا يقال : لله لقد قام زيد ، بل يستعمل في الامور العظام نحو : لله لتبعثن" (١٨) .

وقال أيضاً : "ولام الجر تجمي بمعنى الواو كما ذكرنا مختصة أيضاً بلفظ (الله) في الامور العظام" (١٩) .

وقد يعوض عن النطق بحرف القسم مع اسم الله تعالى (ها) التنبيه أو همزة الاستفهام فيقال : (ها الله ذا) أي (واالله ذا) ، و (لا ها الله ذا) "فاذا جئت بها

(١٦) الكشاف ٢ / ٣٣١ وانظر ٢ / ١٤٧ في قوله تعالى ﴿تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض﴾ .

(١٧) كتاب سيويه ٢ / ١٤٤ .

(١٨) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٦٥ .

(١٩) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٠ ، وانظر شرح ابن يعيش ٢ / ٩٨ .

التنبيه بدلاً فلا بد أن تجيء بلفظة (ذا) بعد القسم به نحو: (لاها الله ذا) ^(٢٠) . وفي (ذا) قولان :

القول الاول انها من جملة المقسم به صفة لله تعالى والمعنى (لا والله الحاضر) .
لحضوره في كل مكان أو على تقدير (هذا قسمي) .
والقول الثاني انها من جملة الجواب أي : الامر ذا .
والقول الاول أرجح لان الجواب يؤتى به بعد (ذا) فيقولون (ها الله ذا لافعلن)
ولو كان جواباً لاكتفي به ^(٢١) .

وقد يعوض عنه بهمة الاستفهام منكراً أو مستفهماً فنقول : (آله كان كذا؟) .
جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "وأما همزة الاستفهام فإذا أن تكون
للائكار كقول الحمّاج في الحسن البصري رحم : آله ليقومن عبيد من العبيد فيقولن
كذا وكذا؟ أو للاستفهام كما قال صلى الله عليه وسلّم لعبد الله بن مسعود (رض) لما
قال : هذا رأس أبيّ (آله الذي لا اله غيره؟) .

فإذا دخلت همزة الاستفهام على (الله) فإذا ان تبدل الثانية ألفاً صريحة وهو
الاكثر أو تسهل كما هو القياس في (الرجل) ونحوه ^(٢٢) .

وربما أسقط حرف القسم مع لفظ (الله) تعالى من غير تعويض نحو (الله
لافعلن) أي (بالله) فينتصب المقسم به . قال الشاعر:
إلا رب من قلبي له الله ناصح ^(٢٣)

(٢٠) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧١ .

(٢١) أنظر شرح ابن يعيش ٩ / ١٠٥ - ١٠٦ ، شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٢ .

(٢٢) شرح الرضي ٢ / ٣٧٢ ، ٣٧١ وأنظر كتاب سيويه ٢ / ١٤٥ ، شرح ابن يعيش ٩ / ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢٣) أنظر شرح ابن يعيش ٩ / ١٠٢ - ١٠٣ ، شرح الرضي ٢ / ٣٦٤ ، كتاب سيويه ٢ / ١٤٤ .

ألفاظ تستعمل في القسم

لعمرك :

هذا اللفظ يستعمل في القسم ومعنى (العمر) الحياة وهو (والعمر) و (العمر) شيء واحد يقال قد طال عمره وعمره ، ويستعمل في القسم المفتوح ليس غير فيقال (٢٤) : (لعمرك) ولا يقال : (لعمرك) واللام الداخلة عليه هي لام الابتداء ، فعنى لعمرك : لحياتك ، فهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره : (قسمي) ، فيكون الكلام : حياتك قسمي والمراد أقسم بحياتك .

وكذلك (لعمرك الله) أي أقسم ببقاء الله ودوامه (٢٥) ، قال تعالى : ﴿لعمرك انهم لني سكرتهم يعمهون - الحجر ٧٢﴾ فأقسم بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

أيمن الله :

تستعمل (أيمن الله) في القسم ، يقال : (أيمن الله لاردن عليه قوله) وهمزتها همزة وصل وقد اختلف في (أيمن) هذه قليل "هو مفرد مشتق من (أيمن) وهو البركة أي بركة الله يميني" (٢٦) .

وعند الكوفيين هو جمع (أيمن) جعلت همزة القطع فيه وصلا لكثرة الاستعمال (٢٧) .

وقد تصرفوا بهذه الكلمة لكثرة الاستعمال فقالوا : (أيمن الله) و (أيم الله) بحذف النون و (مُ الله) و (من ربي) وغير ذلك لان كثرة دوران الكلمة على اللسان مدعاة الى التصرف فيها تخفيفا .

(٢٤) أنظر لسان العرب (عمر) ٢٧٩ / ٩ - ٢٨٠ .

(٢٥) لسان العرب ٢٨٠ / ٩ (عمر) .

(٢٦) شرح الرضي على الكافية ٣٧٣ / ٢ ، شرح ابن يعيش ٩٢ / ٩ .

(٢٧) شرح الرضي ٣٧٣ / ٢ ، شرح ابن يعيش ٩٢ / ٩ .

جاء في (شرح ابن يعيش) : "اعلم أن اللفظ اذا كثّر في السننهم واستعمالهم آثروا تخفيفه وعلى حسب تفاوت الكثرة يتفاوت التخفيف ولما كان القسم مما يكثر استعماله ويتكرر دوره بالغوا في تخفيفه من غير جهة واحدة" (٢٨).

عمرك الله :

هذا التعبير يستعمل قسماً وغير قسم ، فمن استعماله في القسم قولك (عمرك الله لا فعلن) بفتح الهاء ، وقد يستعمل في قسم السؤال فيقال (عمرك الله لا تفعل) قال :

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل بماني (٢٩)

قالوا : ومعنى (عمرك الله) استحلفك بتعميرك الله ، أي : باقرارك له بالبقاء (٣٠) ، فيكون (العم) على هذا مصدرا والاصل عمرك الله تعميرا فحذفت الزوائد من المصدر.

وقد يكون على غير هذا المعنى فلا يتصحب على المصدر ولا يكون قسما وذلك نحو قولك : (عمرك الله ما فعل فلان ؟) فيكون التقدير في نحو هذا (اسأل عمرك الله) أي اسأل الله أن يعمرك فيكون (عمرك) مفعولا أول و (الله) مفعولا ثانيا والمعنى (اسأل الله أن يطيل عمرك).

جاء في (لسان العرب) : "وقول عمر بن أبي ربيعة :

عمرك الله كيف يجتمعان

يريد سألت الله أن يطيل عمرك" (٣١).

(٢٨) شرح ابن يعيش ٩/٩٤.

(٢٩) شرح الرضي على الكافية ١٢٧/١ - ١٢٨.

(٣٠) انظر لسان العرب (عم) ٩/٢٨٠ ، شرح الرضي على الكافية ١٢٧/١ - ١٢٨ ، شرح ابن يعيش ٩/٩١.

٩١.

(٣١) لسان العرب (عم) ٩/٢٨٠ ، شرح الرضي ١٢٨/١ ، شرح ابن يعيش ٩/٩١ المص ٤٥/٢.

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : "وعلى تأويلها [يعني عمرك الله وقعدك الله] ب (أسأل تعميرك وتقعيدك) ليس معنى القسم ظاهراً فيها مع انها لا يستعملان إلا في القسم كما ذكرنا الا ان يقال : لما كانا للدعاء للمخاطب جرياً مجرى قسم السؤال لأنه قد يبدأ السؤال بالدعاء للمسؤول كأنه قيل : طول الله عمرك افعل لي كذا وكذا" (٣٢) .

وربما قيل (عمرك الله) بضم الهاء فيكون لفظ الجلالة فاعلاً أي : عمرك الله تعميراً (٣٣) .

والذي يبدو لي أنه دعاء على كل حال على المعنى الثاني أي الدعاء باطالة العمر ولكنه قد يضمن معنى القسم فيستعمل استعماله كما في (علم الله) و (علي عهد الله) ونحو ذلك ، أولاً يضمن بل يراد به الدعاء المحض .

قعدك الله :

يستعمل هذا في القسم فيقال : (قعدك الله لتفعلن) ، ويقال ايضاً : (قعيدك الله) .

وقد اختلف في معنى (قعدك الله) فقيل إن معناها اسألك بحق قعدك الله ، أي بحق نسبته إياه الى القعود أي الدوام والتمكن .

وقيل : المعنى (اسألك بحق قعيدك الذي هو الله) ومعنى (قعدك) قعيدك ، أي : "ملازمك العالم باحوالك وهو الله . ف (الله) عطف بيان لقعدك ويؤيد هذا التأويل قولهم : (قعيدك الله) بمعناه فالقعد والقعيد بمعنى المقاعد كالخلف والحليف" (٣٤) .

وقيل معنى " (قعدك الله وقعيدك) : الله معك ، أي رقيب عليك وحفيظ . وقيل : مقاعدك وهو بمعناه وضمن معنى القسم . قال في الصحاح : على معنى

(٣٢) (شرح الرضي على الكافية ١/ ١٢٨ .

(٣٣) شرح الرضي ١/ ١٢٨ .

(٣٤) شرح الرضي على الكافية ١/ ١٢٨ .

يصاحبك الله الذي هو صاحب كل نجوى ، وقيل هما مصدران بمعنى المراقبة ،
والتقدير : اقسم بمراقبتك الله ونصب الجلالة في الجميع على اسقاط الجار^(٣٥) .

وجاء في (لسان العرب) : ” وقيل (قعدك الله) و (قعيدك الله) أي كأنه قاعد
معك يحفظ عليك قولك ، وليس بقوي .
قال ابو عبيد : قال الكسائي : يقال قعدك الله أي الله معك ...
وقال ثعلب : قعدك الله وقعيدك الله أي نشدتك الله ...
والقسم قعيدك الله لأكرمك ...

قال الجوهري : هي يمين للعرب وهي مصادر استعملت منصوبة بفعل مفسر
والمعنى يصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى كما يقال : نشدتك الله^(٣٦) .

وقيل إن معناها اسأل الله قعدك كما في (اسأل الله عمرك) أي : اسأله تفعيدك
وتمكينك فلا تكون على هذا قسما ، بل هي كما ذكر الرضي فيها وفي (عمرك الله) ” لما
كانا للدعاء للمخاطب جريا مجرى قسم السؤال لأنه قد يبدأ السؤال بالدعاء
للمسؤول كأنه قيل : طوّل الله عمرك افعل لي كذا وكذا^(٣٧) .

والذي يبدو أن معنى (قعدك الله) : (قعيدك الله) أي : (الله مقاعدك
وملازمك ورفيق عليك) ، ثم يضمن هذا التعبير معنى القسم أحيانا فيكون حلفا أو
استحلافا بمراقبة الله له وملازمته اياه فتقول (قعدك الله لتفعلن) على معنى
استحلفك بمراقبة الله عليك وحضوره معك لتفعلن . وتقول : (قعدك الله لأفعلن)
على معنى احلف بمراقبة الله وحضوره معك فأنت لست وحدك الآن بل الله معك
مطلع على ما أقول لأفعلن .

ونصب لفظ (الله) اما على عطف البيان من (قعدك) كما ذكر الرضي ، أي
(استحلفك قعيدك الله) أي : (استحلفك قعيدك الذي هو الله) .

(٣٥) مع المواضع ٤٥/٢ .

(٣٦) لسان العرب (قعد) ٣٦٥/٤ - ٣٦٦ .

(٣٧) شرح الرضي على الكافية ١٢٨/١ .

واما على المفعول به ، أي : اجعل الله قعيدك ، أي : تذكر ان الله معك ، كما يقال في الدارجة : (اجعل الله بين عينيك اذا تكلمت) فيكون الغرض من هذا التعبير تحذير المخاطب وتخويفه الله الذي لا يفارقه وليس مراداً به القسم . هذا اذا كانا منصوبين .

اما اذا كانا مرفوعين أي (قعدك الله) و(قعيدك الله) فهما مبتدأ وخبر ، والمعنى : (الله مقاعدك) وهذا دعاء محض ليس فيه قسم والمعنى : (جليستك الله) أي الله قاعد معك يحفظك ويرعاك .

جاء في (القاموس المحيط) : ” وَقَعْدُكَ اللَّهُ وَيُكْسِرُ ، وَقَعِيدُكَ اللَّهُ ناشدتك الله وقيل كأنه قاعد معك يحفظه عليك أو معناه بصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى “ (٣٨) .

أو قد يكون اخباراً القصد منه تحذيره المخاطب وتخويفه الله الذي لا يفارقه فيكون المعنى : الله معك وهو مقاعدك فراقبه فيما تقول أو تفعل على ما ذكرنا في النصب والله اعلم .

وقوع (لا) قبل القسم :

تقع (لا) قبل فعل القسم كثيراً وخصوصاً قبل الفعل (اقسم) فيقال (لا أقسم) . قال تعالى : ﴿ فلا أقسم بالشفق - الانشقاق ١٦ ﴾ وقال : ﴿ لا أقسم بهذا البلد - البلد ١ ﴾ ، كما تقع قبل القسم من غير فعل القسم ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون - النساء ٦٤ ﴾ .

وحينما أقسم الله في القرآن الكريم ذاكراً فعل القسم (اقسم) جاء بـ (لا) قبله فلم يقل مرة : اقسم بكذا ، بل كل ماورد (لا أقسم) قال تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم - الواقعة ٧٥ - ٧٧ ﴾ .

وقال : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم - الحاقة ٣٨ - ٤٠ ﴾ .

(٣٨) القاموس المحيط (قعد) ٣٢٩/١ .

وقال : ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين - المعارج ٤٠ - ٤١ ﴾ .

وقال : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة - القيامة ١ ، ٢ ﴾ .
وقال : ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ... انه لقول رسول كريم - التكوير ١٥ - ١٩ ﴾ .

وقال : ﴿ فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر اذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق - الانشقاق ١٦ - ١٩ ﴾ .

وقال : ﴿ لا أقسم بهذا البلد . وأنت جلّ بهذا البلد - البلد ١ ، ٢ ﴾ .
واما بغير فعل القسم فلم يرد ذلك الا في قوله تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم - النساء ٦٤ ﴾ .
والنحاة في ذلك على مذاهب :

فمنهم من ذهب الى أن (لا) قبل القسم زائدة تفيد التوكيد فعني (لا أقسم بيوم القيامة) : أقسم بيوم القيامة .

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ : ” ادخال (لا) النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم . قال امرؤ القيس :
لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أنني أفر
وقال غوية بن سلمى :

الا نادت امامة باحتمال لتحزنني فلا بك ما ابالي

وفائدتها توكيد القسم . وقالوا انها صلة مثلها في ﴿ لئلا يعلم اهل الكتاب ﴾ (٣٩) .
وفي قوله :

في بئر لاحور سرى وما شعر
واعترضوا عليه بأنها تزداد في وسط الكلام لا في أوله .

واجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل ببعضه ببعض .
والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير
سديد ، الاترى الى امرىء القيس كيف زادها في مستهل قصيدته “ (٤٠) .
وقيل إنها زبدت على نية الرد على المكذبين .

جاء في (تأويل مشكل القرآن) : ” واما زيادة (لا) في قوله : ﴿ لا أقسم يوم
القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ وقوله ﴿ فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق ﴾ ...
فإنها زبدت في الكلام على نية الرد على المكذبين ، كما تقول في الكلام : (لا والله
ماذاك كما تقول) ، ولو قلت (والله ماذاك كما تقول) لكان جائزا غير أن إدخالك
(لا) في الكلام أولا ابلغ في الرد “ (٤١) .

وقيل : ان (لا) نافية واختلفوا في هذا النفي فمنهم من ذهب الى انه يفيد نفي أمر
سابق قبل القسم ، نفي قوله (لا أقسم بيوم القيامة) : ” كأنهم انكروا البعث فقيل :
لا ، أي : ليس الأمر على ما ذكرتم ثم قيل : أقسم بيوم القيامة “ (٤٢) .

وفي قوله : (فلا وربك لا يؤمنون) : ” التقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم
يخالفون حكمك ثم استأنفت القسم “ (٤٣) .

وذهب الزمخشري الى أنها للنفي والمقصود بذلك إعظام المقسم به فكأنه قال :
انا لا أعظمه بالقسم فهو معظم بغير القسم . قال : ” والوجه أن يقال : هي للنفي ،
والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا إعظاما له بذلك عليه قوله تعالى ﴿ فلا أقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ فكأنه بادخال حرف النفي يقول : إن
إعظامي له باقسامي به كلا إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك “ (٤٤) .

(٤٠) الكشف ٢٩١/٣ - ٢٩٢ وانظر في ٤٥/١ قوله تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون ﴾ .

(٤١) تأويل مشكل القرآن ١٩١ - ١٩٢ وانظر التفسير الكبير للرازي في ١٦٣/١٠ قوله تعالى ﴿ فلا وربك
لا يؤمنون ﴾ .

(٤٢) الكشف ٢٩٢/٣ .

(٤٣) التفسير الكبير للرازي ١٦٣/١٠ .

(٤٤) الكشف ٢٩٢/٣ .

وقيل : إنها لتوكيد النفي الذي جاء فيما بعد (٤٥) .

جاء في (الكشاف) : " فان قلت : قوله تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون ﴾ والايات التي انشدتها المقسم عليها فيها منفي فهلا زعمت أن التي قبل القسم زيدت موطنه للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف هنا منفياً كقولك : لا أقسم بيوم القيامة لاتتركون سدى .

قلت : لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساع ولكنه لم يقصر . الا ترى كيف لقي (لا أقسم بهذا البلد) بقوله ﴿ لقد خلقنا الانسان ﴾ وكذلك (فلا أقسم بمواقع النجوم) بقوله : انه لقرآن كريم ؟ " (٤٦) .

وجاء في (بدائع الفوائد) أن (لا) : " اقحمت أول القسم إيداناً بنفي المقسم عليه وتوكيداً لنفيه كقول الصديق (لاها الله لاتعتمد الى اسد من اسد الله) الحديث " (٤٧) .

وقال محمد عبده في تفسير جزء عم : " ان (لا أقسم) عبارة من عبارات العرب في القسم يراد بها تأكيد الخبر كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج الى قسم ، ويقال إنه يؤتى بها في القسم اذا اريد تعظيم المقسم به كأن القائل يقول : اني لا أعظمه بالقسم لانه عظيم في نفسه " (٤٨) .

وذهبت بنت الشاطي الى أن القصد من ذلك التأكيد " والتأكيد عن طريق النفي ليس بغريب من مألوف استعمالنا فأنت تقول لصاحبك : لا أوصيك بفلان تأكيداً للوصية ومبالغة في الاهتمام بها كما تقول : لن ألح عليك في زيارتنا ، فتبلغ بالنفي ما لا تبلغه بالطلب المباشر الصريح " (٤٩) .

(٤٥) انظر التفسير الكبير ١٠/ ١٦٣ .

(٤٦) الكشاف ٣/ ٢٩٢ ، وانظر ١/ ٤٠٥ في قوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون ﴾ .

(٤٧) بدائع الفوائد ١/ ١٠١ .

(٤٨) اساليب القسم في اللغة العربية ١٥٠ ، وانظر تفسير جزء عم لمحمد عبده - سورة البلد .

(٤٩) اساليب القسم في اللغة العربية ١٥٠ - ١٥١ .

ولابد هنا من أن نفرق بين ذكر (لا) مع فعل القسم (لا أقسم) وذكرها من دون فعل القسم (لا والله) فأنهما ليسا امرأً واحداً خلافاً للزمخشري فقد عدّهما امرأً واحداً.

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾: "فإن قلت: قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ والايات التي انشدتها المقسم عليها مني فهلا زعمت ان (لا) التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدّرت المقسم عليه المحذوف هنا منفيًا كقولك: لا أقسم بيزم القيامة لا تكون سدى.

قلت: لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساع ولكن لم يقصر. الا ترى كيف لقي (لا أقسم بهذا البلد) بقوله (لقد خلقنا الانسان) وكذلك (فلا أقسم بمواقع النجوم) بقوله: انه لقرآن كريم؟" (٥٠).

فرد على من قال إن (لا) في قوله تعالى (فلا وربك) انما زيدت لتظاهر النفي فيما بعد اي (لا يؤمنون) بأن ذلك مردود باستواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله (فلا أقسم) فرد بما فيه الفعل على ما لا فعل فيه.

وهذا فيما نرى غير سديد، فان الاستعمال يدل على انها مختلفان.

اما (لا والله) فتستعمل على ضربين:

الاول: أن تكون ردّاً للكلام سابق مثبتاً أو منفيّاً أو طلباً وذلك نحو قولك لمن قال لك: (اراك قد ملت اليه). لا والله ما ملت اليه.

ونحو قولك لمن قال لك: (لا اراك ذاهباً معه). لا والله ليس الامر كما ترى بل اني ذاهب معه.

وكقولك لمن قال لك: (اكرم فلانا). لا والله لا اكرمه.

وكقولك لمن قال لك: (ألا تذهب اليه؟). لا والله لا اذهب اليه.

وقد يكون جوابها مثبتاً فتقول لمن قال لك: (ارى فلانا كاذباً).

لا والله انه لصادق.

والضرب الآخر وهو المقصود أن تقع ابتداء من غير كلام سابق والغرض من هذا النفي الايذان بنفي المقسم عليه وتوكيد النفي الذي يجي فيما بعد وذلك نحو قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون) ، وكقول امرئ القيس :

لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر

فلا يكون جوابها الّا منفيًا والامر فيها كما قال من قال إنها ايدان بالنفي وتوكيد له واما (لا اقسم) فالامر فيها مختلف فان جوابها يكون مثبتًا ومنفيًا ، ولم يرد في القرآن الكريم الّا مثبتًا .

وهذا التعبير - أي القسم - لون من ألوان الأساليب في العربية تخبر صاحبك عن أمر يجمله أو ينكره وقد يحتاج الى قسم لتوكيده لكنك تقول له : لاداعي لأن احلف لك على هذا أولا أريد أن احلف لك أن الامر على هذه الحال ، ونحوه مستعمل في الدارجة عندنا نقول : ما احلف لك أن الأمر كيت وكيت ، أو ما احلف لك بالله لان الحلف بالله عظيم ان الامر على غير ما تظن ، أو ما اكول والله ان الامر كذا وكذا (أي لا اقول والله) .

فأنت تخبره بالامر وتقول له لاداعي للحلف بالمعظّمات على هذا الامر فأنت انخبرته ما اردت ان تخبره به وعظمت له ما اردت أن تعظمه مما يستحق أن يقسم به ثم تقول له : إنني لا اريد أن اقسم لك بما هو عظيم على هذا الامر . فهذا من هذا الضرب والله اعلم .

جواب القسم

جملة جواب القسم اما اسمية او فعلية ، فان كانت اسمية اجيب القسم في الاثبات باللام المفتوحة أو (إنّ) واللام ، أو (إنّ) وحدها مشددة أو مخففة^(٥١) .

(٥١) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٧٤ ، المع ٢ / ٤١ .

تقول : (والله هو افضل منك) أو (إنه افضل منك) أو (إنه لافضل منك)
 قال تعالى : ﴿فورب السماء والارض إنه لحق - الذاريات ٢٣﴾ .
 وقال : ﴿حم والكتاب المبين . انا انزلناه في ليلة مباركة - الدخان ١ - ٣﴾ .
 وقال : ﴿قال تالله إن كدت لتردين - الصافات ٥٦﴾ .
 وقال : ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما - المائدة ١٠٧﴾ .

وإذا كان الجواب جملة فعلية فعلها مضارع كان باللام المفتوحة مع النون أو من
 دون نون . قال تعالى : ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم - الانبياء ٥٧﴾ ، وقال : ﴿ولئن
 مُتّم أو قُتلتم لإلى الله تُحشرون - آل عمران ١٥٨﴾ .

وذلك انه اذا كانت جملة الجواب مصدرة بفعل مضارع مثبت مستقبل غير
 مفصول عن لامة بفاصل وجب توكيده بالنون^(٥٢) . وان فقد شرط واحد من هذه
 الشروط امتنعت النون .

فان كانت الجملة منفية امتنعت النون . قال تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم
 لا يبعث الله من يموت - النحل ٣٨﴾ وقال : ﴿فلا وربك لا يؤمنون - النساء
 ٦٤﴾ .

وان كان الفعل للحال امتنعت النون ايضاً وذلك لان نون التوكيد تخلص الفعل
 للاستقبال فلا تدخل على ما كان للحال . تقول : ﴿والله لأذهبُ اليه الآن﴾ ،
 وتقول : (لعمرك لأحسبه صادقاً) فتكتفي باللام وتمتنع النون^(٥٣) . ومن هنا فرقوا بين
 قولهم : (ان محمداً ليضربن خالداً) و (ان محمداً ليضربُ خالداً) . فقالوا ان مافيه
 نون التوكيد مخصوص بالاستقبال ، وما فيه اللام وحده ليس كذلك ، بل ذهب
 اكثرهم الى انه مخصوص بالحال لأن لام الابتداء تخلص الفعل المضارع للحال عند
 الاكثرين^(٥٤) .

(٥٢) شرح الاثوري ٣ / ٢١٥ ، التصريح ٢ / ٢٠٣ ، الجمع ٢ / ٤٢ .

(٥٣) شرح الرضي ٢ / ٣٧٦ .

(٥٤) انظر المغني ١ / ٢٢٨ .

وقد بحثنا هذا في باب (انْ وأخواتها) ورجحنا انها لا تختص المضارع للحال بل قد تفيد وتفيد الاستقبال . قال تعالى : ﴿وَأَنْ رَّبِّكَ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - النحل ٢٤﴾ . وعلى هذا فالتعبير بالنون مخصوص بالاستقبال ، والتعبير باللام يحتمل الحال والاستقبال ، وهو للحال برجحان الآ إذا دل على غير ذلك دليل .

جاء في (شرح ابن يعيش) : "فاذا قلت : (ان زيدا ليضربن) .
تقديره : ان زيدا والله ليضربن عمرا فاللام واقعة موقعها لانها بواب للقسم فهي بعده . واذا قلت : (ان زيدا ليضرب عمرا) فهذه اللام تقديرية وان تكون داخلية على (ان) فبين هذه اللام واللام التي معها النون فصل من وجهين :

احدهما ان اللام التي معها النون لا تكون الا للمستقبل والتي ليس معها النون تكون للحال وقد يجوز أن يراد بها المستقبل .

والوجه الآخر ان المفعول به لا يجوز تقديمه على الفعل الذي فيه النون ويجوز تقديمه على الذي لانون فيه " (٥٥) .

وتمتنع النون ايضا اذا فصل اللام عن الفعل تقول : (والله لسوف اكرمك) .
قال تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى - الضحى ٥﴾ .
وعلى اية حال لا بد من اللام مع المضارع المثبت .

اما اذا كانت جملة الجواب مصدرة بفعل ماض غير جامد فيكون الجواب باللام مع قد ، كقوله تعالى : ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتٰكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا - يوسف ٩١﴾ وربما حذفت اللام اذا كان في الكلام طول . قال تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّاهَا ... قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا - الشمس ١ - ٩﴾ (٥٦) . وقيل بل هو ليس بجواب القسم بل هو تابع لقوله تعالى : ﴿فَأَنفَعُهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ على سبيل الاستطراد (٥٧) . وهو الراجح فيما هو ظاهر .

(٥٥) شرح ابن يعيش ٩ / ٩٦ ، وانظر كتاب سيبويه ١ / ٤٥٦ .

(٥٦) انظر المجمع ٢ / ٤٢ .

(٥٧) انظر الكشف ٣ / ٣٤٢ .

واما الفعل الجامد فيجاب باللام دون (قد) لان (قد) لا تدخل الآ على المتصرف ، تقول : (والله لنعم الرجل انت) . قال :
يمينا لنعم السيدان وجدتما (٥٨)

واما في النني فيجاب القسم ب (ما) أو (لا) أو (إن) في الجمل الاسمية أو الفعلية . قال تعالى : ﴿يخلفون بالله ما قالوا - التوبة ٧٤﴾ وقال : ﴿والله ربنا ما كنا مشركين - الانعام ٢٣﴾ فتلقاه ب (ما) .

وقال : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت - النحل ٣٨﴾ .
وقال : ﴿فيقسمان بالله إن ارتبتم لانشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى - المائدة ١٠٧﴾ فتلقاه ب (لا) .

وقال : ﴿ولئن زالتا إن أمسكهما من احد من بعده - فاطر ٤١﴾ .
وقال : ﴿ثم جاؤوك يحلفون بالله إن اردنا الا احسانا وتوفيقا - النساء ٦٢﴾ فتلقاه ب (ان) النافية .

وتقول في الجمل الاسمية (والله ما محمد مسافر) أو إن محمد مسافر .
قال تعالى : ﴿والسما والطارق ... إن كل نفس لَمَّا عليها حافظ - الطارق ١ - ٤﴾
أى ما كل نفس الآ عليها حافظ .

وتقول : والله لا احد في الدار ، أو والله لا ابراهيم ولا محمود في الدار (٥٩) .
واما في القسم الطلبي والاستعطافي فَيُتَلَقَّى بالامر والنهي والاستفهام ، تقول :
(بالله عليك ارحم ضعفي) وتقول : (بالله عليك لاتردني خائبا) وقال :
بربك هل ضمنت اليك ليلي

ويجاب بالآ و (لَمَّا) تقول : (بالله عليك الآ فعلت ولمَّا فعلت) (٦٠) .

حذف (لا) النافية من جملة الجواب :

يجوز حذف (لا) النافية من جواب القسم قياسا اذا كان فعلا مضارعاً تقول :
(والله أرغبُ عنك) أي لا أرغب عنك . فاذا أريد الاثبات جي باللام ، ولا بد اذ

(٥٨) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٦ .

(٥٩) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٥ .

(٦٠) انظر المجمع ٢ / ٤١ - ٤٢ ، شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٤ .

لا يجوز أن يُطلق القسم في الاثبات بغير اللام ، فان لم تذكر اللام علمت أنه منفي
للمحالة . قال تعالى : ﴿ تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفُ - يَوْسُفُ ٨٥ ﴾ ، والمعنى لا تفتأ . ولو
أريد الاثبات لقليل (لثقتان) في الاستقبال أو (لثقتاً) إذا أريد الحال . قال الشاعر :

آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

أي : لا أطعمه . وقال :

فقلت بمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي : لأبرح . وقال :

تالله يبق على الأيام ذو حيد بمشخر به الظيآن والآس^{٨٦}

وقال صفوان بن أمية في الخمر :

رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تفسد الرجل الكريما
فلا والله أشربها حيائي ولا أشفي بها أبدا سقيا

أي : لا أشربها .

وقال عمر بن الخطاب فيها أيضا :

سأله للفتى ما ليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال
أقسمت بالله أسقيها وأشربها حتى يفرق ترب القبر أوصالي
مورثة القوم أضغانا بلا احن مزرة بالفتى ذي النجدة الحالي

(٦١) انظر المسع ٤٣/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٧ .

أي : لا اسقياها ولا أشربها .
جاء في (الكتاب) : " وقد يجوز ذلك وهو من كلام العرب ان تحذف (لا) وأنت
تريد معناها وذلك قولك (والله افعل ذلك ابدا) تريد : والله لا افعل ، وقال :

فحالف فلا والله تهبط تلعة من الارض ألا أنت للذل عارف^(٦٢)

وجاء في (معاني القرآن) للفراء في قوله تعالى (تالله تفتأ) : " (تالله تفتأ) : معناه
لا تزال تذكر يوسف و (لا) قد تضم مع الإيمان لأنها اذا كانت خبراً لا يضم فيها
(لا) لم تكن إلا بلام . الا ترى أنك تقول : (والله لا آتيناك) ولا يجوز أن تقول :
(والله آتيناك) الا ان تكون تريد (لا) . فلما تبين موضعها وقد فارقت الخبر
أضمرت^(٦٣) " .

الاستغناء بالجواب عن القسم :

يقول النحاة إنه قد يستغنى بجواب القسم عن القسم فيكون الجواب دليلاً على
القسم المحذوف وذلك كأن يؤتى باللام الواقعة في جواب القسم كقولك : (لأذهبن
اليه) وقولك (لقد رددت عليه) فاللام واقعة في جواب قسم محذوف والتقدير : والله
لأذهبن اليه أو لقد رددت عليه . قال تعالى : ﴿كَلَّا لِيُنْزِلَنَّ فِي الْخَطْمَةِ - الْهَمْزَةُ
عَ ، وقال : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ - آل عمران ١٥٢﴾ .

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : " ويستغنى كثيراً عن القسم بجوابه إن اكّد
بالنون نحو : (لا ضربتك) " ^(٦٤) .
وجاء في (الكتاب) : " وسأله - يعني الخليل - عن قوله (لتضعلن) إذا جاءت
مبتدأة ليس قبلها ما يخالف به . فقال : إنما جاءت على نية المين وإن لم يتكلم
بالخلاف به " ^(٦٥) .

(٦٢) كتاب سيويه ١ / ٢٥٤ .

(٦٣) معاني القرآن ٢ / ٥٤ .

(٦٤) شرح الرضي ٢ / ٣٨٧ ، وانظر المسح ٢ / ٤٤ .

(٦٥) كتاب سيويه ١ / ٤٥٥ .

وقد يؤتى باللام المواطة للقسم قبل الشرط للتنبيه على القسم المحذوف كقولك (لئن لم تأتني لا قطعن عنك العون) أي : والله ان لم تأتني . قال تعالى : ﴿ ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن - يوسف ٣٢ ﴾ وقال : ﴿ ولئن لم تنته لأرجمنك - مريم ٤٦ ﴾ . فهذه اللام نبهت على القسم المقدر .

وربما حذفت اللام الموطئة قبل الشرط ^(٦٦) واكتفي بجواب القسم للدلالة على القسم المحذوف وذلك نحو قوله تعالى ﴿ وان اطعموهم انكم لمشركون - الانعام ١٢١ ﴾ فثمة قسم مقدر قبل الشرط والتقدير : لئن اطعموهم بدلالة الجواب . إذ لو كان الجواب للشرط لقليل (فانكم مشركون) فالجواب ههنا دليل على القسم المقدر ونحو قوله تعالى : ﴿ وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - الاعراف ٢٣ ﴾ فهنا قسم مقدر قبل الشرط بدلالة الجواب (لنكونن) ولو لم يكن جوابا للقسم لقليل (نكن من الخاسرين) كما قال تعالى في موطن آخر : ﴿ والّا تغفري وترحمني اكن من الخاسرين - هود ٤٧ ﴾ .

والذي يبدو لي أن ليس ثمة قسم مقدر وانما هو تأكيد كتوكيد القسم وهو نظير قولنا (انه لمنطلق) فهذا ليس بقسم ولكنه مؤكد كتوكيد القسم إذ لو أقسمت فقلت (والله انه لمنطلق) لم يختلف التوكيد في الجملتين مع أن الاولى ليست قسما كما هو رأي الجمهور .

وكذلك قولك (لقد ذهبت اليه) أو (لأذهبن اليه) ليس بقسم وانما هو تأكيد للاثبات ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه - آل عمران ١٥٢ ﴾ .

وقوله : ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه - آل عمران ١٤٣ ﴾ وقوله : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت - البقرة ٦٥ ﴾ . وقوله : ﴿ ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة - التوبة ٢٥ ﴾ . وقوله : ﴿ ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها - الفرقان ٤٠ ﴾ .

(٦٦) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٧ ، المغني ٢ / ٦٤٠ .

فهذا كله ليس بقسم فيما أرى وإنما هو تأكيد فحسب . وهل يحتفل المعنى القسم في قوله تعالى ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت ﴾ والمخاطبون يعلمون ذلك مقرّون به وليسوا منكّرين له ؟ وهل يحتمله قوله تعالى ﴿ ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء ﴾ وهم يأتونها في أسفارهم وليسوا منكّرين لذلك ؟

يخيل اليّ أن المعنى على التوكيد وحسب والله اعلم .
وكذلك ما فيه نون التوكيد نحو قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم - المائدة ٩٢ ﴾ .

وقوله : ﴿ لنخرجنك يا شعيب والذين معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا - الاعراف ٨٨ ﴾ . فهل في قوله تعالى (أو لتعودن في ملتنا) قسم ؟ وهل يستقيم الكلام إذا قلت : والله لتعودن في ملتنا ؟ وهل يدل ذلك على المعنى المراد ؟ . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين - يوسف ٣٥ ﴾ فمن هذا الذي أقسم على ذلك ؟

وهل نحس في هذا معنى القسم ؟ أفيصح التقدير : ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات والله ليسجننه حتى حين ؟ أنرى أن ذلك موافق للمعنى ؟

ونحوه قوله تعالى : ﴿ وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى - التوبة ١٠٧ ﴾ فهذا على مقتضى قول النحاة حلف على الحلف لأن (ليحلفن) عندهم جواب لقسم مقدر وهو حلف أيضا جوابه ان اردنا إلا الحسنى .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين -- الاسراء ٤ ﴾ فان هذا ليس حلفا بل وعدا وحسب والله اعلم .

الحق أن هذا تأكيد للاثبات فقط وليس بقسم فانك كما تؤكد الامر والنهي والاستفهام والنفي بالنون تؤكد الاثبات وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ ولا تموتنّ الا وانتم مسلمون -- آل عمران ١٠٢ ﴾ . وقوله : ﴿ هل يذهب كيد ما يغيظ - الحج ١٥ ﴾ ، وقوله : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة - الانفال ٢٥ ﴾ ، والا فكيف تؤكد الاثبات من دون قسم إذا أردنا ذلك ؟

ألا ترى أننا نؤكد الجملة الاسمية المثبتة من دون قسم فنقول : (إن محمداً قادم) و(إنه لقادم) وكذلك يقتضي القياس أن نؤكد الجملة الفعلية من دون قسم نحو (لاذهبن اليه) و(لقد ذهبت اليه) .

وليس كل ما يصلح أن يقع جواباً لقسم يكون جواباً للقسم بالضرورة . ألا ترى أن النحاة لا يقولون إن قولنا : (لاأذهب اليه) جواب قسم مع أنه يصح أن يقع جواباً للقسم فنقول (والله لا أذهب اليه) . قال تعالى : ﴿ فيقسمان بالله ان ارتبتم لانتشري به ثمنا ولو كان ذا قرى - المائدة ١٠٧ ﴾ فلماذا يكون المثبت جواباً للقسم دائماً ولا يكون النفي كذلك ؟ فأننا نقول في الاثبات (والله لاذهبن اليه) ونقول في النفي : (والله لاأذهب اليه) فالثانية نفي للأولى فلماذا يجعلونها في المثبت قسماً دائماً ولا يجعلونها في النفي كذلك ؟ ألا ترى أنه تمحلُّ فحسب ؟

ومثل ذلك ما فيه اللام التي يسمونها موطئة فهي ليست قسماً فيما أرى بل هي لزيادة التوكيد فحسب ، فليس ثمة قسم فيما أحسب في قوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله - الزخرف ٨٧ ﴾ إذ هو لا يحتاج الى قسم فيما يبدو، ومثله قوله : ﴿ لئن أكله الذئب ونحن عصابة - يوسف ٦٤ ﴾ ، وقوله : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب - التوبة ٦٥ ﴾ . وهل في قوله : ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء... ليقولن الله - العنكبوت ٦٣ ﴾ قسم ؟ وهل هو في حاجة الى قسم ؟

إن هذا زيادة في التوكيد فحسب ، فما جاءت فيه اللام الموطئة مع الشرط أكد مما لم تكن فيه اللام ، فقولك (لئن جاءني لاكرمنه) أكد من قولك (إن جاءني لاكرمنه) باضمار اللام . وأكد منها القسم الصريح ، فإذا قلت (والله إن جاءني لاكرمنه) كان أكد من قولك (إن جاءني لاكرمنه) أو (لئن جاءني لاكرمنه) . يدل ذلك الاستعمال القرآني .

قال تعالى : ﴿ والآن تغفري وترحميني إكن من الخاسرين - هود ٤٧ ﴾ من دون توكيد .

وقال : ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين - الاعراف ١٤٩﴾
بتوكيد الجواب وباللام الموطئة قبل الشرط .

فالثالثة أكد من الثانية والثانية أكد من الاولى ويدلك على ذلك السياق . قال تعالى في سياق الآية الثالثة : ﴿ولما سُقِطَ في ايديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين - الاعراف ١٤٩﴾ .

وهذا في بني اسرائيل بعد ما عبدوا عجل الذهب واتخذوه الها لهم وهو كفر صريح وضلال مبين ولذلك عند توبيتهم اكدوا قولهم باللام الموطئة زيادة على توكيد الجواب (لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) .

وأما الآية الثانية التي هي (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) فهي على لسان آدم وزوجه بعد ما اكلا من الشجرة التي نهاهما ربها عنها .

وهذه المعصية أقل من معصية بني اسرائيل ، فان معصية قوم موسى كفر لانها عبادة لغير الله ولم يفعل مثل ذلك آدم بل هو مقر بربوبية الله ومقر بعبوديته لربه وانما هي لحظة ضعف ادركته كما تدرك الكثير من الناس من غير أن تخرجهم عن دينهم ثم يتوبون عنها . الم تركيف وصف بني اسرائيل بالضلال فقال : (ورأوا أنهم قد ضلوا) ولم يصف آدم بذلك .

فلما كانت المعصية اقل حذف اللام الموطئة التي تفيد التوكيد . فالاولى أكد لان المعصية اكبر . فالتوبة وطلب المغفرة يكونان على قدر المعصية .

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالى : ﴿والأ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فهي على لسان نوح عليه السلام ، وذلك انه سأل ربه أن ينجي ابنه من الغرق لان الله وعده أن ينجي معه اهله فقال : ﴿رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق﴾ فقال له الله : ﴿انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني اعظك أن تكون من الجاهلين - هود ٤٦﴾ .

فطلب نوح من ربه المغفرة والعفو لسؤاله هذا فقال : ﴿قال ربي اني اعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والأ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فهذا ليس

بمعصية كمعصية آدم وانما فهم نوح أن ابنه يدخل مع اهله الناجين فبين له الله أنه ليس من اهله لانه كافر، فطلب من ربه المغفرة لما سأل ولذلك لم يأت الكلام مؤكداً. فانت ترى أن التوكيد يتناسب هو وحجم المعصية. فلما لم يكن سؤال نوح معصية لم يؤكد كلامه، ولما كان فعل آدم معصية لربه اكده بالنون، ولما كان فعل بني اسرائيل كفراً وضلالاً اكده بالنون وباللام الموطئة، فالخسران انما يكون على قدر المعصية ولاشك.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالكت من الله من ولي ولا نصير - البقرة ١٢٠﴾ فجاء باللام الموطئة في حين قال: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم. وإن اطعتموهم انكم لمشركون - الانعام ١٢١﴾.

فقال في الاولى (لئن اتبعت اهواءهم...)، وقال في الثانية: (وان اطعتموهم...).

فأكد الاولى باللام الموطئة، أما الثانية فلم يذكر فيها اللام وذلك لان الاولى تستدعي قدراً زائداً من التوكيد فانها تحذير لرسول الله (ﷺ) من ترك ملة الاسلام واتباع اليهود أو النصارى وهو من اكبر المعاصي، إذ كيف يصح من رسول ينزل عليه الوحي من ربه أن يترك أمر الله الى ملة اخرى لا يرضاها ربه؟ فاحتاج ذلك الى قدر من الوعيد اكبر.

وأما الثانية فهي في الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه. وقد جاء الشرط تعقياً على ذلك. فانت ترى أن المعصية الاولى اكبر واكبر لانه تحذير من انسلاخ رسول من رسل الله ينزل عليه الوحي عن الدين الذي ارتضاه له ربه واتباع ملة ضالة. فاحتاج ذلك الى قدر من التوكيد اكبر.

فإن سبق الكلام بقسم صريح كان أكد لانك بدأت بذكر ما تعظمه قاطعاً على نفسك أنك ستفعل او لا تفعل. وقد ذكرت هذا المعظم تقوية للعهد والميثاق. ففي القسم الصريح توكيد وزيادة بخلاف ما لم يذكر فيه القسم الصريح.

وعلى اية حال فان القسم الصريح يختلف عن المؤكد بالنون أو باللام الموطئة من نواح اهمها :

- ١ - ان ما ذكر فيه القسم الصريح أكد مما لم يذكر فيه القسم صراحة وذلك لانه توكيد وزيادة كما اسلفنا .
 - ٢ - انه في القسم الصريح يقصد لفظ المقسم به ويراد كما يقصد جوابه فالقول (والله) أو (ورب الكعبة) أو (والضحى) أو (والذاريات) أو (والمرسلات) وغير ذلك مما يقسم به يراد لفظ المقسم به لامور بلاغية أو تعظيمية أو غيرها كما يراد جوابه .
واما ما لم يذكر فيه المقسم به فالمراد منه هو الجملة المؤكدة فحسب .
 - ٣ - ينبني على ذكر المقسم به صراحة أحكام شرعية كالبر والحنث والصحة والبطالان مما لا يكون فيما يسمونه بالقسم المضمّر ، فالقسم بغير الله باطل . ومن أقسم بالله ولم يبرّ بقسمه فهو حانث وعليه كفارة اليمين بخلاف المؤكد توكيد القسم فإنه لا يجري عليه حكم اليمين . فإذا قلت : والله لأزورنه الليلة ثم لم تزره كنت حانثاً في يمينك وعليك كفارة اليمين . وإن قلت : لأزورنه الليلة ولم تزره ، لم تلزمك الكفارة وإنما أكدت الوعد توكيد اليمين .
- فتبين مما ذكرت ان ما أكد باللام أو ما سبق باللام الموطئة ليس قسماً والله أعلم .

حذف جواب القسم

يحذف جواب القسم وجوباً وجوازاً .
فيجب حذفه إذا تقدم القسم أو اكتنفه ما يدل عليه (٦٧) . فن الاول قولك :
(أنت مخلص والله) ، ومن الثاني قولك : (أنت والله مخلص) .
ففي الجملة الاولى سبق ما يغني عنه وقد بني الكلام على غير القسم ابتداء حتى إذا انتهى الكلام جيّ بالقسم بعد ذلك .

(٦٧) أنظر المغني ٢ / ٦٤٥ ، شرح الرضي ٢ / ٣٧٧ شرح ابن يعيش ٩ / ٩٣ .

واما في الجملة الثانية فقد اعترض القسم بين الكلام ، فقد بني الكلام ابتداء على غير القسم ثم رأيت أن تقسم في أثناء الكلام ، فلا يحتاج القسم الى جواب لان الكلام في كلتا الحالتين غير معقود عليه وقد أغنى عن الجواب الكلام المتقدم على القسم أو المكتنف له .

وهذا نظير حذف جواب الشرط إذا تقدمه أو اكتنفه ما يدل عليه .

اما إذا وقع القسم ابتداء فلا بد له من جواب ظاهر أو مقدّر ، لان الكلام مبني عليه .

جاء في (معاني القرآن) للفراء : "وكذلك التمين يكون لها جواب إذا بدئ بها فيقال : والله إنك لعاقل . فإذا وقعت بين الاسم وخبره قالوا : أنت والله عاقل . وكذلك إذا تأخرت لم يكن لها جواب لان الابتداء بغيرها" (٦٨) .

وقد يحذف جواب القسم جوازاً إذا كان في الكلام ما يدل عليه وذلك نحو قولك لمن قال لك : (أذهب إليه ؟) : (نعم والله) . أو (لا والله) أي نعم والله لقد ذهبت إليه ، أو لا والله ما ذهبت إليه .

ويحذف أيضاً جوازاً إذا كان بعده ما يدل عليه وذلك نحو قوله تعالى : ﴿والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً... يوم ترجف الراجفة - النازعات ١ - ٦﴾ والتقدير لتبعثن بدليل ما بعده (٦٩) .

وقد يكون القصد من حذف الجواب أن لا يراد جواب بعينه وإنما يراد كل ما يحتمله السياق والمقام من جوابات .

فقد يكون الجواب مقصوداً بعينه وذلك نحو قوله تعالى ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين - مريم ٦٨﴾ ، وقد يكون غير مقصود بعينه وإنما يتسع لكل ما يحتمله المقام فلا ينصرف الذهن الى شيء بعينه ، بل يدعه يذهب كل مذهب مما يحتمله سياق الكلام ومقامه فيكون كله مراداً أو محتملاً مراده وذلك نحو قوله تعالى : (ق

(٦٨) معاني القرآن ٢ / ٣٣٨ .

(٦٩) أنظر المغني ٢ / ٦٤٦ ، تأويل مشكل القرآن ١٧٣ ، العملة ٢ / ٢٧٧ - ٢٧٨ الطراز ٢ / ١١٥ .

والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب. إذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد. قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ - ق ١ - ٤) فيحتمل الجواب أن يكون (انك لمنذر) بدليل قوله (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) ^(٧٠) ويحتمل أن يكون (ليبعثن) بدليل (إذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد)، ويحتمل أن يكون (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) ويحتمل غير ذلك مما يتناسب هو والمقام.

ونحو قوله تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ بل الذين كفروا في عزة وشقاق، كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص. وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجيب - ص ١ - ٥).

فيحتمل أن يكون الجواب (لنهلكهم) بدليل قوله تعالى: (كم أهلكنا من قبلهم من قرن)، ويحتمل أن يكون (لقد عجبوا من إنذارك) أو (ليعجبين) بدليل قوله: (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم)، ويحتمل أن يكون الجواب (انه لذكر لهم) أي شرف لهم بدليل قوله (والقرآن ذي الذكر)، ويحتمل أن يكون الجواب (ما الذي كفروا نازلين على حكم الحق بل الذين كفروا في عزة وشقاق) كل ذلك يحتمله السياق ويحتمل غيره.

وهذه المعاني كلها مرادة أو محتملة المراد فيكون المعنى قد اتسع بحذف الجواب وشمل أبعاداً لم يكن يشملها بالذكر.

وعلى هذا فالغرض من الذكر هو القصد إلى جواب بعينه.

وأما الحذف فيحتمل أن يكون المراد منه الإيجاز ويحتمل أن يكون المراد منه سعة المعنى وشموله وذهاب الذهن كل مذهب والله أعلم.

(٧٠) أنظر المغني ٢ / ٦٤٦.

النفي

ادوات النفي

سبق لنا أن بحثنا ادوات النفي في اماكن متفرقة فقد بحثنا (ليس وما ولا وان ولات) في بحث (ليس والمشبهاات بها) وبحثنا (لم ولما ولن ولا) في نصب الفعل المضارع وجزمه وستعرض لها الآن تعرضا موجزا .

لم :

تنفي الفعل المضارع وتجزمه وتقلب زمنه الى الماضي وهي لنفي (فعل)^(١) فاذا قلت : (حضر محمد) فان نفيه (لم يحضر) . وقد يكون النفي بها منقطعا أي انتفي حدوث الفعل في وقت ما ثم انقطع النفي وذلك نحو قولك (لم يحفظ محمد القصيدة امس وانما حفظها اليوم) . وقد يكون النفي متصلا الى زمن المتكلم نحو (لم يعد خالد من سفره الى اليوم) ، وقد يكون مستمرا لم ينقطع ولا ينقطع وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - الاخلاص ٣ ، ٤ ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ مثَلُ الجنة التي وُعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه - محمد ١٥ ﴾ .

لما :

وهي تنفي الفعل المضارع وتجزمه وتقلب زمنه الى الماضي المتصل بالحال وذلك نحو (لما يحضر سعيد) أي لم يحضر الى وقت المتكلم . وهي لنفي (قد فعل^(٢)) فاذا قلت (قد رجع) فان نفيه (لما يرجع) .

والفرق بينها وبين (لم) ان المنفي بـ (لم) يكون متصلا ومنقطعا في حين ان المنفي بـ (لما) لا يكون الا متصلا بزمن التكلم ، وان المنفي بـ (لما) فيه معنى التوقع وذلك لانها

(١) انظر كتاب سيبويه ٤٦٠/١ .

(٢) كتاب سيبويه ٤٦٠/١ .

نفي ل (قد فعل) و (قد) فيها معنى التوقع وكذلك منفيها فانك اذا قلت (لما يحضر)
فان المعنى : لما يحضر بعد وهو متوقع حضوره . واما (قد حضر) فان معناه كان متوقعا
منه الحضور فحضر.

وقد سبق الكلام عليها وعلى (لم) بما فيه الكفاية فلا داعي لاعادته ههنا .

لن :

تدخل على الفعل المضارع فتنتفيه نفيا مؤكداً وتخلصه للاستقبال تقول : (لن
اكلمه بعد اليوم) ، وهي نفي ل (سوف يفعل) أو سيفعل^(٣) . فاذا قلت (سوف
اذهب اليه) أو (سأذهب اليه) فان نفيه : (لن اذهب اليه) . ولا يجمع بينها فلا
يقال : (سوف لن اذهب اليه) فان (سوف) للاثبات و (لن) للنفي .

وهي لاتنفيد التأييد بدليل قوله تعالى : ﴿ فلن أكلم اليوم انسيا - مريم ٢٦ ﴾ فقد
قيد عدم الكلام بيوم واحد وهو ينافي التأييد^(٤) .

ليس :

تدخل على الجمل الاسمية فتنتفيها وتكون لنفي الحال عند الاطلاق نحو : (ليس
اخوك حاضرا) أي الآن ، وان قيدت كانت بحسب ذلك القيد^(٥) . فقد تكون
للمضي نحو (ليس اخي قد سافر أمس) ، وقد تكون للاستقبال وذلك نحو قولك :
(لست ذاهبا اليه غدا) . قال تعالى : ﴿ الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم - هود
٨ ﴾ .

وقد تكون للاستمرار وذلك كقوله تعالى ﴿ وان الله ليس بظلام للعبيد - آل
عمران ١٨٢ ﴾ .

وقد تكون للحقيقة غير مقيدة بزمان وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وليس الذكر
كالانثى - آل عمران ٣٦ ﴾ وقوله : ﴿ ليس كمثله شيء - الشورى ١١ ﴾ .

(٣) كتاب سيبويه ٤٦٠/١ ، ٦٨/١٠ .

(٤) انظر المغني ٢٨٤/١ .

(٥) انظر شرح ابن عقيل ١١١/١ ، شرح الاشبوني ٢٢٧/١ .

ما :

تنفي الجمل الاسمية والفعلية .

فاذا دخلت على الجمل الاسمية كان نفياً للحال عند الاطلاق واذا قيدت كانت بحسب القيد ، تقول (ماهو مسافراً) أي الآن ، وتقول (ماهو مسافراً غداً) . قال تعالى : ﴿وما هم بخارجين من النار- البقرة ١٦٧﴾ ، أي في الاستقبال . وقد تكون للمضي نحو (ما سعيد ظلمني حتي بل خالد) .

وقد تكون للحقيقة غير مقيدة بزمن كقوله تعالى : ﴿ماهن امهاتهم- المجادلة ٢﴾ .

وهي أكد من (ليس) فانها تقع جواباً للقسم تقول : (والله ماهو بمنطلق) بخلاف (ليس) . وقد ذكرنا ذلك في بحث (ليس) والمشبّهات بها .

وهي اوسع استعمالاً منها ايضاً ف (ليس) مختصة بنفي الجمل الاسمية وأما (ما) فتنفي الجمل الفعلية والاسمية .

واذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للحال عند الجمهور^(٦) . قال تعالى : ﴿قالوا يا شعيب مانفقك كثيرا مما تقول- هود ٩﴾ .

قال سيبويه : ” واذا قال (هو يفعل) أي هو في حال فعل فان نفياً (ما يفعل) ، واذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعا فنفيه (لا يفعل) “^(٧) .

فذكر انها لنفي الحال اذا دخلت على المضارع . ورد ابن مالك ذلك بقوله تعالى ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي- يونس ١٥﴾ . واجيب بأن شرط كونه للحال انتفاء قرينة خلافه^(٨) .

وهذا هو الحق فانها تكون للحال كثيراً وقد تكون لغير الحال ايضاً . فقد تدل على الاستمرار وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وما يعلم تأويله الا الله- آل عمران ٧﴾ ، وقوله :

(٦) انظر الفصل ١٩٩/٢ ، المغني ٣٠٢/١ .

(٧) كتاب سيبويه ٤٦٠/١ .

(٨) المغني ٣٠٣/١ .

﴿وما الله يريد ظلماً للعباد-آل عمران ١٠٨﴾ وقوله ﴿وما يعذبهم الشيطان إلا غروراً-النساء ١٢٠﴾ وقوله : ﴿وماتسقط من ورقة إلا يعلمها-الانعام ٥٩﴾ .
وهي تنفي الفعل الماضي نحو (ما ذهبت اليه) وقد ذكر أنها عند ذاك تكون لنفي الماضي القريب من الحال^(٩) .

والحقيقة ان الكثير فيها أن تكون كذلك ، وقد تأتي لنفي الماضي البعيد . قال تعالى : ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين-الانباء ١٦﴾ ، وقال : ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا-آل عمران ١٩١﴾ . وقال ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم-النساء ١٥٧﴾ .

وقد تكون للاستقبال في جواب الشرط أو غيره قليلا . قال تعالى : ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم-النساء ٦٦﴾ ، وقال : ﴿لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم-المائدة ٣٦﴾ ، وقال : ﴿ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك-البقرة ١٤٥﴾ .

وفيها تأكيد فقد ذكر سيبويه انها نفي ل (لقد فعل) قال سيبويه : ” واذا قال (لقد فعل) فان نفيه (ما فعل) لانه كأنه قال : (والله لقد فعل) فقال : (والله ما فعل) “^(١٠) . فهي أكد من (لم) .

جاء في (الاتقان) : ” ومقتضى كلام سيبويه ان فيها معنى التأكيد لانه جعلها في النفي جوابا^(١١) لقد (كذا) فكما ان (قد) فيها معنى التأكيد فكذلك ما جعل جوابا لها “^(١٢) .

(٩) الفصل ١٩٩/٢ .

(١٠) كتاب سيبويه ٤٦٠/١

(١١) الصواب ل (لقد)

(١٢) ، الاتقان ١٧٦ / ١

وقد ذكرنا في بحث (لا النافية للجنس) أن (ما) قد تأتي رداً على قول أو ما نزل هذه المتزلة . قال تعالى : ﴿وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم - النساء ١٥٧﴾ .

الفرق بين ما ولم :

تدخل (لم) على المضارع فتقلب زمنه الى ماض كما ذكرنا و (ما) تنفي الفعل الماضي فتقول (لم اذهب) و (ما ذهبت) فيفيدان الدلالة على الماضي ولكن ثمة فروقا بينها من نواح اهمها :

- ١ - ان الماضي المنفي بـ (ما) يكون في الغالب لنفي الماضي القريب من الحال ، واما (لم) فليست مقيدة بزمن من أزمنة الماضي .
- ٢ - ان (ما) تؤكد من (لم) وذلك انها تقع جوابا للقسم كما ذكرنا بخلاف (لم) .
قال تعالى : ﴿والله ربنا ما كنا مشركين - الانعام ٢٣﴾ .
وقال : ﴿يخلفون بالله ما قالوا - التوبة ٧٤﴾ والقسم تأكيد وكذلك جوابه .

ويدل على ذلك ايضا ان منفيها كثيرا ما يقترن بـ (من) الاستغرافية المؤكدة وهي التي يسميها النحاة زائدة وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وما مسنا من لغوب - ق ٣٨﴾ ، وقوله : ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله - المؤمنون ٩١﴾ ، وقوله : ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - الاحزاب ٤﴾ .

وأنا لا أذكر آية واحدة يمكن أن يقترن منفيها بـ (من) ثم لم يقترن بها بخلاف (لم) فإنها لم يقترن منفيها بـ (من) ولو مرة واحدة على كثرة ما ترددت في القرآن الكريم فدل ذلك دلالة واضحة على قوة نفي (ما) دون (لم) .

والظاهرة الجديرة بالتسجيل أنه لا ينافس (ما) في اقتران منفيها بـ (من) الا (إن) النافية فإنها لم ترد في القرآن الكريم الا مقترنة بـ (من) حيث أمكن ذلك في اللغة .

واما (لا) النافية فان منفيها لم يرد مقترناً ب (من) هذه الآ في موطن واحد على كثرتها المستفيضة في القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج - الاحزاب ٥٢ ﴾ . قال تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تنجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون - البقرة ٤٨ ﴾ .

٣- إن (ما) كثيراً ما تكون رداً على كلام أو ما نزل هذه المنزلة وذلك كأن يقول لك قائل : (لقد ذهب سالم الى سعيد) فنقول له (ما ذهب إليه) قال تعالى : ﴿ وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟ ﴾ فكان الجواب ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرني به - المائدة ١١٦ - ١١٧ ﴾ . وجاء على لسان النسوة في سورة يوسف رداً على التهمة التي ألصقتها به امرأة العزيز ﴿ حاش لله ما علمنا عليه من سوء - يوسف ٥١ ﴾ . وجاء على لسان المكذبين رداً على قول رسلهم (إنا إليكم مرسلون) ﴿ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء - يس ١٤ ، ١٥ ﴾ .

وهذا يقع أيضاً في غير الجمل الفعلية . فقد جاء رداً على قول المنافقين (إن بيوتنا عورة) قوله تعالى : ﴿ وما هي بعورة - الاحزاب ١٣ ﴾ وعلى قولهم (قالوا آمنة) قوله ﴿ وما هم بمؤمنين - البقرة ٨ ﴾ .

وهذا كثير وليس مطرداً .

٤- ينحيل الـي أن هناك فرقاً بين دخول (ما) على الماضي ودخول (لم) على المضارع من ناحية أخرى وهي أن الماضي يدل على أن الامر قد انقضى ، وأما المضارع فإنه قد يدل على التكرار والتجدد والتطاول فقولك (كتب) يدل على انتهاء الحدث وانقضائه وقولك (يكتب) يدل على تجدد الحدث واستمراره فإذا دخلت (ما) على الماضي دل على انتفاء الحدث بصيغة الماضي وإذا دخلت (لم) على المضارع دل على انتفاء الحدث في الماضي لكن بصيغة التجدد والاستمرار . فدخول (لم) يدل على أن الحدث لم يحصل في الماضي على تطاول المدة واستمرارها . قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب - ق ٣٨ ﴾ .

وقال : ﴿ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً - مريم ٢٠ ﴾ .

فقال في الآية الاولى (وما مسنا) وفي الثانية (ولم يمسسني) .

والسبب والله أعلم ان الآية الاولى ردّ على اليهود الذين يقولون إن الله تعب من خلق السماوات والارض فاستراح في اليوم السابع^(١٣) تعالى الله عما يقولون فرد عليهم بـ (ما) وجاء بـ (من) الاستغراقية للدلالة على أنه لم يحصل شيء من ذلك بخلاف الثانية فإنها ليست ردّاً على من قال إنها مسها بشر ولكن إخبار عن نفسها بذلك .

والامر الثاني وهو الذي يعنينا هنا أنه في الآية الاولى جاء بصيغة الماضي لان الامر حدث وانقضى مرة واحدة وهو خلق السماوات والارض ، واما الآية الثانية فهي في مس الرجال للنساء وهو أمر قد يتكرر ويتجدد حصوله فذكرت أن ذلك لم يحصل فيها انقضى من عمرها . فثمة اختلاف بين الامرين فإنه في الثانية كان من الممكن أن يتكرر المس في الماضي بخلاف التعب الذي يعقب العمل فإنه موقوت بذلك العمل . فما كان شأنه التجدد والاستمرار نفاه بـ (لم) مع المضارع ، وما حدث مرة واحد نفاه بـ (ما) مع الماضي .

وقال : ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا - الكهف ٩٠﴾ ولم يقل (وما جعلنا لهم) لان ذلك متكرر متطاوّل إذ كل يوم تطلع عليهم الشمس وليس لهم ستر دونها فجاء بالفعل المضارع مع (لم) بخلاف قوله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس - الاسراء ٦٠﴾ فجاء بالفعل الماضي مع (ما) لان الرؤيا وقعت مرة واحدة ، ثم إن الآية هذه ردّ على الكفرة الذين سخروا من رؤياه بخلاف الآية الاولى فإنها إخبار لاردّ فجاء في الاولى بـ (لم) والثانية بـ (ما) والله أعلم .

ونحوه قوله تعالى : ﴿في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر؟ قالوا : لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين - المدثر ٤٠ - ٤٤﴾ فجاء بـ (لم) مع المضارع للدلالة على التكرار والتجدد . فإن الصلاة تتكرر وإطعام المسكين يتكرر . ويمكن أن يقال أيضاً انه قد ينفي بـ (ما) مع الماضي إذا أريد نفي الحدث بصورته المنقضية التامة وينفي بـ (لم) مع المضارع إذا أريد نفي الحدث في الماضي بصورة التغير

(١٣) أنظر (سفر التكوين - الاصحاح الثاني الآية ٢ ، ٣) و (سفر الخروج ٣١ - الآية ١٧) .

والتجدد فيشخص الحدث في الذهن بصورته المتجددة ثم ينفية بهذه الصورة في الماضي، فإذا قلت مثلاً (ما استجاب لك خالد) أفاد نفي الاستجابة في الماضي بصورتها النهائية التامة. وإذا قلت (لم يستجب لك خالد) أفاد نفي الاستجابة في الماضي بصورتها التجديدية. قال تعالى: ﴿فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ - البقرة ٢٥٩ ﴿فجاء ب (لم) وذلك لان تغير الشراب والطعام يحصل تدريجياً ويستمر وليس دفعة واحدة فجاء ب (لم) للدلالة على انه لم يحصل شيء من ذلك ولو جاء ب (ما) وقال (ما تسنه) لافاد نفي التسنه وهو التغير بصورته النهائية التامة.

وقال: ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ - الكهف ٥٢ ﴿فهنا أفاد نفي الاستجابة بصورة التجدد والتناول، ولو قال (ما استجابوا لهم) لافاد نفي الاستجابة بصورتها المنقضية التامة.

ويبدولي أن قوله تعالى ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ - الكهف ٥٣ يفيد تكرار البحث وادامة النظر للخروج من النار فكأننا نراهم يبحثون غير أنهم لم يجدوا على كثرة ما بحثوا. ولو قال (ما وجدوا) لافاد انتفاء الحدث بصورته المنقضية لابتصرة البحث والتفتيش.

والذي دعاني الى هذا الفهم هو صورة المضارع مع (لم) وصورة الماضي مع (ما) وهما صورتان مختلفتان.

٥ - اذا عطف على المنفي ب (لم) بالماضي كان اثباتاً للمعطوف واذا عطف على المنفي ب (ما) احتمل النفي والاثبات، وذلك نحو قولك: (لم أعط محمداً وأعطيت خالداً) فهذا نفي لاعطاء محمد واثبات لاعطاء خالد. ولو قلت (ما اعطيت محمداً وأكرمت خالداً) لاحتمل نفي اعطاء محمد ونفي إكرام خالد اي: وما أكرمت خالداً واحتمل الاستثناف ايضاً، أي نفي الاعطاء واثبات الاكرام فلا يكون عطفاً.

وقد تقول هذا مردود بقوله تعالى: ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى﴾ - الضحى ٦، ٧ ﴿فقد عطف (وجدك) على (ألم يجدك). والثاني مثبت والاول منفي ومعناهما واحد.

والحق انها ليسا مختلفين فان الآية الاولى تقرير أي اثبات وليس نفياً فقوله تعالى (ألم يجدك يتيماً) معناه : انه وجدك يتيماً . ونحو قوله تعالى : ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك - الانشراح ١ ، ٢﴾ فالمعنى أنه شرح له صدره ووضعه عنه وزره .
فهما ليسا مختلفين .

٦ - قد يحتمل اشتراك (ما) مع ما يشبه لفظها من اسم موصول أو من حرف مصدر في احتمل التعبير أكثر من معنى ولا يكون ذلك مع (لم) وذلك نحو قولك : (تركهم وما يعبدون إلا الله) فقد يحتمل أن يكون المعنى أنه تركهم وهم لا يعبدون إلا الله أي تركهم يعبدون الله . ويحتمل أن يكون المعنى تركهم وعبادتهم إلا الله ، أي :
الآ عبادة الله ، فتكون (ما) مصدرية ، وقد تحتل الموصولية أي تركهم والذي يعبدون إلا الله . وهذا المعنى الأخير نظير قوله تعالى : ﴿واذا اعتزلتوهم وما يعبدون إلا الله - الكهف ١٦﴾ .

ونحو (ما أخبرتك ما أريد) فقد يحتمل أن تكون (ما) الاولى نافية أي لم أخبرك الذي أريده ، وقد يحتمل أن تكون اسماً موصولاً أي : الذي أخبرتك به هو الذي أريده .
ولا يكون نحو هذا في (لم) .

من خصوصيات الاستعمال القرآني :

١ - لم يستعمل القرآن الكريم الاستفهام التقريري ب (ما) قط ، بل استعمل (لم) لذلك قال تعالى : ﴿ألم يأتكم رسل منكم - الانعام ١٣٠﴾ ، وقال : ﴿ألم نشرح لك صدرك - الانشراح ١﴾ ، وقال : ﴿ألم نربك فينا وليداً - الشعراء ١٨﴾ .

٢ - لم يرد جواب (لو) منفيّاً ب (لم) ، بل ب (ما) فقط . قال تعالى : ﴿ولو سمعوا ما استجابوا لكم - فاطر ١٤﴾ ، وقال : ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا - البقرة ٢٥٣﴾ وقال : ﴿ولو اطاعونا ما قتلوا - آل عمران ١٦٨﴾ .

٣- لم تقع (ما) النافية بعد الاسماء الموصولة أي في صدر الصلة وقد وقع غيرها من أدوات النفي مثل (لم) و (لا) و (ليس). قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ - البقرة ١٥١، وقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ - الْإِنْعَام ١٥٠﴾، وقال: (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار - هود ١٦).

إِنْ :

تدخل على الجمل الاسمية والفعلية مثل (ما).
فإن دخلت على الجمل الاسمية كانت لنفي الحال عند النحاة. (١٤)

والحق أنها تكون لغير الحال أيضاً فهي للحال عند الإطلاق ومن ورودها لغير الحال قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ - الْأَسْرَاء ٥٨﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا - مَرْيَم ٧١﴾ وقوله: ﴿إِنْ كُلٌّ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا - مَرْيَم ٩٣﴾ فهي ههنا للاستقبال.

وقد تكون للحقيقة غير مقيدة بزمان وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَمْنَاهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَاهُمْ - الْمَجَادَلَةُ ٢﴾ : وقوله: ﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ - الْمُلْك ٩﴾.

وقد تكون للمضي وذلك نحو قوله تعالى في عيسى عليه السلام ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ - الزَّخْرَف ٥٩﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ - فَاطِر ٢٤﴾ وقوله: ﴿إِنْ كُلُّ الْكَاذِبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابٌ - ص ١٤﴾.

وقد تكون للاستمرار وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْتَحْجِبُهُ وَلَكِنْ لَا تَنْفَقُهُمْ تَسْيِيحُهُمْ - الْأَسْرَاء ٤٤﴾.

فهي لنفي الحال عند الإطلاق وإن قيدت كانت بحسب ذلك القيد.
وتدخل على الفعل المضارع والماضي، فإن دخلت على الفعل المضارع كانت في الغالب لنفي الحال وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ - الْإِنْفَال ١٤٨﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ - الْأَنْبِيَاء ١٠٩﴾

وقد تكون لغير الحال وذلك نحو قوله تعالى : ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا— فاطر ٤٠﴾. فهي هنا للاستمرار.

وتدخل على الفعل الماضي فتكون لنفي الماضي القريب من الحال في الغالب وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا﴾ النساء ٦٢، وقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَاكُمْ فِيهِ - الْإِحْقَافَ ٢٦﴾.

وقد تكون لغير ذلك قليلاً نحو قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ - يَس ٥٣ ﴾ وقوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسِكْهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ - فَاطُر ٤١ ﴾ ، فالفعل للاستقبال في الآيتين .

وهي آكد من (ما) يدل على ذلك اقترانها الكثير بـ (الآ) وهذا يعطيها قوة وتأكيذاً فإن في القصر قوة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ - إبراهيم ١٠ وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْسِفُ﴾ - الإسراء ٤٤.

وذهب بعضهم انها لا تأتي الآ وبعدها (الآ) أو (لَمَّا) المشددة التي بمعناها كقولہ تعالى : ﴿إِنْ كَلَّ نَفْسٌ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ - الطارق ٤﴾ (١٥) . والصواب انها قد تأتي بدونها (١٦) .

قال الراغب في (إن) هذه : "وأكثر مايجي يتعقبه (الا) نحو: ﴿إن نظن الآ
ظننا﴾ (١٧) ﴿إن هذا الآ قول البشر﴾ (١٨) ﴿إن نقول الآ اعتراك بعض آهتنا بسوء﴾ ﴿هود
٥٤﴾ (١٩)

وقد وردت (ان) النافية في القرآن الكريم في عشرة ومائة موضع كلها مقترنة بـ (الّا) أو (لَمّا) عدا سبع آيات هي قوله تعالى: ﴿ان عندكم من سلطان بهذا - يونس ٦٨﴾.

(١٥) المغني ٢٣/١.

(١٦) المغني ١/٢٣.

(١٧) الجائية ٣٢.

(١٨) المدثر ٢٥.

(١٩) مفردات الراغب ٢٧.

وقوله : ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تَوَعَّدُونَ - الانبياء ١٠٩﴾ .
وقوله : ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ - الانبياء ١١١﴾ .
وقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ - فاطر ٤١﴾ .
وقوله : ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ - الاحقاف ٢٦﴾ .
وقوله : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلْتِّزُولِ مِنْهُ الْجِبَالُ - ابراهيم ٤٦﴾ على رأي من جعلها نافية هنا .

وقوله : ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ مَا تَوَعَّدُونَ - الجن ٢٥﴾ .
ووردت في ثلاثة مواضع مع (لَمَّا) المشددة التي بمعنى (الآ) وهي قوله تعالى :
﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ - يس ٣٢﴾ .
وقوله : ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - الزخرف ٣٥﴾ .
وقوله : ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ - الطارق ٤﴾ .
وليست (ما) ولا غيرها من حروف النفي كذلك فدل هذا على قوتها في النفي .
ومما يدل على ذلك أيضاً الاستعمال القرآني فإنه يستعمل (ان) فيما فيه زيادة تأكيد في النفي .

قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - الانعام ٢٥﴾ .

وقال : ﴿وَالَّذِي قَالَ لُؤْلُوهُ أَوْفَ لَكُمَا اتَّعَدَانِي أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - الاحقاف ١٧﴾ فقال في الآية الاولى ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقال في الثانية : ﴿مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ والاولى أكد يدل على ذلك السياق فقد قال فيها :
١ - وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه .

٢ - وفي آذانهم وقراً .

٣ - وذكر أنهم إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها .

فأنت ترى أن درجة التكذيب أشد مما في الآية الأخرى لأن الصفات التي تستدعي قوة التكذيب والانكار كانت في المكذبين الاولين أشد وأكثر ولذلك أكد النبي فيها بأن بخلاف الثانية.

وقال تعالى : ﴿وقالوا ماهي الآ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون - الجاثية ٢٤﴾.

وقال : ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وترفناهم في الحياة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون. ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون. أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون. هيهات هيهات لما توعدون. إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين إن هو الا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين - المؤمنون ٣٣ - ٣٨﴾.

فقال في الآية الاولى : ﴿ماهي الآ حياتنا الدنيا﴾

وقال في الثانية : ﴿إن هي الا حياتنا الدنيا﴾

وواضح أن التكذيب في الآية الثانية أشد وأقوى من وجوه :

١ - فقد اسند التكذيب والانكار في الآية الاولى الى ضمير الكفرة (وقالوا) واما في الثانية فقد أسنده الى الكفرة صراحة مضافاً عليهم صفات تزيد في تكذبيهم وانكارهم ﴿الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وترفناهم في الحياة الدنيا﴾ فهذه صفات تزيد في قوة التكذيب بخلاف الآية الاولى التي قال فيها (وقالوا).

٢ - المجادلة في صدق الرسل : فقد ذكر هؤلاء الكفرة أن الرسل إنما هم بشر مثلهم يأكلون كما يأكل الناس ويشربون كما يشربون فلا ينبغي أن يطاعوا البتة .

٣ - السخرية من الوعد بالآخرة ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾.

٤ - الاستبعاد المؤكد في قولهم (هيهات هيهات لما توعدون)

٥ - ثم ختموا تكذبيهم وانكارهم بقولهم ﴿إن هذا الا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾.

فكان طبيعياً أن يكون انكارهم أشد وأكد مما في الآية الاولى ولذا جاء بأن والا وهو المناسب للسياق بخلاف الآية الاخرى فانه جاء بـ (ما) و (الآ) لانه أقل تأكيداً فدل ذلك على أن (إن) أكد من (ما).

وقال تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين - الاحقاف ٩ ﴾ .

وقال : ﴿ وقالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون . قال : وما علمي بما كانوا يعملون . إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين . إن أنا إلا نذير مبين . قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين . قال رب إن قومي كذبون - الشعراء ١١١-١٢١ ﴾ .

فقال في الآية الاولى ﴿ وما أنا إلا نذير مبين ﴾ .

وقال في الثانية ﴿ إن أنا إلا نذير مبين ﴾ .

ومن الواضح ان الآية الثانية في مقام المحاربة والمجادلة والجهاد في القول والتنقيص من المؤمنين بخلاف الآية الاولى فانها في مقام الدعوة الهادئة المينة بالحجة ، يدل على ذلك في الآية الثانية .

١ - وصفهم المؤمنين بالارذلين .

٢ - طلبوا طردهم فرد عليهم بقوله ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ .

٣ - تحذيرهم نوحاً والطلب اليه الكف عن الدعوة والآ رجموه ﴿ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴾ .

وانت ترى أن المقام في الآية الاولى يختلف عنه في الثانية ، فجاء في الثانية بـ (إن) و (الآ) وجاء في الاولى بـ (ما) و (الآ) فدل ذلك على أن (إن) أكد من (ما) .

ومما يدل على ذلك ايضا قوله تعالى : ﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم - الاحقاف ٩ ﴾ .

وقوله : ﴿ وإن أدري أقرب أم بعيد ماتوعدون - الانبياء ١٠٩ ﴾ وقوله : ﴿ قل إن أدري أقرب ماتوعدون أم يجعل له ربي أمدا - الجن ٢٥ ، ٢٦ ﴾ .

فجاء بنفي الدراية الاولى بـ (ما) ونفي الدراية الثانية وما بعدها بـ (ان) وذلك لان الآية الثانية والثالثة أبعد في عدم الدراية وأقعد من الاولى فقد أطلع الله رسوله فيما بعد على ماسيفعله به وبهم في الدنيا والآخرة فقد وعده بالفتح والنصر والمغفرة وكسر شوكة الكفر في الدنيا وأطلعه على ماسيفعل به وبهم في الآخرة ولذلك قيل الآية منسوخة^(٢٠).

في حين لم يُطلع الله سبحانه رسوله ولا احداً من خلقه على موعد يوم القيامة فان هذا مما اختص الله به نفسه ولم يُظهره لاحد غيره فأكد عدم العلم بالساعة بـ (إن) والآخر بـ (ما). وهذا واضح. واطن أن في هذا كفاية. فدل ذلك على أن (إن) آكد في النفي من (ما) والله اعلم.

لا :

أقدم حروف النفي في العربية^(٢١) ، تدخل على الاسماء والافعال .

فما يدخل على الاسماء (لا) النافية للجنس نحو: (لا ريب فيه) و (لا رجل في الدار) وهي تفيد التنصيص على نفي الجنس ، وهي آكد من العاملة عمل ليس أو المهيمة كما سبق ذكره .

ومنها (لا) المشبهة بـ (ليس) ، وغير العاملة أصلاً نحو (لا رجل حاضراً) و (لا رجل حاضراً) وهما لنفي الجنس برجحان وقد يراد بهما نفي الواحد .

وتدخل على المعارف فيجب اهمالها وتكرارها وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار - يس ٤٠ ﴾ ، ونحو (لا محمد حاضراً ولا خالد مسافراً) وذلك لانها عند ذاك لا يراد بها الا اشراك اكثر من طرف في النفي كأن يقول لك قائل (خالد كاتب و ابراهيم شاعر) فتقول (لا خالد كاتب ولا ابراهيم شاعر) .

(٢٠) انظر الكشف ٣ / ١١٨ .

(٢١) التطور النحوي ١١٥ .

وهذا من باب دخولها على الجمل .
وقد تدخل على الاسماء المفردة لا الجمل وهي (لا) العاطفة نحو:
(جاء محمد لا خالد) .
والداخلة على الخبر نحو: (هو لا شاعر ولا كاتب) .

والنعت نحو قوله تعالى: ﴿وَيُظِلُّ مِنْ تَحْتِهِ لَا يَجِدُ فِيهَا مِنْهُ مُنْقَاطًا وَلَا مَبْثُثًا﴾ (الواقعة ٤٣ ، ٤٤) .
وقوله ﴿وَفَاكِهَةً كَثِيرَةً لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة ٣٢ ، ٣٣) .
والحال نحو (جئت لاسرعاً ولا مبطناً) (٢٢) .

ولا يقع غير (لا) من حروف النفي في هذه المواضع الاخيرة اعني كونها عاطفة أو داخلة على الخبر أو النعت أو الحال ، فلا يقال: (محمد ماحاضر) ولا (جاء محمد ماخالد) ولا غير ذلك من الصور التي ذكرناها .

واذا دخلت على الخبر أو النعت أو الحال وجب تكرارها لانه يراد عند ذلك إشراك أكثر من حالة في النفي فيراد نفي أكثر من خبر أو نعت أو حال ، ولا يصح نفي خبر واحد بها أو نعت واحد أو حال واحدة . وإذا اريد ذلك نفي ب (غير) فقط فتقول (هو غير مُجيد) وتقول (هو رجل غير كريم) وتقول: (رأيت محمداً غير راکب) .
وقد تقول: ولماذا (غير) فقط؟ ألا ينفي الخبر ب (ليس) ايضاً فيقال: (هو ليس كريماً أو مجيداً)؟

والجواب أن (ليس) لم تنف الخبر وحده وانما نفت الجملة المؤلفة من الضمير المستتر الذي هو اسمها والخبر المنصوب الذي هو خبرها . ومن المعلوم أن (ليس) لا تنفي المفردات وانما تنفي الجمل .

وتدخل (لا) على الفعل المضارع فلا تقيده بزمن على الأرجح وان كان النحاة يرون انها تخلصه للاستقبال .

(٢٢) انظر المغني ١/ ٢٣٧ - ٢٤٢ .

قال سيويه : " واذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعا فنفيه (لا يفعل) واذا قال (ليفعلن) فنفيه (لا يفعل) كأنه قال : (والله ليفعلن) فقلت : (والله لا يفعل) (٢٣) . "

والحق انها قد تكون للحال كقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ - الصافات ٩٢ ﴾ و ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَى - النمل ٢٠ ﴾ .

وقد تكون للاستقبال نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - البقرة ١٧٤ ﴾ .

وقد تكون للاستمرار وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ - البقرة ٢٧٣ ﴾ وقوله : ﴿ لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ - النساء ١٤٨ ﴾ .

وتقع جوابا للقسم كما ذكر سيويه في النص الذي نقلناه عنه آنفا . قال تعالى : ﴿ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتَمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى - المائدة ١٠٦ ﴾ ، وقال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمَوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ - النساء ٦٥ ﴾ .

وتدخل على الفعل الماضي فيجب تكرارها نحو قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى - القيامة ٣١ ﴾ ونحو قولك : (لاجلب خيرا ولا دفع ضرا) الا اذا كان دعاء نحو (لافض الله فاك) أو الماضي الذي يراد به الاستقبال كقولك : (والله لافعلت ذاك ابدا) .

والخلاصة انه يجب تكرار (لا) في المواضع الآتية :

١ - اذا تقدم الخبر على المبتدأ نحو ﴿ لَا فَيَهَا غُولٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يَتَزَفُونَ - الصافات ٤٧ ﴾ .

٢ - اذا دخلت على جملة اسمية صدرها مرفوعة كقوله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ - يس ٤٠ ﴾ .

وقد استثنى من ذلك قولهم (لانيؤلك أن تفعل كذا) أي لا ينبغي أن تفعل كذا .

٣- اذا دخلت على المفرد خبراً أو حالاً أو نعتاً نحو (هو لا طويل ولا قصير) ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة - الواقعة ٣٣﴾ و (جئت لا مسرعاً ولا مبطناً).

٤- اذا دخلت على ماضي اللفظ والمعنى نحو (لاقرأ ولا كتب) ^(٢٤) ومن اقسام (لا) النافية (لا) المعارضة بين الجار والمجرور نحو: (جئت بلا زاد) و (غضبت من لاشيء) والجمهور يسمونها زائدة ، وهي ليست زائدة في المعنى عندهم بل في الاعراب لانها وقعت بين العامل والمعمول ولذا يصح اسقاطها لانها تفيد النفي وهي عند الكوفيين اسم بمعنى (غير) ^(٢٥).

والحق انها لا تطابق (غيراً) فان استعمال (غير) يمكن أن يعطينا أكثر من معنى بخلاف استعمال (لا) فأنت تقول مثلاً (جئت بلا سلاح) أي لا سلاح معك عند مجيئك . وتقول: (جئت بغير سلاح) وهذا يحتمل معنيين:

المعنى الاول هو نفي وجود السلاح معك كالأولى وهو نظير قوله تعالى ﴿لبضل الناس بغير علم - الانعام ١٤٤﴾.

والمعنى الآخر أنك جئت بسلاح آخر غير ذلك السلاح.

فالتعبير بـ (لا) لا يحتمل إلا معنى واحداً ، وأما التعبير بـ (غير) فقد يحتمل أكثر من معنى.

ثم ان (لا) في نحو هذا لا تدخل إلا على النكرات فلا تقول (جئت بلا السلاح) أي (بغير السلاح). وأما (غير) فتدخل على المعارف والنكرات وذلك كقوله تعالى: ﴿فاستكبروا في الأرض بغير الحق - فصلت ١٥﴾.

وستعرض للخلاف بين (لا) و (غير) في بحث (غير) ان شاء الله تعالى.

ومن اقسام (لا) : المقترنة بحرف العطف نحو (ما قبل محمد ولا خالد) ويسمى النحاة زائدة لانها اذا اسقطت بقي معنى النفي فاذا قلت (ما قبل محمد وخالد) نفيت اقبالهما جميعاً غير أن المعنى يختلف في ذكرها عنه في اسقاطها فاذا اسقطتها احتمل

(٢٤) انظر المعنى ١/ ٢٤٢ - ٢٤٤ ، شرح الرضي على الكافية ١/ ٢٨٢.

(٢٥) انظر التصريح ١/ ٢٣٧ ، المعنى ١/ ٢٤٥.

المعنى نفي اقبالها على كل حال مجتمعين أو متفرقين ، واحتمل المعنى ايضا انها لم يقبلها مجتمعين بل اقبل كل منها على انفراد فإذا جئت بـ (لا) صار الكلام نصا على المعنى الاول .

جاء في المغني : "وكذلك (لا) المفترنة بالعاطف في نحو (ما جاءني زيد ولا عمرو) ويسمونها زائدة وليست بزائدة البتة . الا ترى انه اذا قيل (ما جاءني زيد وعمرو) احتمل أن المراد نفي مجيء كل منها على كل حال وأن يراد نفي اجتماعهما في وقت المجيء فإذا جئ بـ (لا) صار الكلام نصا في المعنى الاول .

نعم هي في قوله سبحانه ﴿وما يستوي الاحياء ولا الاموات﴾^(٢٦) لمجرد التوكيد وكذا اذا قيل : لا يستوي زيد ولا عمرو^(٢٧) .

وجاء في (بدائع الفوائد) في قوله تعالى : ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ان المراد من زيادة (لا) "المغايرة الواقعة بين النوعين وبين كل نوع بمفرده فلو لم يذكر (لا) وقيل (غير المغضوب عليهم والضالين) أوهم ان المراد ماغير المجموع المركب من النوعين لا ماغير كل نوع بمفرده فإذا قيل (ولا الضالين) كان صريحا في أن المراد صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء ، ويبان ذلك انك اذا قلت (ما قام زيد وعمرو) فانما نفيت القيام عنها ولا يلزم من ذلك نفيه عن كل واحد منها بمفرده^(٢٨) .

ومن اقسامها ان تقع جوابا مناقضا لنعم ويكثر حذف الجمل بعدها نحو (أحضر محمد؟) فتقول : (لا) ، والاصل : لا لم يحضر^(٢٩) .

مما تقدم يتبين لنا ان (لا) تنفي الجمل الاسمية والفعلية المصدرة بفعل ماض أو مضارع ، وتقع جواباً مناقضاً لنعم ، وتنفي المفرد من خبر أو حال أو صفة . وتدخل بين الجار والمجرور وبين المتعاطفين كائنة حرف عطف أو غير عاطفة نحو (اقبل محمد لاخالداً) و (ما اقبل محمد ولا خالداً) ولا يقع غيرها من حروف النفي في المواقع

(٢٦) فاطر ٢٣ .

(٢٧) المغني ١/ ٢٤٥ وانظر الاشباه والنظائر ١/ ٢١٢-٢١٣ .

(٢٨) بدائع الفوائد ٢/ ٣٤-٣٥ .

(٢٩) انظر المغني ١/ ٢٤٢ .

الاحيرة ، اعني نفي المفرد من خبر أو حال أو صفة أو الدخول بين الجار والمجرور
والتوسط بين المتعاطفين .

ألا تفعل وألست تفعل :

إن ثمة فرقاً بين قولنا (ألا تفعل) و (ألست تفعل) أي في دخول (لا) النافية
على المضارع ودخول (ليس) عليه بعد همزة الاستفهام وذلك ان قولك : (ألا تفعل)
عرض للقيام بالفعل نحو (ألا تذهب معي) ونحو قوله تعالى : ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا
أيمانهم — التوبة ١٣﴾ وقد تكون للاستفهام المجرد من العرض نحو (ألا تنوي اخباره
بما حدث؟) .

واما (ألست تفعل) فعناه تحقق القيام بالفعل وذلك نحو قولك : (ألست تذهب
اليه؟) أي انك تذهب اليه . الا ترى انك تقول : (ألا أخبر أباه بما حصل؟)
مستفهماً ولا يحسن ان تقول : (ألست أخبر أباه بما حصل؟) على هذا المعنى .

جاء في (تفسير الرازي) في قوله تعالى : ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾
”حكى الواحدي عن اهل المعاني انهم قالوا : اذا قلت : (الا تفعل كذا) فانما
يستعمل ذلك في فعل مقدر وجوده ، واذا قلت : (ألست تفعل) فانما تقول ذلك في
فعل تحقق وجوده . والفرق بينها ان (لا) ينفي بها المستقبل فإذا دخلت عليها الالف
صار تحضيضاً على فعل ما يستقبل ، و (ليس) انما تستعمل لنفي الحال فإذا دخلت
عليها الالف صار لتحقيق الحال “ (٣٠) .

وقد ذكرنا سابقاً أن (ليس) تكون لنفي الحال عند الإطلاق واما (لا) فليست
مقيدة بزمن على الأرجح .

لات :

تستعمل لنفي الحين خصوصاً كقوله تعالى : ﴿ولات حين مناص — ص ٣﴾
وكقول الشاعر :

(٣٠) التفسير الكبير ١٥ / ٢٣٥ .

ندم البغاة ولات ساعة مندم
وقد مرَّ الكلام عليها بما فيه الكفاية .

غير :

اسم يفيد المغايرة يقع استثناء بمعنى (الآ) ويقع نفياً وقد يكون اسماً لمعنى المغايرة بلا دلالة على نفي أو استثناء .
فن دلالة على الاستثناء قولك (اقبل الرجال غير رجل واحد) .

ونحو قوله تعالى : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله — النساء ٩٥ ﴾ في قراءة النصب ، وقد مرَّ هذا في باب الاستثناء .

ومن دلالة على المغايرة فحسب من غير دلالة على استثناء أو نفي قوله تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً — النساء ٨٢ ﴾ ، وقوله : ﴿ إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله — البقرة ١٧٣ ﴾ .
وقد يكون اسماً يفيد النفي ينفي المضاف اليه ويقع في المواطن الاعرابية المختلفة ، فيقع مبتدأ كقوله :

غيرُ مجدي في ملتي واعتقادي نوحُ بالك ولا ترنم شادي

وقوله :

غيرُ مأسوف على زمن ينقضي بالهم والحزن

وصفة كقوله تعالى : ﴿ ذلك وعد غير مكذوب — هود ٦٥ ﴾ .
وخبراً كقوله تعالى : ﴿ وهو في الخصام غير مبين — الزخرف ١٨ ﴾ .
وحالاً كقوله تعالى : ﴿ أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة — النور ٦٠ ﴾ وقوله ﴿ فمن اضطرَّ غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم — الانعام ١٤٥ ﴾ .
وفاعلاً نحو : (رماك غير رام رهجاك غير شاعر) .

ومفعولاً به نحو: (خاصمت غير كفاء) و(هجرت غير مستحق) و(رमित غير عدوك).

ومجوراً بالحرف كقوله تعالى: ﴿الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق— الاعراف ١٤٦﴾.
وظرفاً كقوله تعالى: ﴿فكث غير بعيد— النمل ٢﴾.
وغير ذلك.

ان (غيراً) كما ترى مختصة بنفي الاسم وهي وظيفة تنفرد بها (غير) عن سائر ادوات النفي.

وقد تقول إن (لا) قد تشاركها في بعض المواضع و(ما) ايضاً، فما الفرق بينها وبينها؟

والجواب ان غيراً أوسع استعمالاً في نفي الاسماء من (لا) أو (ما) أو غيرهما.
وذلك ان (ما) تنفي الافعال وتنفي الجمل الاسمية ولكنها لا تنفي الاسم المفرد الآبقيد وذلك ان لها صدر الكلام فلا يصح أن تقول مثلاً (محمد ما حاضر) ولا (اقبل محمد ما مسرعاً) ولا (أكرمت ما محمداً) بل تقدم (ما) مع منفيها الى صدر الكلام فتقول (ما حاضر محمد) و(ما مسرعاً اقبل محمد) و(ما محمداً أكرمت) والمعنى في التقديم يختلف عنه في التأخير. واما (غير) فيصح تقديمها وتأخيرها فتقول (محمد غير قائم) و(غير قائم محمد) و(أكرمت غير محمد) و(غير محمد أكرمت).

ولا يمكن نفي الصفة مثلاً بـ (ما) لان الصفة لا تتقدم في اول الكلام كما هو معلوم.

وكذلك (لا) فانها تنفي الافعال وتنفي الجمل الاسمية. وقد تنفي الاسم المفرد ولكن لا تنفيه الآبقيد ايضاً فهي لا تنفي الخبر المفرد ولا الصفة ولا الحال الآ بشرط تكرارها كما مر، وذلك لانه يراد بها اشراك اكثر من جهة في النفي بخلاف (غير) فانه لا يشترط أن تتكرر كما هو واضح من الامثلة. فوظيفة (لا) تختلف عن وظيفة ادوات النفي الاخرى.

هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى أن (غيراً) اسم يفيد المغايرة فقولك (غير محمد) يعني شخصاً آخر مغايراً لمحمد ، وأما (ما محمد) فيعني النفي عن محمد ولا يعني شخصاً آخر. فإذا قلت مثلاً (ما محمد حضر) فأنك نفيت الحضور عن محمد خصوصاً ، ولكن إذا قلت : (غير محمد حضر) فأنك أثبت الحضور لشخص آخر غير محمد. وكذلك إذا قلت (ما محمداً أكرمت) فإنه يفيد نفي الاكرام عن محمد خصوصاً ، وهذا الخصوص عن محمد يدل التعبير استنتاجاً على أنك أكرمت غير محمد. وأما قولك (غير محمد أكرمت) فإنه يفيد إثبات الاكرام لشخص غير محمد ولفظ المغايرة دل التعبير على نفي الاكرام لمحمد. فهما طريقتان مختلفتان في النفي والاثبات. فالأولى اعني النفي بالحرف هو نص على النفي وقد يستفاد الاثبات لغير المنفي استنتاجاً.

وأما النفي بـ (غير) فهو يفيد الاثبات لغير المذكور، ويفيد النفي عن المذكور بلفظ المغايرة فقولك (ما محمداً أكرمت) يفيد نفي الاكرام عن محمد خصوصاً واثبات الاكرام لغيره استنتاجاً. وقولك (غير محمد أكرمت) يفيد اثبات الاكرام لغير محمد وينفيه عن محمد بلفظ المغايرة ، والمعنى في التعبيرين نفي الاكرام عن محمد ولكن بطريقتين مختلفتين.

ان الاصل كما يبدو من لفظ (غير) انها كانت تستعمل للمغايرة اطلاقاً وبتطور الدلالة اقتربت المغايرة من معنى الاستثناء حتى اصبحت استثناء كما مر في باب الاستثناء. واقتربت من معنى النفي عن طريق الاثبات لما غاير المذكور حتى صارت نفياً عن المذكور. وربما انمحي معنى المغايرة من الذهن في الاستثناء والنفي فلا يفهم إلا بالتأول والتأمل فقولك (ما حضر غير علي) مثلاً يفهم منه (ما حضر إلا علي) ولا يفهم منه أن الشخص الذي هو غير علي لم يحضر. وكذلك قوله تعالى : ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - الذاريات ٣٦﴾. فان معنى المغايرة انمحي أو كاد من هذا التعبير ولم يفهم إلا بالتأول واعمال الفكر لعقد الصلة بين الاستثناء والمغايرة.

وكذلك النفي في نحو قوله تعالى : ﴿ويقتلون النبيين بغير حق - آل عمران ٢١﴾ ، قوله : ﴿انما يؤقى الصابرون اجرهم بغير حساب - الزمر ١٠﴾ فإنه لا يفهم منه اثبات غير الحق واثبات غير الحساب إلا تأولاً وتأملًا ، وانما يفهم نفي الحق ونفي الحساب بداهة وابتداء.

قَلَّ وَقَلَّما وَقَلَّ :

هذه الفاظ تفيد القلة . والاصل أن تفيد وقوع الشيء قليلا ، وقد تستعمل للنفي أي عدم وقوع الشيء . تقول (قلَّما رددت عليه) اذا عنيت أنك رددت عليه قليلا وقد يراد بها عدم الرد أي مارددت عليه .

وتقول (أقَلُّ رجل يفعل ذاك) على معنى (ما رجل يفعل ذاك) .

جاء في (الكتاب) : " ونقول (أقَلُّ رجل يقول ذاك الآ زيد) لأنه صار في معنى : ما أحد فيها الآ زيد " (٣١) . وقال : (قلَّما) نفي لقوله (كثر ما) (٣٢) .

وجاء في (الاصول) لابن السراج : " اعلم أن (قَلَّ) فعل ماض و (أقَلَّ) اسم الآ ان (اقل رجل) قد اجره مجرى (قل رجل) فلا تدخل عليه العوامل وقد وضعت العرب موضع (ما) لأنه اقرب شيء الى المنفي القليل ...

وتقول (قلَّما سرت حتى ادخلها) من قبل ان (قلَّما) نفي لقوله (كثر ما) كما ان (ماسرت) نفي لقوله (سرت) ...

وتقول (قلَّما سرت) اذا عنيت سيرا واحداً أو عنيت غير سير كأنك تنفي الكثير من السير الواحد كما تنفيه من غير سير " (٣٣)

وجاء في (معاني القرآن) للفراء في قوله تعالى ﴿ فقليلًا مأيؤمنون - البقرة ٨٨ ﴾ : " فيه وجهان من العربية :

احدهما الآ يكونوا آمنوا قليلا ولا كثيرا ، ومثله مما تقوله العرب بالقلة على ان ينفوا الفعل كله قولهم (قَلَّ ما رأيت مثل هذا قط) .

وحكي الكسائي عن العرب : مررت ببلاد قَلَّ ماتنبت الآ البصل والكراث أي ماتنبت الآ هذين ...

والوجه الآخر ان يكونوا يصدقون بالشيء قليلا ويكفرون بما سواه " (٣٤) .

(٣١) كتاب سيويه ٣٦١/١ .

(٣٢) كتاب سيويه ٤١٥/١ .

(٣٣) الاصول ١٧٤/٢ - ١٧٦ .

(٣٤) معاني القرآن ٥٩/١ .

نفي الفعل

مرربنا هذا في بحث الفعل وسنعرض له الآن بصورة موجزة .

- ١ - فَعَلْ : نفيه (لم يفعل) فاذا قلت (حضر محمد) فان نفيه : (لم يحضر) وذلك ان (فعل) غير مخصوص بزمان معين من ازمئة الماضي ونفيه كذلك .
- ٢ - قد فعل : نفيه (لما يفعل) فاذا قلت (قد حضر محمد) فان نفيه (لما يحضر محمد) وذلك ان (قد فعل) يفيد القرب من زمن التكلم ويفيد التوقع والتحقيق ونفيه كذلك . فان (لما يحضر) متصل النفي بزمن التكلم فلا يصح ان يقال (لما يحضر ثم حضر) بخلاف (لم يحضر) فانه يصح أن يقال (لم يحضر ثم حضر) ، ويفيد التوقع فان (قد حضر) معناه انه كان متوقع الحضور فحضر ، واما (لما يحضر) فان معناه : لم يحضر وهو متوقع حضوره . ويفيد التحقيق وذلك ان الفعل الماضي المسبوق بـ (قد) لا ينصرف الى المستقبل لأنه تحقق وقوعه وكذلك منفيه بخلاف المنفي بـ (لم) فانه قد ينصرف الى الاستقبال كقولك (ان لم تأتني لم أكرمك) .
- ٣ - لقد فعل : نفيه (ما فعل) . قال سيبويه لأنه كأنه قال : (والله لقد فعل) فقال : (والله ما فعل) (٣٥) .
- ٤ - يفعل : اذا كان للحال فان نفيه (ما يفعل) واذا كان للاستقبال فان نفيه (لا يفعل) . قال سيبويه : "واذا قال (هو يفعل) أي هو في حال فعل فان نفيه (ما يفعل) ، واذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعا فنفيه (لا يفعل) " (٣٦) .
- ٥ - ليفعلن : نفيه (لا يفعل) فاذا قلت (ليحضرن خالد) فنفيه : (لا يحضر خالد) . قال سيبويه "واذا قال (ليفعلن) فنفيه (لا يفعل) كأنه قال : (والله ليفعلن) فقلت : (والله لا يفعل) " (٣٧) .

(٣٥) كتاب سيبويه ٤٦٠/١ .

(٣٦) كتاب سيبويه ٤٦٠/١ .

(٣٧) كتاب سيبويه ٤٦٠/١ .

- ٦ - سوف يفعل أو سيفعل : نفيه (لن يفعل) ^(٣٨) وذلك أن السين و (سوف) للاستقبال ومنفيها كذلك ، ثم ان السين و (سوف) يفيدان تأكيد حصول الفعل في المستقبل ^(٣٩) ، ومنفيها كذلك فإن (لن) تفيد تأكيد النفي في المستقبل ^(٤٠) . ولا يجمع بينها . فلا يقال (سوف لن أفعل) لان (سوف) لتأكيد الإثبات في المستقبل و (لن) لتأكيد النفي في المستقبل .
- ٧ - كان سيفعل : نفيه (لم يكن ليفعل) فإذا قلت (كان سيحضر) أو (كان سوف يحضر) فإن نفيه (لم يكن ليحضر) ^(٤١) .
- وذكر سيبويه أن نفيه (ما كان ليفعل) ^(٤٢) . والصواب الاول وذلك ان (ما كان) نفي لقولنا (لقد كان) كما ذكر سيبويه نفسه .

دلالات النفي

١ - نفي العمدة :

قد تنفي العمدة وهي المسند أو المسند إليه . فننفي المسند قولك (ما حضر خالد بل سافر) وقولك (ما مسافر أخوك) فقد نفيت الحضور في الاولى والسفر في الثانية وهما مسندان وكقولك (هو لا كاتب ولا شاعر) .

وقد ينفي المسند إليه نحو قوله تعالى : ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ البقرة ٣٨ ﴿ فنفي الخوف ، وقوله : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ البقرة ٢٤٩ ﴿ فنفي الطاقة .

وقد ينفي المسند إليه عن طريق إثباته وذلك كأن تقول (شاعركم لا يحسن القول) فظاهر هذا أن لهم شاعراً لا يحسن القول وقد يراد بذلك أن ليس لهم شاعر

(٣٨) كتاب سيبويه ١ / ٤٦٠ ، ١ / ٦٨ .
 (٣٩) أنظر الكشف ١ / ٢٤١ قوله " (مسيكفيكم الله) ، ١ / ٤٣٤ (أولئك سوف نؤتيهم أجورهم) .
 (٤٠) الفصل ٢ / ٢٠٠ ، شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٦٠ .
 (٤١) كليات أبي البقاء ٧٨ .
 (٤٢) كتاب سيبويه ١ / ٤٠٨ وانظر شرح ابن يعيش ٧ / ٢٩ ، الاشباه والنظائر ٢ / ٢٥٢ .

أصلاً ، ونحو قولك : (شعرك أحسن من نثره) فظاهر هذا الكلام أن له شعراً أحسن من نثر الغائب ، وقد يقال هذا التعبير وليس للمخاطب شعراً أصلاً فيراد به أنه لو كان لك شعر لكان أحسن من نثره أو يقال على سبيل التهكم ، ومنه قوله تعالى : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين - المدثر ٤٨﴾ والمعنى أنهم لا شافعين لهم أصلاً فتفنعهم شفاعتهم ، وليس المعنى أن الشافعين يشفعون لهم ولكن لا تنفعهم شفاعتهم .
ومنه قول الشاعر :

على لا حب لا يهتدى بمناره

أي على طريق لامناربه فيهتدى به وليس المراد أن في الطريق مناراً لا يهتدى به (٤٣) .

ومنه "قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأُتُنَّيْ فلتاته) أي لاتذاع سقطاته ، فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات غير أنها لاتذاع . وليس المراد ذلك ، بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات فتنَّيْ" (٤٤) . فظاهر التعبير إثبات المسند إليه غير أن المقصود نفيه أصلاً .

٤ - نفي القيد :

قد ينفي القيد من مفعول أو متعلق أو حال أو صفة أو غير ذلك من القيود كقولك (ما أكرمت محمداً) و (ما رأيت خالداً يوم الجمعة) و (ما أقبل خالد راكباً) ونحو ذلك .

ونفي القيد له دلالات متعددة :

أ - فقد يدل نفي القيد على أن القيد لم يحصل أما ما عداه فلا يدرى أحصل أم لا ، وذلك نحو قولك (ما أكرمت محمداً) فإنك نفيت الاكرام عن محمد وسكتت عن غيره فقد تكون أكرمت غيره أو لا تكون .

(٤٣) أنظر الخصائص ٣ / ١٦٥ ، البرهان ٣ / ٣٩٤ ، المثل السائر ٢ / ٦٥ - ٦٧ .

(٤٤) المثل السائر ٢ / ٦٥ .

ومثله (ما رأيت محمداً يوم الجمعة) فإنك نفيت رؤيته يوم الجمعة وسكتت عن رؤيته في الايام الاخرى ، فقد تكون رأيت في غير يوم الجمعة ويحتمل أنك لم تره لا في يوم الجمعة ولا في غيره .

ونحوه (ما ذهبت الى خالد) فأنت نفيت الذهاب الى خالد وسكتت عن الذهاب الى غيره فقد تكون ذهبت الى غيره أو لا تكون .

ومثله الحال نحو (لم أسمع الطفل باكياً) فأنت نفيت سماعك الطفل باكياً ، أما سماعه غير باك فأنت سكتت عنه فقد تكون سمعته أو لا تكون .

وقد يدل نبي القيد على رجحان حدوث الاصل نحو قولك (ما شربنا اليوم ماء بارداً) فالراجح في نحو هذا أنك شربت ماء غير بارد ، وقد يراد به أنك لم تشرب شيئاً وذلك كأن يكون المتكلم صائماً وقد كان معتاداً على شرب الماء البارد فيقول (ما شربنا اليوم ماء بارداً) .

ونحوه قولك (ما جاء اليوم أخوك راكباً) ، فالراجح في نحو هذا أنه جاء غير راكب وإن كان من المحتمل أيضاً احتمالاً مرجوحاً بأنه لم يجئ راكباً ولا غير راكب وذلك كأن يكون من المعتاد أن يجئ أخوه راكباً فنفي هذه الهيئة بأكملها .

ب- الدلالة على نبي القيد وحده مع القطع بحدوث الاصل وذلك إذا علم حدوث الاصل نحو قوله تعالى : ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين- الانبياء ١٦﴾ فهذا إثبات لخلق السماء والارض ونبي للعب ، ونحو قولك : (مامشي عمر على الارض مختلاً) فانه أثبت المشي ونفي الاختيال . ومنه في غير النبي قوله تعالى : ﴿ولا تمش في الارض مرحاً- لقمان ١٨﴾ فإنه نهى عن الاختيال ولم ينه عن المشي أصلاً .

وقد يفيد نبي القيد الدلالة على حدوث الاصل وذلك بتقديم القيد على عامله نحو (ما محمداً أكرمت) فإن هذا التعبير يفيد نبي الاكرام لمحمد خاصة وإثباته لغيره بخلاف ما لو قلت (ما أكرمت محمداً) فإنه يفيد نبي الاكرام عن محمد أما بالنسبة الى غير محمد فهو مسكوت عنه ، ونحو قولك (ما الى خالد ذهبت) فإنه يفيد نبي الذهاب الى خالد خاصة وإثبات الذهاب الى غيره بخلاف قولك : (ما ذهبت الى

خالد) فإنه يفيد نفي الذهاب الى خالد أما الذهاب الى غيره فهو مسكوت عنه (٤٥) كما ذكرنا آنفاً.

ج - وقد يذكر القيد والمراد نفي الاصل وذلك نحو قوله تعالى ﴿لا يسألون الناس الحافا - البقرة ٢٧٣﴾ والمراد نفي السؤال أصلاً بالحاف أو بغيره ومنه قوله تعالى : ﴿لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً - آل عمران ١٩٩﴾ والمقصود نفي الشراء بآيات الله أصلاً لاثمناً قليلاً ولا كثيراً لان كل ثمن هو قليل بالنسبة الى آيات الله .

جاء في (البرهان) : "ومنه نفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي وتأكيد كقولهم (فلان لا يرجي خيره) ليس المراد أن فيه خيراً لا يرجي وإنما غرضهم أنه لا خير فيه على وجه من الوجوه .

ومنه ﴿يقتلون النبيين بغير حق﴾ (٤٦) فإنه يدل على أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ، ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق ... وقوله تعالى : ﴿لا يسألون الناس الحافا﴾ فإن ظاهرة نفي الحاف في المسألة والحقيقة نفي المسألة البتة ...

ومثله قوله تعالى ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ (٤٧) ليس المراد نفي الشفيع بقيد الطاعة بل نفيه مطلقاً (٤٨) .
ومنه قوله :

لاتفزع الارنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر
أي لا أرنب بها فتفزعها أهوالها (٤٩) ، وليس المقصود أن بها أرنباً لاتفزعها الاهوال ، وكذلك قوله (ولا ترى الضب بها ينجحر) "فإن ظاهر المعنى من هذا البيت أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجحر وليس كذلك ، بل المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلاً" (٥٠) .

(٤٥) أنظر دلائل الاعجاز ٩٨ .

(٤٨) البرهان ٣ / ٣٩٦ - ٣٩٧ ، الكليات ٣٥٥ .

(٤٩) الخصائص ٣ / ١٦٥ .

(٥٠) المثل السائر ٢ / ٦٦ .

(٤٦) آل عمران ٢١ .

(٤٧) غافر ١٨ .

وجاء في (دلائل الاعجاز) : "أنه من حكم النبي إذا دخل على كلام ثم كان في الكلام تقييد على وجه من الوجوه أن يتوجه الى ذلك التقييد وأن يقع له خصوصاً .

تفسير ذلك أنك إذا قلت (أتاني القوم مجتمعين) فقال قائل : (لم يأتك القوم مجتمعين) كان نفيه ذلك متوجهاً الى الاجتماع الذي هو تقييد في الاتيان دون الاتيان نفسه . حتى أنه ان أراد أن ينفي الاتيان من أصله كان من سبيله أن يقول انهم لم يأتوك أصلاً ، فما معنى قولك مجتمعين ؟ هذا مما لا يشك فيه عاقل ...

فإذا قلت : (جاءني زيد راكباً) و (ما جاءني زيد راكباً) كنت قد وضعت كلامك لان تثبت مجيئه راكباً أو تنفي ذلك لا لان تثبت المجي وتنفية مطلقاً . هذا ما لا سبيل الى الشك فيه" (٥١) .

والصواب ما ذكرنا ، فإن نفي القيد قد يفيد حصول الاصل وقد يفيد نفي الاصل أيضاً كما أوضحنا .

د- وإذا تعددت القيود احتمل أن يكون المراد نفي القيد الاخير واحتمل أن يراد نفي القيود كلها واحتمل أيضاً أن يكون المراد نفي الاصل أيضاً ، فإذا قلت مثلاً (ما رأيت رجلاً غريباً طويلاً) احتمل أن تكون رأيت رجلاً غريباً فقط وليس طويلاً . وقد تكون رأيت رجلاً لا غريباً ولا طويلاً .

وإذا قلت (ما جعلت مالي نصفين وأعطيت محمداً نصفاً وخالداً نصفاً) احتمل أنك جعلت مالك نصفين وأعطيت محمداً نصفاً ولكنك لم تعط خالداً نصفاً ، واحتمل أيضاً أنك جعلت مالك نصفين غير أنك لم تعط محمداً نصفاً ، واحتمل أيضاً أنك جعلت مالك نصفين غير أنك لم تعط محمداً ولا خالداً ، أو أنك أعطيتها غير النصف ، ومن المحتمل أيضاً أنك لم تفعل هذا الامر أصلاً لم تقسم مالك ولم تعط شيئاً .

ونحو قولك (ما ذهبت الى محمد وخالد وقلت لهما : أنا معكما) فهذا يحتمل نفي القول وإثبات الذهاب إليهما . ويحتمل أنك ذهبت الى واحد منها فقط ، ويحتمل أنك نفيت الامر كله أي أن هذا الامر لم يحصل كله ولا شيء منه .

(٥١) دلائل الاعجاز ٢١٦ - ٢١٧ .

ونحوه أن تقول (ما أقبل محمد راكباً ضاحكاً صباح اليوم) فقد يراد بذلك نفي القيد الأخير وهو صباح اليوم وإثبات ما قبله ، وقد يراد بذلك نفي القيود كلها ، وقد يراد أن شيئاً من ذلك لم يحصل أي تنفي الهيئة كلها .

هـ - التنصيص على نفي القيد دون غيره : إذا أردت التنصيص على نفي شيء من الاسماء أو القيود وإثبات ما عداه نصاً جئت بـ (غير) أو (لا) أحياناً فتقول مثلاً (أقبل محمد راكباً غير ضاحك) و (أقبل محمد راكباً لا ضاحكاً) إذا نفيت الضحك وحده وأثبت الاقبال ، وتقول (أقبل محمد غير راكب ولا ضاحك) إذا نفيت الركوب والضحك وأثبت الاقبال .

وتقول (شربت الماء غير بارد) و (رأيت رجلاً غير غريب ولا طويل) فانك ههنا نصصت على ما أردت اثباته ونفيه ، ففي الجملة الأولى اعني (أقبل محمد راكباً غير ضاحك) نصصت على مجيء محمد راكباً ونصصت على نفي الضحك وهكذا شأن الجملة الأخرى .

يتبين لنا من هذا أن النفي مع القيود يكون نفياً احتمالياً في الغالب وإن كان الاظهر أنه يفيد نفي القيد وحده ، فإذا أردت التنصيص على النفي جئت بـ (غير) مع الاسم وربما صح الاتيان بـ (لا) ايضاً كما اسلفنا .

٣ - نفي الشيء والمراد عدم كماله :

قد ينفي الشيء أصلاً وليس المراد ذلك بل المراد انتفاء كماله أو يكون المراد أنه لا ينبغي أن يوصف بهذا الوصف وذلك كقولك (إن فلاناً ليس بحمي) والمقصود أن حياته التي هو فيها لا ينبغي أن تسمى حياة ، ونحو هذا قول الشاعر :
ما عاش من عاش مذموماً خصائله ولم يموت من يكن بالخير مذكوراً
ونحو هذا قوله تعالى في أهل النار : ﴿ لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ طه ٧٤ " فنفي عنه الموت لأنه ليس بموت صريح ونفي عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة " (٥٢) .

ونحوه أن تقول لرائرك وقد همّ بالانصراف (لم نرك بعد) أى لم تتم رؤيتنا لك فقد نفي الرؤية والمقصود عدم كمالها .

٤ - التقديم والتأخير :

وله صور ابرزها :

أ - تقديم الاسم على الفعل ، فمن ذلك :

تقديم المسند اليه على الفعل نحو (ما انا اخبرته بهذا) فهذا يفيد أن الاخبار حصل ولكن لم تفعله أنت بل فعله غيرك بخلاف ما لو قلت : (ما اخبرته بهذا) فهذا نفي للاخبار عن نفسك . اما بالنسبة الى غيرك فقد يكون اخبره أو لم يخبره .

ومثله (ما ذهبت اليه) والمقصود نفي الذهاب عن نفسك . اما بالنسبة الى غيرك فقد سكت عنه فقد يكون ذهب او لم يذهب ، فاذا قدمت المسند اليه فقلت (ما انا ذهبت اليه) افدت نفيه عن نفسك واثباته لغيرك ولذا لا يصح أن يقال (ما انا ذهبت اليه ولا احد غيري) فان قولك (ما انا ذهبت اليه) يعني أن غيرك ذهب اليه . فاذا قلت (ولا احد غيري) ناقض آخر الكلام أوله .

جاء في (دلائل الاعجاز) : " اذا قلت (ما فعلت) كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول . واذا قلت : (ما انا فعلت) كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول ... وكذلك اذا قلت (ما ضربت زيدا) كنت نفيت عنك ضربه ولم يجب ان يكون قد ضرب ، بل يجوز أن يكون قد ضربه غيرك وأن لا يكون قد ضرب اصلاً . واذا قلت : (ما انا ضربت زيدا) لم تقله الاً وزيد مضروب وكان القصد أن تنفي ان تكون انت الضارب ...

وهنا امران يرتفع معهما الشك في وجوب هذا الفرق ويصير العلم به كالضرورة : احدهما انه يصح لك ان تقول : (ما قلت هذا ولا قاله احد من الناس) و(ما ضربت زيدا ولا ضربه احد سواي) ولا يصح ذلك في الوجه الآخر، فلو قلت (ما انا

قلت هذا ولا قاله احد من الناس) و(ما انا ضربت زيدا ولا ضربه احد سواي) كان خلفا من القول (٥٣).
ومن ذلك :

تقديم القيد على الفعل :

نحو تقديم المفعول به والجار والمجرور والظرف وغير ذلك وهو يفيد ما افاده الاول من الاثبات والنفي ، وذلك نحو قولك : (ما خالدا اكرمت) فانه يفيد نفي الاكرام لخالد خاصة واثباته لغيره بخلاف ما لو قلت : (ما اكرمت خالدا) فانه يفيد نفي الاكرام لخالد ولم تعرض لغيره باثبات او نفي فقد تكون اكرمته أو لا تكون . ولذا يصح أن تقول (ما اكرمت خالداً ولا غيره) ولا يصح أن تقول (ما خالداً اكرمت ولا غيره) لان تقديم المفعول به افاد اثبات الفعل وهو الاكرام فكيف تنقضه ؟

وكذلك الجار والمجرور نحو (ما اليّ جاء) فانه نفي المجيء اليه وأثبت المجيء الى غيره بخلاف ما لو قال (ما جاء اليّ) فانه نفي المجيء اليه ولم يعرض للمجيء الى غيره فقد يكون حصل أو لم يحصل .

ونحو الظرف نحو (ما بين الاشجار وجدت الكرة) فانه يفيد اثبات وجدان الكرة ، لكن نفي كونها بين الاشجار بخلاف ما لو قال : (ما وجدت الكرة بين الاشجار) فانه نفي وجودها بين الاشجار ، اما وجودها في محل آخر فلم يعرض له فقد يكون وجودها أو لم يجدها . ونحو (ما يوم الجمعة سافر خالد) و (ما سافر خالد يوم الجمعة) وهكذا .

جاء في (دلائل الاعجاز) : ” ويجيء لك هذا الفرق على وجهه في تقديم المفعول وتأخيريه . فاذا قلت : (ماضرت زيدا) فقدمت الفعل كان المعنى انك قد نفيت ان يكون قد وقع ضرب منك على زيد . ولم تعرض في امر غيره لنفي ولا اثبات وتركته مبها محتملا . واذا قلت (ما زيدا ضربت) فقدمت المفعول كان المعنى على أن ضرباً وقع منك على انسان وظن أن ذلك الانسان زيد ، فنفيت أن يكون اياه ، فلك أن تقول

(٥٣) دلائل الاعجاز ٩٦ - ٩٧ .

في الوجه الاول (ماضيت زيدا ولا احداً من الناس) وليس لك في الوجه الثاني . فلو قلت (ما زيدا ضربت ولا احداً من الناس) كان فاسداً على ما مضى في الفاعل
وحكم الجار مع المحرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب فاذا قلت : (ما امرتك بهذا) كان المعنى على نفي أن تكون قد امرته بذلك . ولم يجب أن تكون قد امرته بشيء آخر . واذا قلت (ما بهذا أمرتك) كنت قد امرته بشيء غيره ^(٥٤) .

ب - وقوع الفعل في حيز النفي وعدمه : اذا وقع الفعل في حيز النفي كان منفيًا ، وان لم يقع في حيزه كان مثبتًا وذلك نحو (عرفت أنه ليس مسافراً) و (ما عرفت أنه مسافر) فالجمله الاولى اثبات للمعرفة والثانية نفي لها . فقد عرف في الجملة الاولى أنه ليس بمسافر ، وأما في الثانية ، فقد نفي معرفته بذلك فلم يعلم أنه مسافر . ونحو (سمعت أنك لم تترك عملك) و (ما سمعت أنك تركت عملك) . فالاولى اثبات للسمع والثانية نفي له . ونحو قولك : (قلت : إنه ليس بشاعر) و (ما قلت إنه شاعر) فقد اثبت القول في الاولى ونفاه في الثانية . فقد قال في الاولى (انه ليس بشاعر) ، وفي الثانية لم يقل انه شاعر .

ونحو قولنا (يجب أن لا تخبره بذلك) و (لا يجب أن تخبره بذلك) ففي الاولى اوجب عليه عدم الاخبار وفي الثانية نفي وجوب اخباره ، بل اجاز له ان يخبره وأن لا يخبره ، ونحو (يجب أن لا تحضر) و (لا يجب أن تحضر) ففي الاولى الزمه بعدم الحضور ، وفي الثانية لم يوجب عليه الحضور ، بل اجاز له الحضور وعدم الحضور . ومثله (يجوز أن لا تفعل) و (لا يجوز أن تفعل) ففي الجملة الاولى جواز له عدم الفعل ، وجواز له الفعل وفعله أولى . وفي الثانية منعه من الفعل أي لم يجوز له الفعل .
ونحو (ادركت أنه ليس غيباً) و (ما ادركت أنه غيب) ففي الاولى ادرك عدم غيائه وفي الثانية لم يدرك غيائه .

ونحو قولك (ما اصبحت تملك عقارا) و (اصبحت لا تملك عقارا) ففي الجملة الاولى لم يصبح وفي الثانية اصبحت . ومعنى العبارة الاولى ان المخاطب كان يأمل أن

يكون من اصحاب العقار ولم يتيسر له ذلك ، واما الثانية فتقولها لمن كان يملكه وهو الآن لا يملكه . فالعبارة الاولى لاتدل على انه كان يملك العقار بخلاف الثانية .

ونحوه قولك : (ما اصبحت تملك زرعاً ولا ضرعاً) و (اصبحت لاتملك زرعاً ولا ضرعاً) . فالعبارة الاولى تفيد انه كان يريد ذلك فلم يتحقق له ما أراد ، والثانية تفيد انه كان يملكها ففقدها ، وهكذا .

والخلاصة انه اذا وقع الفعل في حيّز النفي تسلط عليه ، وان لم يقع في حيّزه كان مثبتاً ولم يتسلط عليه .

ج - وقوع (كل) في حيّز النفي وعدمه :

قد مرّ بنا هذا في باب التوكيد ، وذكرنا ثم انه اذا وقعت (كل) في حيّز النفي افادت الثبوت لبعض الافراد واذا لم تقع في حيّزه اقتضى ذلك النفي عن كل فرد ، فاذا قلت : مثلاً (ما اعانني كل الطلاب) كنت اثبتت الاعانة لبعضهم فلم يعنك كلهم بل اعانك بعضهم ، واذا قلت (كل الطلاب لم يعينوني) نفيت الاعانة عن كل الطلاب .

جاء في (دلائل الاعجاز) في قول أبي النجم :

قد أصبحت ام الخيار تدعي عليّ ذنباً كلّهُ لم اصنع

برفع كل "انه اراد انها تدعي عليه ذنباً لم يصنع منه شيئاً البتة لا قليلاً ولا كثيراً ولا بعضاً ولا كلّاً . والنصب يمنع من هذا المعنى ، ويقتضي أن يكون قد أتى من الذنب الذي ادّعته بعضه . وذلك انا اذا تأملنا وجدنا اعمال الفعل في (كل) والفعل منفي لا يصلح أن يكون الا حيث أن يراد أن بعضاً كان وبعضاً لم يكن . تقول : (لم الق كل القوم) و (لم آخذ كل الدراهم) فيكون المعنى : انك لقيت بعضاً من القوم ولم تلق الجميع ، وأنخذت بعضاً من الدراهم وتركت الباقي ، ولا يكون أن تريد أنك لم تلق واحداً من القوم ولم تأخذ شيئاً من الدراهم ...

واذ قد بان لك من حال النصب أنه يقتضي ان يكون المعنى على أنه قد صنع من الذنب بعضا وترك بعضا فاعلم أن الرفع على خلاف ذلك ، وانه يقتضي نفي أن يكون قد صنع منه شيئا واتى منه قليلا او كثيرا ، وانك اذا قلت : (كلهم لا يأتيك) و(كل ذلك لا يكون) و(كل هذا لا يحسن) كنت نفيت أن يأتيه واحد منهم واييت أن يكون أو يحسن شيء مما اشرت اليه“ (٥٥) .

قيل : وقد يشكل على الشق الاول من هذا القول نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ - لقمان ١٨ ﴾ وقوله ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ - البقرة ٢٧٦ ﴾ اذ يقتضي ذلك أن يحب الله بعض هؤلاء .

وأجيب ” ان دلالة المفهوم انما يعول عليها عند عدم المعارض وهو هنا موجود اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقا“ (٥٦) . وتحريم الكفر والاثم .

٥ - تكرير الفعل في النفي

تقول (ما مررت بمحمد وخالد) وتقول (ما مررت بمحمد وما مررت بخالد) وقد فرق قسم من النحاة بين التعبيرين فقالوا : اذا نفيت مروراً واحداً قلت (ما مررت بمحمد وخالد) ، واذا نفيت مرورين منقطعا احدهما عن الآخر قلت (ما مررت بمحمد وما مررت بخالد) . واما الاثبات فيحتمل معاني متعددة فاذا قلت (مررت بمحمد وخالد) احتمل أنك مررت بها مروراً واحداً واحتمل أنك مررت بكل واحد منها مروراً منقطعا عن الآخر ، واحتمل أن يكون مرورك بخالد أولاً أو بمحمد أولاً ، لان الواو لاتفيد الترتيب على الأرجح .

قال سيبويه : ” يجوز أن تقول : (مررت بزيد وعمرو) والمبدؤ به في المرور عمرو ويجوز أن يكون زيدا ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة ، فالواو يجمع هذه الاشياء على هذه المعاني ...

(٥٥) دلائل الاعجاز ٢١٥ - ٢١٨ .

(٥٦) المغني ١ / ٢٠٠ - ٢٠١ .

وقد تقول: (مررت بزيد وعمرو) تعني أنك مررت بهما مرورين وليس في ذلك دليل على المرور المبدوء به كأنه يقول: ومررت أيضا بعمرو. ففني هذا (ما مررت بزيد وما مررت بعمرو) (٥٧).

فتبين من قول سيبويه أنه إذا كان مرّ مرورين فنفيه يكون بتكرير العامل (ما مررت بزيد وما مررت بعمرو) أما إذا كان المرور واحداً فلا يتكرر العامل.

قال سيبويه: "قولك (مررت برجل وحمار قبل) فالواو أشركت بينهما في الباء فجريا عليه ولم تجعل للرجل منزلة بتقديمك إياه يكون بها أولى من الحمار، كأنك قلت: (مررت بهما) فالنفي في هذا أن تقول: (ما مررت برجل وحمار) أي ما مررت بهما" (٥٨).

وجاء في (الكليات) لأبي البقاء: "إذا دخل حرف النفي في مثل (رأيت زيدا وعمرا) فإن كانت الرؤية واحدة تقول (ما رأيت زيدا وعمرا) وإن كنت قد مررت بكل منهما على حدة تقول: (ما مررت بزيد ولا مررت بعمرو)" (٥٩).

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): "وأما لو كررت العامل فقلت: (ما جاءني زيد وما جاءني عمرو) فهو عند سيبويه نفي للمجئيين المنقطع أحدهما عن الآخر كأن المخاطب توهم أنه حصل مجيء كل واحد منهما لكن منقطعا عن مجيء الآخر فرفعت بهذا الكلام وهمه.

وعند المازني هو أيضا نفي للاحتالات الثلاث (كذا) كما كان من دون تكرير العامل. وهذا القول أقرب ويكون فائدة تكرير الفعل المنفي كفايدة زيادة (لا) بعد الواو وأكثر" (٦٠).

(٥٧) كتاب سيبويه ١ / ٢١٨.

(٥٨) كتاب سيبويه ١ / ٢١٨.

(٥٩) الكليات ٤٠٨.

(٦٠) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٤٠٤.

ويبدو لي أن رأي المازني أرجح فتكرار الفعل في نحو هذا يفيد التوكيد ويفيد نفي احتمال الاجتماع في المجيء فإذا قلت : (ما حضر محمد وخالد) احتمل أنك أردت نفي اجتماعهما في الحضور أي حضر أحدهما ولم يحضرا كلاهما ، واحتمل أنه لم يحضر محمد ولا خالد . فإذا قلت (ما حضر محمد وما حضر خالد) نفيت أن يكون حضر أي واحد على أي حال .

وكذلك الاثبات فانك إذا قلت (حضر محمد وحضر خالد) فانه يحتمل حضورهما معا ، ويحتمل حضورهما منقطعا أحدهما عن الآخر كقولك (حضر محمد وخالد) ، الا ان تكرار الفعل فيه توكيد والله اعلم .

٦ - نفي النفي

من المعلوم ان نفي النفي اثبات نحو (ماما محمد قائم) والمعنى (محمد قائم) فهذا نفي للنفي وذلك ان قائلا قال : (ما محمد قائم) فرددت عليه كلامه قائلا : (ماما محمد قائم) اي ليس نفيك صحيحا .

وليس من نفي النفي قولنا (لا لم اذهب) و (لا لا اذهب) فان هذا توكيد للنفي لانقضى له . وذلك ان (لا) الاولى حرف جواب نقيض نعم ، كأن يقال لك (أذهب الى سعيد؟) فتقول : (لا لم اذهب) أو (أتذهب الى سعيد؟) فتقول (لا لا اذهب) فليس هذا نقضا للنفي بل هو توكيد له .

ومن نفي النفي قولنا : (لا اريد أن لا اذهب) والمعنى أريد أن اذهب . لان قولك (اريد أن لا اذهب) معناه تريد عدم الذهاب فان نفيت هذه الارادة فقلت : (لا اريد ان لا اذهب) كان المعنى لا تريد عدم الذهاب ، ونحوه أن تقول (لا امانع ألا يحض) والمعنى أنك تمنع حضوره لان قولك (امانع ألا يحض) معناه أنك تمنع عدم حضوره فهذا نفي للنفي فكان اثباتا .

وقريب من هذا ما هو نفي في المعنى نحو (ما منعك ان لا تعتذر؟) وهذا يدل على انه اعتذر فقال له سائلا : ما منعك من عدم الاعتذار؟ ذلك لان قولك (ما منعك

أن تعتذر؟) معناه انه لم يعتذر فقال له : ما منعك من الاعتذار؟ ثم نفى هذا المعنى فقال : (ما منعك ان لا تعتذر؟) أي : ما منعك من عدم الاعتذار؟

ونحوه قوله تعالى : ﴿قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي - ص ٧٥﴾ أي : ما منعك من السجود؟

وأما قوله تعالى : ﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك - الاعراف ١٢﴾ ف (لا) زائدة ولا بد لانها لو لم تكن زائدة لكان المعنى انه سجد في الدنيا على السجود وسيكون المعنى عند ذاك : ما منعك من عدم السجود؟ بعكس المعنى الاول وهذا باطل . وقد مرّ بحث هذا في باب الفعل فلا داعي لتكراره .

ومن هذا الضرب قولنا (إني أن لا يحضر) والمعنى : إني عدم الحضور، أي اراد الحضور بعكس (إني أن يحضر) ومعناه : إني الحضور، وليس من هذا الضرب قولنا (إني ألا أن يحضر) بمعنى أراد الحضور. فان هذا انتقاض للنفي بـ (إلا) كما تقول (ما محمد إلا شاعر) و (ما حضر إلا خالد) وليس نفيا للنفي . والنتيجة واحدة في كليهما وهي الاثبات غير أن النقص بالا يفيد الحصر بخلاف نفي النفي فانه يفيد مجرد الاثبات بلا دلالة على القصر.

اسماء وظروف مختصة بالنفي

من الاسماء المختصة بالنفي ولا تستعمل في الايجاب (أحد) و (غريب) و (ديار) و (كرّاب) و (طوري) وكلها بمعنى واحد^(٦١) . تقول : (ما بالدار ديار) و (ما فيها غريب) بمعنى ما فيها احد .

وقد مرّ بحث (احد) في العدد فلا نعيده ههنا .
ومن الظروف المختصة بالنفي (قَطَّ) بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة و (عَوَّض) فالاولى لاستغراق الزمان الماضي ، تقول : (ما رأيته قط) أي ما رأيته فيما مضى من عمري ، ولا يقال : (لا اكلمه قط) .

(٦١) انظر كتاب سيبويه ١ / ٣٠٣ ، شرح الرضي على الكافية ٢ / ١٦٤ ، الكشف ٣ / ٢٧٣ : قوله تعالى : (من الكافرين ديارا) .

والثانية لاستغراق الزمن المستقبل مثل (ابداً) إلا أنه لا يستعمل في الاثبات بخلاف (ابداً) فإنها تستعمل في النفي والاثبات. قال تعالى: ﴿ولا يتمنونه ابداً بما قدمت أيديهم﴾ - الجمعة ٧ ﴿وقال: ﴿خالدين فيها ابداً﴾ - المائدة ١١٩﴾.

وأما (عوض) فهي مختصة بالنفي ولا تقع في الاثبات تقول: ﴿لا افعله (عوض) أي لا افعله ابداً، وهو ظرف مبني على الضم، وإذا اضيف اعرب، تقول (لا افعله عوض العائضين) أي دهر الداهرين. ومعنى الداهر أو العائض الذي يبقى على وجه الدهر، فيكون المعنى: لا افعله ما بقي في الدهر داهر أي ما بقي على وجه الدهر باق.

وربما استعمل (عوض) لمجرد الزمان لا لاستغراق الزمن المستقبل وذلك كقوله: فلولاً نبيل عوض في خطاي وأوصالي
أي: فلولاً نبلي الزمن مني^(٦٢).

وقد مرّ بحث (قط) و (عوض) في باب الظرف وحسبنا ههنا ما ذكرناه الآن عنها.

الحروف المؤكدة للنفي

يؤكد النفي بحروف اشهرها الباء و (من) و (إن) و (لا) الزائدات فالباء نحو (ما هو بمنطلق) ونحو ﴿ولستم بأخذيه إلا أن تُغمضوا فيه﴾ - البقرة ٢٦٧ ﴿.

و (من) نحو ﴿وما من اله إلا الله﴾ - آل عمران ٦٢ ﴿ ونحو ﴿وما مسنا من لغوب﴾ - ق ٣٨ ﴿.

و (إن) نحو: (ما إن أخوك معنا) وكقوله:

بني غدانة ما إن أنتم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف

و (لا) نحو ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾ - فصلت ٣٤ ﴿.

وقد مرّ بحثها كلها في مواضعها فلا نعيد القول فيها مرة أخرى.

(٦٢) انظر: المغني ١ / ١٧٥، ١ / ١٠٥، المعجم ١ / ٢١٣، شرح الرضي على الكافية ٢ / ١٣٩،
القاموس المحيط (دهر) ٢ / ٣٣.

الاستفهام

ادوات الاستفهام

١ - الهمزة

الهمزة اوسع ادوات الاستفهام استعمالاً فهي تستعمل للتصور والتصديق .
والتصور هو ما يجاب عنه بالتعين نحو (أحمد عندك أم خالد؟) فتجيب
(محمد) أو (خالد) .

والتصديق هو ما يجاب عنه بـ (نعم) أو (لا) نحو : (أحضر القاضي؟) فتجيب
بـ (نعم) أو (لا) بخلاف ادوات الاستفهام الأخرى فإنها تستعمل للتصور خاصة اذ
هي لا يجاب عنها بـ (نعم) أو (لا) بل بالتعين . تقول : من حضر؟ فيقال : سعيد .
وتقول : كيف أصبحت؟ فيقال : بخير . ما عدا (هل) و (أم) المنقطعة فإنها
تستعملان للتصديق خاصة^(١) . ولا تستعملان للتصور . تقول : هل أعددت
الطعام؟ فيقال : نعم . ولا يجوز أن يقال : هل محمد مسافر أم خالد؟
وقد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى أشهرها :

١ - التسوية :

نحو قوله تعالى : ﴿ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون -
البقرة ٦﴾ وقوله : ﴿سواء عليكم أذعنتموهم أم أنتم صامتون - الاعراف ١٩٣﴾ .
ولا تختص بها الهمزة الواقعة بعد كلمة (سواء) «بل كما تقع بعدها تقع بعد (ما
إبالي) و (ما أدري) و (ليت شعري) ونحوهن . والضابط أنها الهمزة الداخلة على

(١) انظر المغني ٢ / ٣٤٩ ، مع المواضع ٢ / ٦٩ .

جملة يصح حلول المصدر محلها نحو (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) ^(٢)
ونحو: (ما ابالي أفت أم قعدت) ^(٣).

وهمة التسوية لا يراد بها الاستفهام الحقيقي بل هي وما بعدها على معنى الخبر
لا الانشاء فانك اذا قلت: (سواء عليّ أحضرت أم غبت) كان المعنى سواء عليّ
حضورك وغيابك. فهي لا تستحق جواباً "لان المعنى معها ليس على الاستفهام وان
الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لانه خبر" ^(٤).

والذي يبدو لي ان ثمة فرقا في المعنى بين قولنا (سواء عليّ أحضرت أم غبت) و
(سواء عليّ حضورك وغيابك) وأنها لا يتطابقان تماما. فان قولك (سواء عليّ
أحضرت أم غبت) معناه انك لا تهتم بجواب هذا الاستفهام ولا تُعنى به فان الجواب
بأحد الامرين مستوي عندك ونقيضه بخلاف قولك (سواء عليّ حضورك وغيابك)
فانك ذكرت الاستواء على سبيل الخبر نصاً.

فما بعد همة التسوية خبر تأولا لا نصا لانه تساوي عندك جواب الامرين. ومن
هنا دخل معنى الخبر، واما الثانية فهي خبر نصا لأنها اخبار بتساوي الامرين
انفسها. ونحو قولك (لا ابالي أفاز أم خسر) أي انك لا تبالي بجواب هذا الاستفهام
على اية حال كان فلا داعي للاجابة عنه.

ولا يصح وقوع (أو) بعد همة التسوية بل لا تقع الا (أم) ^(٥) فلا تقول (سواء
عليّ أحضرت أو غبت) بل لابد أن تقول (سواء عليّ أحضرت أم غبت). قال
تعالى: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص - ابراهيم ٢١﴾ ، وذلك لان
المعنى يقتضي (أم) لا (أو). وذلك ان جواب قولك: (أكتب أو قرأ؟) هو: (نعم)
أو (لا)، والمعنى أفعل احدهما؟
وجواب (أكتب أم قرأ؟) هو التعيين، فتقرأ: (كتب) أو تقول: (قرأ).

(٢) المناقرون ٦.

(٣) المغني ١ / ١٧.

(٤) المغني ١ / ٤١.

(٥) المغني ١ / ٤٣.

وبهذا تعلم ان في قولنا (اكتب أم قرأ) أمرين متعادلين يسأل عنها . وأما قولك (اكتب أو قرأ؟) فليس فيه امران ، بل هو أمر واحد يسأل عنه أي أفعل احدهما؟ والتسوية لا تكون إلا بين أمرين لا في امر واحد ولذا امتنع أن يساوى ب (أو) بعد الهمزة .

٢ - الإنكار:

وذلك كقوله تعالى ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا - الاسراء ٤٠﴾ .

والإنكار الواقع بعد الهمزة على قسمين :

انكار ابطالي وهو انكار على من ادعى وقوع الشيء والحق انه غير واقع وذلك كآية السابقة فانهم ادعوا أن الملائكة بنات الله فانكر ذلك عليهم وأبطل قولهم . ونحوه قوله تعالى ﴿فاستفهم ألبك البنات ولهم البنون - الصافات ١٤٩﴾ .

والثاني : الإنكار التوبيخي : ويقتضي أن المخاطب فعل فعلا يستلزم توبيخه عليه وتقريعه ، فالامر واقع في الإنكار التوبيخي بخلاف الابطالي . ومن الإنكار التوبيخي قوله تعالى : ﴿أتعبدون ما تنحتون - الصافات ٩٥﴾ ﴿أتأتون الذكران من العالمين - الشعراء ١٦٥﴾ .

وهذان الإنكاران مختصان بالهمزة .

٣ - التقرير:

وهو اثبات المستفهم عنه ، قبل ويختص بالوقوع بعد النفي "سواء كان بما أولم أو ليس أولم" (٦) . نحو ﴿ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا - الكهف ٧٥﴾ ﴿ألم يجدك يتيما فآوى - الضحى ٦﴾ ﴿أليس الله بكاف عبده - الزمر ٣٦﴾ . وقيل لا يختص بالنفي بل يقع بعد الاثبات والنفي لان المقصود بالتقرير "حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر ثبوته أو نفيه" (٧) .

(٦) جواهر الادب ١٤ .

(٧) المغني ١ / ١٨ .

فالتفني نحو ما ذكرنا ، والاثبات نحو (أضربت محمدا؟) أو (أأنت ضربه؟) اذا
استقر عندك أنه الضارب .

٤- التهكم :
نحو قوله تعالى : ﴿أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا - هود ٨٧﴾ .

٥- الامر :
نحو قوله تعالى : ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّذِينَ آمَنُوا - آل عمران ٢٠﴾
أي : أسلموا .

٦- التعجب :
وذلك نحو قوله تعالى : ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ - هود ٧٢﴾ وقوله : ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ هَآءَ وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجَابٌ - ص ٥﴾ .

٧- الاستبطاء :
نحو قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ -
الحديد ٦﴾^(٨) .

٨- الاستبعاد :
وذلك نحو قوله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ - البقرة ٧٥﴾ .

٩- التحذير :
وذلك كقوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ
قُتِلَ إِنَّا نَقْلِبُكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ - آل عمران ١٤٤﴾

(٨) انظر لهذه المعاني : المغني ١ / ١٧ - ١٨ ، المجمع ٢ / ٦٩ ، جواهر الادب ١٤ - ١٥ .

١٠ - التنفير:

نحو قوله تعالى: ﴿أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ - الحجرات ١٢ ﴿.

١١ - التشكيك:

وذلك كقوله تعالى: ﴿أَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي - ص ٨﴾ يدل ذلك على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾.

١٢ - التشويق:

كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ - آل عمران ١٥﴾.

١٣ - النفي:

كقوله تعالى: ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ - ق ١٥﴾ أي لم نعي به. وقوله: ﴿أَفَأَنْ مَتَّ فُهِمَ الْخَالِدُونَ - الْأَنْبِيَاءُ ٣٤﴾ ، وقوله: ﴿أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ - الْبَقَرَةُ ١٣﴾ أي لا تؤمن كما آمنوا. وهي ليست للنفي المحض بل مشوبة بانكار أو تعجب ونحوه. الى غير ذلك من المعاني.

حذف الهمزة

يجوز حذف همزة الاستفهام اذا دل عليها دليل وذلك نحو قول عمر بن ابي ربيعة:

فو الله ما ادري وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان
أي: أسبع رمين الجمر.
وقول الكميت:

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
أراد: أودو الشيب يلعب؟^(٩)

(٩) انظر شرح ابن يعيش ٨ / ١٥٤ ، المغني ١ / ١٤ - ١٥ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنْ لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّمَا لَنَا أَجْرٌ لِمَنِ الْمَقْرِبِينَ - الاعراف ١١٣ ، ١١٤) أي : إِنْ لَنَا أَجْرٌ .

وقد صرح بالهمزة في موطن آخر فقال : ﴿ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ : إِنْ لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّمَا أَذْنُ لِمَنِ الْمَقْرِبِينَ - الشعراء ٤١ ، ٤٢ ﴾ .
وقد تقول : ولم حذف الهمزة في آية الاعراف وذكرها في آية الشعراء ؟

والجواب ان سياق كل من السورتين يقتضي ما فعل . ومن عادة القرآن في التعبير أن يرصد للسياق كل ما هو اليق به ، واليك ايضاح ذلك :

ان الموقف في سورة الشعراء موقف تحد كبير ومحااجة شديدة طويلة أشد وأطول مما هي في سورة الاعراف فقد سأل فرعون موسى فيها عن رب العالمين وأجابه جواباً طويلاً ثم رمى فرعون فيها موسى بالجنون قائلاً : ﴿ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَجَنُونَ - الشعراء ٢٧ ﴾ وهدده بالسجن قائلاً : ﴿ لَنْ اتَّخَذَ الْهَأْغِيرُ لِاجْعَلَنَّاكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ - الشعراء ٢٩ ﴾ .
وليس الامر كذلك في سورة الاعراف .

ومن نماذج الاختلاف في التعبير بين السياقين :

١ - انه قال في سورة الاعراف : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ - ١٠٩ ﴾ فنسب القول الى ملأ فرعون في حين نسب هذا القول في سورة الشعراء الى فرعون نفسه ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ - ٣٤ ﴾ .

ومن المحتمل ان كلاً منهم قال ذلك فقد قاله فرعون وملؤه ولكن نسبة القول الى فرعون نفسه في هذا الموقف دلالة على ضيق فرعون وبرمه بصورة اشد مما في الموقف الاول .

٢ - قال في سورة الاعراف : ﴿ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَإِذَا تَأَمَّرُونَ - ١١٠ ﴾ .

وقال في سورة الشعراء ﴿ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَأَإِذَا تَأَمَّرُونَ - ٣٥ ﴾ فزاد لفظ (بسحره) .

٣- قال في سورة الاعراف ﴿يأتوك بكل ساحر عليم﴾ ١١٢ بصيغة اسم الفاعل (ساحر).

وقال في سورة الشعراء : ﴿يأتوك بكل سحّار عليم - ٣٧﴾ بصيغة المبالغة (سحّار) وذلك لاحتدام الموقف وشدته وللمبالغة في الخصومة والمهاجّة .
٤- قال في سورة الاعراف : ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إنّ لنا لأجراً ان كنّا نحن الغالبين - ١١٣﴾ .

وقال في الشعراء ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون إنّ لنا لأجراً ان كنّا نحن الغالبين - ٤١﴾ فلم يصرّح في الآية الاولى انهم قالوا لفرعون . وفي الثانية صرّح بأنهم قالوا لفرعون . ثم انه في الاولى حذف همزة الاستفهام وفي الثانية ذكرها (إنّ لنا لأجراً) مما يدل على قوة الاستفهام وشدّة اللهفة الى استماع الجواب من فرعون نفسه .
ولما كان المقام مقام اطالة ، ومبالغة في المهاجّة جيّ بهمزة الاستفهام لتشتبك في الدلالة على قوة الاستفهام والتصريح به .

ففي الآية الاولى اضمر المقول له وأضمر همزة الاستفهام ، وفي الثانية صرّح بالمقول له وبهمزة الاستفهام .

٥- قال في سورة الاعراف : ﴿قال نعم وانكم لمن المقربين - ١١٤﴾ وقال في سورة الشعراء : ﴿قال نعم وانكم اذن لمن المقربين - ٤٢﴾ ، باضافة (اذن) الى الجواب وهي اضافة مناسبة للجو والسياق .

٦- قال في سورة الشعراء : ﴿فألقوا حبّالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون - ٤٤﴾ فأقسموا بعزة فرعون وهو ما لم يذكر في الاعراف وذلك لان الموقف اعزاز لفرعون صراحة . فأنت ترى أنّ كلّ لفظة في سياقها تسهم في تصوير الجو المناسب للموقف .

٧- قال في سورة الاعراف : ﴿ان هذا لمكرٌ مكّرموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ١٢٣﴾ .

وقال في سورة الشعراء : ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ - ٤٩﴾ بزيادة اللام على سوف (فلسوف) زيادة في التوكيد . وهي نظيرة ذكر الهمزة ههنا وحذفها ثم .

٨ - قال في سورة الاعراف : ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ - ١٢٥﴾ وقال في سورة الشعراء : ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ - ٥٠﴾ بزيادة (لا ضير) زيادة في التبكيت وعدم الاهتمام بعذاب فرعون . وهذه الزيادة تناسب الجور والسياق .

هذه نماذج من الفروق بين السياقين . فأنت ترى أن ذكر الهمزة في آية الشعراء هو المناسب لسياقها ، وحذفها من الاعراف هو المناسب لسياقها . فسياق الشعراء سياق اطالة وتحدٍّ ومبالغة في الخصومة أكثر ممَّا هو في الاعراف فرصد لكل سياق ما يناسبه من الالفاظ .

٢ - هل

هي مختصة بالتصديق فيجاء عنها بنعم أو لا كما سبق ذكر ذلك . وتخرج (هل) عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى أشهرها :
١ - الامر نحو قوله تعالى : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ - المائدة ٩١﴾ أي انتهوا .

والامر هنا ليس امرا محضا بل هو أمر مصحوب باستفهام ، أي : ألا يكفي ذلك لان تنتهوا ، ففيه تهيج للانتها . ونحو : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ - هود ١٤﴾ .

٢ - التمني :

نحو ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا - الاعراف ٥٣﴾ ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ - غافر ١١﴾ .

٣ - العرض :

نحو قوله تعالى : ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلَعُونَ . فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ - الصافات ٥٤ ، ٥٥﴾ بمعنى : ألا تطلعون . ونحو ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ - النازعات ١٨﴾ ونحو ﴿هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا - الكهف ٦٦﴾ .

٤ - التشويق :
نحو ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم - الصف ١٠﴾ .

٥ - التعلم والارشاد :
نحو ﴿قل هل ننبئكم بالاخرين اعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الكهف ١٠٣ ، ١٠٤﴾ .

٦ - التبكيت :
نحو ﴿ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا - الاعراف ٤٤﴾ ، ونحو : ﴿فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ - الحج ١٥﴾ .

٧ - الالزام :
نحو ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا - الانعام ١٤٨﴾ ، ونحو ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم - فاطر ٣﴾ .

٨ - النفي :
نحو ﴿هل كنت الا بشرا رسولا - الاسراء ٩٣﴾ ، ﴿هل جزاء الاحسان الا الاحسان - الرحمن ٦٠﴾ .
وستكلم على النفي بـ (هل) عمّا قريب .

٩ - التهويل والتعظيم :
نحو ﴿هل اتاك حديث الغاشية - الغاشية ١﴾ و ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد - ق ٣٠﴾ .

١٠ - التحذير:

نحو ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ - محمد
٢٢ ﴿وقال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾ - البقرة ٢٤٦.

١١ - بمعنى قد:

نحو قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ - الإنسان ١.
وستكلم على هذا المعنى بعد قليل.
إلى غير ذلك من المعاني.

ونود أن نذكر هنا أن هذه المعاني ليست معاني مجردة من الاستفهام، بل يشوبها كلها معنى الاستفهام. فالتمني والني والامر وغير ذلك من المعاني مشوبة بالاستفهام فلا تكون للني المجرد أو الامر المجرد أو التمني المجرد. وسنعرض لبعض المعاني موضحين الفرق بين المعنى الأصلي والمعنى المشوب باستفهام.

هل والهمزة

تفترق (هل) عن الهمزة من وجوه أهمها:

- ١ - اختصاصها بالتصديق في حين أن الهمزة تكون للتصور والتصديق. وعلى هذا لا تأتي (أم) المعادلة مع (هل) بخلاف الهمزة فلا تقول (هل محمد مسافر أم خالد؟) بل (أحمد مسافر أم خالد؟).
- ٢ - اختصاصها بالاثبات فلا تدخل على النفي تقول: (هل حضر أخوك؟) و(هل أخوك مسافر؟) ويمتنع أن تقول (هل لم يحضر أخوك؟) و(هل ليس أخوك حاضراً؟) بخلاف الهمزة. قال تعالى ﴿الم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض﴾ - البقرة ٣٣؛ قال: ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ - هود ٧٨ وقال ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم﴾ - آل عمران ١٤٢ وقال: ﴿إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ - الملك ١٤.

٣- تخصيـصـها الفـعل المضارع بالاستقبال نحو (هل تسافر؟). ويمتنع أن تقول :
(هل يقرأ الآن؟) و (هل تظنه قائماً؟) لأن ذلك للحال بخلاف الهمزة فإنها
تكون للحال والاستقبال تقول (أكتب الآن؟) و (أنظنه قائماً؟) و (أيسافر
غدا؟).

٤- انها لا تدخل على الشرط فلا تقول (هل إن سافر سافرت معه؟) بخلاف الهمزة
فانه يصح أن تقول (إن سافر سافرت معه؟) قال تعالى : ﴿أفإن مات أو قُتل
انقلبتم على أعقابكم - آل عمران ١٤٤﴾ وقال ﴿إِذَا كُنَّا بُرَابًا فَأَنَّا لَنِي خَلْقٌ
جَدِيدٌ - الرعد ٥﴾ وقال ﴿إِنْ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ - يس ١٩﴾.
٥- انها لا تدخل على (أنّ) فلا تقول (هل انه شاعر؟) بخلاف الهمزة. قال
تعالى : ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ - يوسف ٩٠﴾ وقال : ﴿إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ
مَعَ اللَّهِ آٰلَةً أُخْرَى - الانعام ١٨﴾.

٦- انها لا تدخل على اسم بعده فعل اختياريّاً فلا تقول (هل خالد يرجع؟) ولا
(هل خالد أكرمتم؟) بخلاف الهمزة. قال تعالى : ﴿قُلْ آلَٰهُ أَذُنٌ لِّكُمْ أَمْ
عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ - يونس ٥٩﴾ ، وقال : ﴿أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُ الصَّمْ وَلَوْ كُنَّا لَا
يَعْقِلُونَ - يونس ١٢﴾ وقال ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ - آل عمران ١٨٣﴾.
٧- انها تقع بعد العاطف لاقبله تقول (وهل) أو (فهـل) أو (ثم هل). قال تعالى :
﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ - يونس ١٠٢﴾ بخلاف
الهمزة فإنها تقع قبل العاطف. قال تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْنِسُوا لَكُمْ - البقرة
٧٥﴾ وقال : ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا - المائدة ١٠٤﴾ وقال :
﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ - يونس ٥١﴾.

٨- انها تأتي نافية ولذلك تقع بعدها (الآ). قال تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
تَأْوِيلَهُ - الاعراف ٥٣﴾ أي ما ينظرون الا تأويله : وقال : ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا
الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ - الانعام ٤٧﴾ و ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ - الرحمن
٦٠﴾ أي : ما جزاء الاحسان الا الاحسان ، بخلاف الهمزة فإنها لاتأتي لهذا
المعنى فلا يقال (أحضر الآ محمد).

النفي ب (هل) :

وهنا مسألة جديدة بالبحث وهي : هل تكون (هل) حرف نفي كبقية ادوات النفي ؟ وهل قوله تعالى : ﴿هل جزاء الاحسان الا الاحسان﴾ مماثل لقولنا (ماجزاء الاحسان الا الاحسان) انمحي فيه عن (هل) معنى الاستفهام واصبحت الجملة خبرا ؟

الذي يبدو راجحا أن معنى النفي المستفاد من (هل) لا يطابق النفي بحرف النفي بل المعنى مختلف من جهتين :

الاولى : ان النفي ب (هل) ليس نفيا محضا بل هو استفهام اشرب معنى النفي فقد يكون مع النفي تعجب أو استنكار أو غير ذلك من المعاني . فقوله تعالى مثلا : ﴿قل هل تتربصون بنا الا احدى الحسينين - التوبة ٥٢﴾ يختلف عن قولنا (ما تتربصون بنا الا احدى الحسينين) فان الاولى ليست نفيا خالصا فان فيها من التحدي والاستخفاف ما لا يؤديه النفي المحض . ونحوه قوله تعالى رداً على طلب الكفار حين طلبوا من الرسول أن يفجر لهم من الارض ينبوعا أو يسقط السماء كسفا أو أن يأتي بالله والملائكة وما الى ذلك . فقال ﴿قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا - الاسراء ٩٣﴾ فأنت ترى أن المعنى مختلف عن النفي المحض . وأنه لو جاء بالنفي فقال (قل سبحان ربي ما كنت الا بشرا رسولا) ما كان يؤدي ما اداه الاستفهام من استنكار قولهم والتعجب من طلبهم ، فهو يسألهم (هل كنت الا بشرا رسولا) وسيكون الجواب حتما (لا لست الا بشرا) ومن هنا يكون التعجب والاستنكار وهو أنه اذا كنتم تعلمون اني بشر فكيف تطلبون مني مثل هذا ؟

ونحوه قوله تعالى : ﴿فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم - يونس ١٠٢﴾ فهو يختلف عن قولنا (فما ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) .

فأنت ترى أن النفي بطريق الاستفهام ليس نفيا محضا بل هو مشوب بمعان أخرى لا يؤديها النفي المحض .

والجهة الثانية : ان النفي الصريح انما هو اقرار من المخبر فاذا قال : (ما جزء الاحسان الا الاحسان) أو قال (ما على الرسول الا البلاغ) كان هذا إخباراً من المتكلم . اما اذا قال ذلك بطريق الاستفهام فان المقصود اشراك المخاطب في الامر ، فهو يريد الجواب منه . فاذا قال مثلاً (هل على الرسول الا البلاغ) كان المخاطب مدعواً لأن يجيب ، وسيكون جوابه المنتظر : لا ليس على الرسول الا البلاغ .

واذا قال (هل جزء الاحسان الا الاحسان) كان المخاطب مدعواً لأن يجيب ، وسيكون جوابه : لا ، ما جزء الاحسان الا الاحسان .

فالنفي ابتداءً يفيد أن المتكلم يقول الامر من نفسه ، واما في الاستفهام فانه يدع ذلك للمخاطب ليقوله .

ونحو هذا قوله تعالى : ﴿ وهل نجازي الا الكفور - سبأ ١٧ ﴾ فان عرض المسألة بصيغة النفي معناه ان المتكلم يقررها ابتداءً . وان عرضها بصورة الاستفهام معناه ان المخاطب هو الذي يصدر الحكم . فاذا قلت مثلاً (مانعاقب الا المعتدي) كنت انت الذي ذكرت الامر وقررت به بنفسك ، ولكن اذا قلت (هل يعاقب الا المعتدي ؟) فأنت تريد منه الجواب ، تريد منه أن يصدر الحكم على نفسه هو ، فهناك فرق واضح بين الامرين .

٩ - انها تأتي بمعنى (قد) بخلاف الهمزة وجعلوا منه قوله تعالى : ﴿ هل اتى على الانسان حين من الدهر - الانسان ١ ﴾ (١٠) .
وقد اختلفوا في تقريرها هذا المعنى .

فقد ذكر سيبويه انها بمنزلة (قد) قال : " وكذلك (هل) انما تكون بمنزلة (قد) ولكنهم تركوا الالف اذ كانت (هل) لاتقع الا في الاستفهام " (١١) . يعني ان اصل الاستعمال (أهل) ولكنهم تركوا الف الاستفهام لأن (هل) لاتقع الا في الاستفهام .

(١٠) انظر هذه المعاني مغني اللبيب ٣٤٩/٢ - ٣٥٣ ، المجمع ٧٧/٢ - ٧٨ ، شرح الرضي على الكافية ٢/٢٠ - ٤٣٢ ، جواهر الادب ١٦٨ ، الايضاح للتزويني ١٣٢ شرح المختصر للفتازاني

٩١
(١١) انظر سيبويه ١/٢٩٢ .

وذهب الزمخشري الى انها بمعنى (قد) على معنى التقرير والتقريب جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر﴾ : ” (هل) بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة والاصل (أهل) بدليل قوله : أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم

فالمعنى (أقد) على التقرير والتقريب جميعا ، أي أتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر“ (١٢) .

وذهب بعضهم الى أنها بمعنى (قد) على معنى التحقيق ، وقال بعضهم : معناها التوقع .

وذهب آخرون الى أنها لاتأتي بمعنى (قد) أصلا (١٣) .
قال ابن هشام : ” وهذا هو الصواب عندي“ (١٤) .

وهذا هو الصواب فيما أحسب فانها ليست بمعنى (قد) تماما بل هي لاتزال استفهامية فلا يصح ان نبدها بـ (قد) وأن نبذل (قد) بها فلا يصح أن نقول مثلا في قوله تعالى ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك - المجادلة ١﴾ هل سمع الله قول التي تجادلك ، ولا في ﴿رَبِّ قد آتيتني من الملك - يوسف ١٠١﴾ (رب هل آتيتني من الملك) . ولكنها قد تخرج الى معنى قريب من الاخبار .

ان المقصود من امثال هذا التعبير اشراك المخاطب في الامر ليقرر ويحجب بنفسه في حين لو ذكره بصورة الخبر لكان إخباراً من قبل المتكلم نفسه ، فقوله تعالى ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ يشرك المخاطبين في الامر ويطلب منهم الاجابة عن هذا السؤال ولو أجابوا لقالوا : نعم أتى ذلك على الانسان . فالفرق بين (قد أتى على الانسان حين من الدهر) و(هل أتى على الانسان حين من الدهر) ان المتكلم في الاولى قرر هذا الامر ابتداء وأخبر به . وفي الثانية عرضه بصيغة السؤال

(١٢) الكشاف ٢٩٥/٣ .

(١٣) المغني ٣٥٢/٢ .

(١٤) المغني ٣٥٢/٢ .

ليقرره المخاطب بنفسه . فبدل ان يقولها المتكلم ابتداء يكون المخاطب مشاركا في اصدار الحكم .

ونحو هذا ان تقول لمخاطبك (هل اكرمتك يا فلان ؟ هل اعطيتك ما وعدتك ؟)
وانت كنت فعلت ذلك له ، فيقول : نعم قد اكرمتني واعطيتني . فبدل ان تقول
ذلك بصورة الخبر تقولها مستفهما لتسمع الجواب منه فيكون ابلغ في التقرير والبيان .
وهذا الضرب من التعبير شبيه بما مر من مجي (هل) نافية . فليتكلم ثم يجيب

بالسلب وههنا يجيب بالايجاب .

١٠- ان الهمزة تكون للانكار بخلاف (هل) . وقد مر بنا هذا في باب الهمزة وذلك
نحو قوله تعالى : ﴿ اتعبدون ماتنحتون - الصافات ٩٥ ﴾ وكقوله لمن ضرب
اخاه : أتضربه وهو اخوك ؟ فليس القصد هو الاستفهام الحقيقي بل المقصود
توبيخ المخاطب على فعله والانكار عليه . فهذا الضرب من الاستفهام مخصوص
بالهمزة ولا يصح بـ (هل) .

جاء في (المغني) : " وقد يكون الانكار مقتضيا لوقوع الفعل ... وذلك اذا كان
بمعنى : ما كان ينبغي لك أن تفعل نحو : أتضرب زيدا وهو اخوك ؟ " (١٥) وذكر ان
هذا النوع من الانكار مختص بالهمزة .

وقال سيبويه : " وذاك ان (هل) ليست بمنزلة الف الاستفهام لانك اذا قلت
(هل تضرب زيدا) فلا يكون أن تدعي أن الضرب واقع . وقد تقول : (أتضرب
زيدا) فأن تدعي أن الضرب واقع . ومما يدل على أن الالف ليست بمنزلة انك
تقول :

أطرباً وانت قنصري

فقد علمت أنه قد طرب ولكن قلت لتوبخه أو تقرره ولا تقول هذا بعد
(هل) " (١٦) .

(١٥) المغني ٣٥١/٢ .

(١٦) كتاب سيبويه ٤٨٥/١ - ٤٨٦ .

فهو يبين انك اذا قلت (أتضرب زيدا؟) فعناهُ أن الضرب واقع وأنت تنكر عليه ضربه . ونحوه قوله (اطربا وانت قنسري) فالشاعر ينكر عليه طربه ، وذلك يقتضي أنه طرب فأنكر عليه طربه . ثم ذكر أن ذلك لا يكون بـ (هل) .

فالفرق بين قولك (أتضرب محمدا؟) و (هل تضرب محمدا؟) ان الضرب في الاولى واقع وأنت تنكر عليه ضربه له ، واما الثانية فهي استفهام محض أي : (أستضرب محمدا؟) ولا يدل على أن الضرب واقع .

١١- وهناك فارق آخر بين الهمزة و (هل) ، فقد ذكر أنه يستفهم بالهمزة اذا هجس في النفس اثبات ما يستفهم عنه بخلاف (هل) فانه لا ترجع عنده بنفي ولا اثبات "فاذا قلت : (أعندك زيد؟) فقد هجس في نفسك انه عندك فأردت ان تستثبته بخلاف (هل)" (١٧) .

واذا سبق الى ظنك أن خالدا حضر وأردت أن تستوثق من ظنك قلت : أحضر خالدا؟ واذا لم يقع في نفسك شيء وانما اردت الاستفهام المجرد قلت : هل حضر خالدا؟

وقد المح سيويه الى أن الاستفهام بالهمزة انما يكون لما توقع فيه الاثبات بخلاف (هل) فانها ليست كذلك .

قال سيويه في (باب الحروف التي لا يليها إلا الفعل) "فن تلك الحروف (قد) لا يفصل بينها وبين الفعل بغيره وهو جواب لقوله (أفعل؟) كما كانت (ما فعل) جوابا لـ (هل فعل) اذا اخبرت أنه لم يقع . ولما يفعل وقد فعل انما هما لقوم ينتظرون شيئا" (١٨) .

فلذكر أن (أفعل؟) جوابه (قد فعل) و (قد) للتوقع والانتظار . ومعنى ذلك ان السائل كان يتوقع حصول الشيء فجاء الجواب بـ (قد) بخلاف (هل) . فاذا قلت : (اكتب خالدا في هذا الامر؟) فان السائل كان يتوقع أنه كتب أو هجس في نفسه ذلك ، وجوابه اذا كان ايجابا (نعم قد كتب) واذا قلت : (هل كتب خالدا في هذا

(١٧) البرهان ٤/٤٣٣ ، ٢/٣٤٨ .

(١٨) كتاب سيويه ١/٤٥٨ - ٤٥٩ .

(الامر؟) فان السائل لم يكن يتوقع أنه كتب ، بل ربما كان عدم الكتابة اقرب الى ذهنه . وذكر برجشتراسران (هل) تشير الى أن السائل كان يتوقع الجواب بالنفي .
 جاء في (التطور النحوي) : "فأدوات الاستفهام عن الجملة العربية اثنتان :
 (هل) والهمزة ، ولاتوجدان في غير العربية من اللغات السامية الا أن ha في العبرية
 والارامية العتيقة تقارب الهمزة العربية ، والهمزة هي المألوفة الكثيرة الاستعمال ، و
 (هل) اشد قوة في الاستفهام وقد ترمز الى أن السائل يتوقع الجواب ر (لا) ،
 ولذلك قد تقع بعدها (من) الخاصة بالسلب مثاله من القرآن الكريم (هل من
 مزيد) فكان معناها : ما من مزيد . فتقارب هل ل nam اللاتينية التي لا يستفهم بها
 الا اذا توقع السائل النفي نحو venitre أي أجاء يعني لأعرف أجاء أم لم ينجي و
 namvenil أي هل جاء؟ يعني : اظن أنه لم ينجي وان كان على ضد ذلك
 فخالفتني" (١٩) .

والذي يبدو أن الكثير في جواب (هل) أن يكون لما يتوقع أن يجاب بالنفي وليس
 ذلك على سبيل الاطلاق ، قال تعالى : ﴿ هل يستوي الاعمى والبصير - الانعام
 ٥٠ ﴾ والجواب متوقع أن يكون بالنفي . وقال : ﴿ هل عندكم من علم فتخرجوه
 لنا - الانعام ١٤٨ ﴾ وقال : ﴿ نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد - التوبة
 ١٢٧ ﴾ وقال : ﴿ مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان
 مثلا - هود ٢٤ ﴾ وقال : ﴿ فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء - ابراهيم
 ٢١ ﴾ وقال : ﴿ هل تعلم له سميا - مريم ٦٥ ﴾ وقال : ﴿ هل من شركائكم من
 يفعل من ذلكم من شيء - الروم ٤٠ ﴾ وقال : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم - فاطر
 ٣ ﴾ وقال : ﴿ فهل ترى لهم من باقية - الحاقة ٨ ﴾ وكلها مما يتوقع جوابه بالنفي .

الا أنه قد يكون السائل بها لا يتوقع الجواب بالنفي وذلك نحو قوله تعالى ﴿ هل
 أتبعك على أن تعلمني مما عُلِّمت رشدا - الكهف ٦٦ ﴾ وقوله : ﴿ هل ادلكم على
 من يكفله - طه ٤٠ ﴾ وقوله ﴿ وقيل للناس هل انتم مجتمعون - الشعراء ٣٩ ﴾ .
 ويمكن أن يقال في كل ذلك إنه خرج عن الاستفهام الحقيقي الى العرض .

وعلى اية حال فان كثيراً من جواب (هل) لما يتوقع جوابه بالنفي بخلاف الهمزة فان الاصل فيها أن يكون لما توقع حصوله .
١٢- ان (هل) اقوى وأكد من الهمزة وقد ذكر ذلك برجستراسر قال : "وهل اشد قوة في الاستفهام" (٢٠) .

وهذا صحيح يدل على ذلك اقترانها بـ (من) الزائدة المؤكدة الدالة على الاستغراق نحو : ﴿هل من مذكر- القمر ١٧﴾ ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم- فاطر ٣﴾ بخلاف الهمزة فانها لا تقترن بها .
ويشهد لذلك الاستعمال القرآني :
قال تعالى : ﴿أفأنبئكم بشر من ذلكم ؟ النار وعدها الله الذين كفروا- الحج ٧٢﴾ .

وقال : ﴿هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله- المائدة ٦٠﴾ .
وقال : ﴿هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفكاثيم- الشعراء ٢٢١ ، ٢٢٢﴾ .
وقال : ﴿قل هل ننبئكم بالآخسرين اعمالا- الكهف ١٠٣﴾ .

فاستعمل الهمزة و(هل) مع الفعل (نبا) . وعند النظر في الاستعمالين نرى أن (هل) اقوى وأكد في الاستفهام من الهمزة ويبين ذلك السياق .

قال تعالى : ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ؟ النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير- الحج ٧٢﴾ .
فاستعمل الهمزة .

وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين اتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين . واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون . قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وأن

اكثركم فاسقون . قل هل انبشكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ؟ من لعنه الله
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا
واضل عن سواء السبيل ... - المائدة ٥٧ - ٦٠ ﴿ وما بعدها .
فاستعمل هل .

والفرق واضح بين السياقين فأنت ترى أن في السياق الثاني قوة وتبكيता
لا تبعده فيما قبله فذكر أن الكفار اتخذوا الدين والنداء والصلاة هزوا ولعبا ، وقد
وصفهم بالفسق وعدم العقل ، وانهم لعنهم الله وغضب عليهم ومسح منهم
قردة وخنازير وأنهم عبدوا الطواغيت ، ثم قال (اولئك شر مكانا واضل عن
سواء السبيل) . ومضي في تبكيتهم ووصفهم بأقبح الوصف .

وليس الامر كذلك في الآية التي قبلها ولذا جاء في الاولى بالهمزة (قل
أفأنبشكم بشر من ذلكم ؟) وفي الثانية ب (هل) (قل هل انبشكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله ؟) .

ونحوه ما جاء في آية الشعراء : ﴿ وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم
وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون - ٢١٠ - ٢١٢ ﴾ الى أن
يقول : ﴿ هل أنبشكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثم يلقون
السمع واكثرهم كاذبون - ٢٢١ - ٢٢٣ ﴾ .

فأنت ترى في السياق قوة وشدة بالغة في الرد على الكفرة المفتريين
فاستعمل لذلك هل .

ونحوه ما جاء في سورة الكهف فقد قال : ﴿ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا . الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا .
أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني اولياء إنا اعتدنا جهنم
للكافرين نزلا ، قل هل ننبشكم بالانحرين اعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . اولئك الذين كفروا بآيات ربهم
ولقاءه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما
كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا - الكهف ١٠٠ - ١٠٦ ﴾ .

فان قوة التبكيت وشدة التقريع واضحة في السياق فاستعمل لذلك (هل) ولم يستعمل الهمزة .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ — الصف ١٠-١٣ ﴾ فان فيها من شدة التشويق والرحمة بالمؤمنين والاخذ بيدهم ما ليس في حاجة الى بيان .

ونحوه قوله تعالى على لسان اخت موسى : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ — القصص ١٢ ﴾ فان فيها من اللهفة في العرض ما لا يخفى .
فدل ذلك على ان (هل) أقوى من الهمزة والله اعلم .

أم وأو :

مر هذا البحث في باب العطف وسنذكر منه الآن بصورة موجزة ما يتعلق بالاستفهام . تقول : (أحمد عندك أم خالد؟) والجواب يكون بالتعيين فتقول (محمد) ، أو تقول : (خالد) . وتقول : (أحمد عندك أم خالد؟) فتجيب بـ (نعم) أو (لا) ، والمعنى : أعندك احدهما؟

ومن هنا يتبين أنه لا يجوز استعمال (أم) المعادلة بعد (هل) لأنها لا تستعمل للتصور بخلاف (أو) فانه يجوز استعمالها بعدها وبعد الهمزة . قال تعالى : ﴿ هَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٌ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا — مريم ٩٨ ﴾ والجواب : (لا) . وقال : ﴿ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ — الشعراء ٩٣ ﴾ والجواب : (لا) .

جاء في (كتاب سيويه) : "تقول : ألقيت زيدا أو عمرا أو خالدا؟" أو تقول : (أعندك زيد أو خالد أو عمرو؟) كأنك قلت : أعندك احد من هؤلاء وذلك لانك لما قلت : أعندك أحد هؤلاء لم تدع أن احداً منهم ثم ألا ترى أنه اذا أجابك قال : (لا) كما يقول إذا قلت : أعندك احد من هؤلاء...
فإذا قلت : (أزيد أفضل أم خالد؟) لم يجوز ههنا إلا (أم) لانك انما تسأل عن

صاحب الفضل ، الا ترى أنك لو قلت : (أزيد أفضل) لم يجز كما يجوز : (أضربت زيداً؟) فذلك يدلّك ان معناه : (أيها) “ (٢١) .

و(أم) خاصة بالعربية ابتدعتها لهذا المعنى بخلاف (أو) كما ذكر برجشتراسر (٢٢) .

ومن الاستعمالات المختلفة بين (أم) و (أو) قولك (ما أدري أأكل أم شرب) و (ما أدري أأكل أو شرب) فان المعنى الاولى انك لا تدري أيها فعل ، واما الثانية فعناها انك لا ترى فرقاً بين أكله وشربه . والمعنى انه اكل وشرب لكنه لم يستكمل واحداً منها فلا يصحّ أن يُعدّ اكله أكلاً ولا شربه شرباً .

جاء في (الكتاب) : ”وتقول (ما أدري أقام أم قعد) اذا أردت : ما أدري أيّ ذاك كان . وتقول (ما أدري أقام أو قعد) اذا أردت أنه لم يكن بين قيامه وقعوده شيء كأنه قال : لا أدعي أنه كان منه في تلك الحال قيام ولا قعود أي لم أعدّ قيامه قياماً ولم يستبن لي قعوده بعد قيامه . وهو كقوله الرجل : (تكلم ولم يتكلم) “ (٢٣) .

ومنه قولهم : (ما أدري أأذن أو أقام) و(ما أدري أأذن أم أقام) فإذا قالها ب (أو) كان معناه انه فعلهما ولم يستكمل واحداً منها وإذا قالها ب (أم) فانك لا تدري ماذا فعل (٢٤) .

واما (أم) المنقطعة فتقع بعد (هل) نحو قوله تعالى ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور— الرعد ١٦﴾ ومعناها ههنا (بل) وقد مرّ بحثها في باب العطف فلا داعي لاعادته .

٣ - أم

ونعني بها ههنا (أم) المنقطعة وقد مرت في باب العطف وسنوجز القول فيها هنا . (أم) المنقطعة تفيد الاضراب على اية حال ، ثم هي قد تتجرد له وذلك نحو قوله تعالى : ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور— الرعد ١٦﴾ والمعنى : بل هل تستوي الظلمات والنور .

(٢١) كتاب سيويه ٤٨٧/١ .

(٢٢) التطور النحوي ١٠٩-١١٠ .

(٢٣) كتاب سيويه ٤٨٣/١ .

(٢٤) انظر الخصائص ١٦٩/٢ ، ٢٦٦/٢-٢٦٧ .

وقد تتضمن معه استفهاماً فتكون بمعنى (بل) والهمزة (٢٥) ، وهذه التي تعيننا هنا . ومن هذا الضرب قوله تعالى ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ— الطور ٣٧﴾ والمعنى : بل أعندهم خزائن ربك . وقوله : ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانُ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ— القلم ٣٩﴾ والمعنى : بل ألكم أيمان علينا .

وقد يكون الاستفهام بها حقيقةً وذلك كقولك (هذا المنطلق احمد أم هو ابراهيم ؟) فقد ذكرت اولاً انه احمد غير شك في ذلك وقد بنيت كلامك على اليقين ثم ادركك الشك فأضربت عن كلامك الاول وسألت : بل أهو ابراهيم ؟

وقد يكون الاستفهام بها غير حقيقي فيراد به الانكار والتوبيخ ونحوهما وذلك نحو قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ— الطور ٣٩﴾ وقوله : ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ— الطور ٤١﴾ .

وللزومها معنى الاضراب لا تكون في اول الكلام مثل بقية ادوات الاستفهام بل لابد أن يسبقها كلام فلا تقول ابتداء (أم أنت فقير) ولا (أم فعل هذا) ، بل لابد أن يكون المتكلم ابتداءً بشيء ثم اضرب عنه الى شيء آخر وذلك نحو قوله تعالى : ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . وَمَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ— القلم ٣٥-٣٧﴾ .

٤- أنى

لها معنيان :

المعنى الاول ان تكون بمعنى (من اين) وذلك نحو قوله تعالى ﴿قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله— آل عمران ٣٧﴾ أي : من اين لك هذا ؟ وقوله ﴿أولاً اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم— آل عمران ١٦٥﴾ والمعنى : من أين هذا ؟ ولذلك كان الجواب : هو من عند أنفسكم .

(٢٥) انظر المغني ١/٤٤-٤٥ .

والمعنى الآخر أن تكون بمعنى (كيف) وذلك نحو قوله تعالى ﴿قال آتني يحيى هذه
الله بعد موتها — البقرة ٢٥٩﴾ والمعنى : كيف يحييها بعد موتها . وقوله : ﴿قال رب
آتني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأني عاقر — آل عمران ١٤٠﴾ والمعنى :
كيف يكون لي غلام وهذه حالي ؟ .

وهي تختلف عن (من اين) و (كيف) لأنها لا اشتراكها في أكثر من معنى قد
تحتمل عدة معان في آن واحد ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿آتني لهم الذكرى وقد
جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون — الدخان ١٣-١٤﴾ فإنها
تحتمل ان يراد بها (من اين لهم الذكرى) وتحتمل أن يراد (كيف لهم الذكرى) أي
كيف لهم ان يتذكروا ؟ استبعاداً لحالتهم عن التذكر ، واحسب ان المعنيين مرادان فإنه
يراد السؤال عن الموضع الذي تأتي منه الذكرى ، وعن حالتهم التي هم فيها ، وكلاهما
استفهام غير حقيقي . ولو قال (من اين لهم الذكرى) أو (كيف لهم الذكرى) لادى
ذلك معنى واحداً فجاء بـ (آتني) ليجمع المعنيين معا .

وهي كذلك في غير الاستفهام فقد قالوا في قوله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فاتنوا
حرثكم آتني شتم — البقرة ٢٢٣﴾ انه يحتمل عدة معان ، فقد يحتمل أن المراد :
من أين شتم وكيف شتم ، ومتى شتم^(٢٦) .

والمراد والله اعلم جميع هذه المعاني فلك أن تأتي امرأتك من أين شتم وكيف
شتم ومتى شتم مادام ذلك لا يخالف شرع الله .

فالغرض من العدول الى (آتني) توسيع المعنى وزيادته فبدل ان يكرر عدة
تعبيرات لافادة هذه المعاني جميعها جمعها بلفظ واحد والله اعلم .

ويبدو لي أنها تختلف عن (كيف) و (اين) من ناحية أخرى هي القوة في
الاستفهام ، وبنائها اللغوي يوحي بذلك فالتشديد الذي فيها والمدة الطويلة في
آخرها يرجحان ذلك ، وقد لوحظ في كثير من الالفاظ في العربية ان بناءها اللغوي
مشاكل لمعناها وذلك كما مر في (من) و (ما) و (لن) و (لا) . ف (من) مقيدة و

(٢٦) الكليات لابي البقاء ١/ ٣٢٨ طبعة دمشق / ٩٧٤ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي

(ما) مطلقة وقد عرفنا أن (ما) أوسع استعمالاً من (من) لان (من) تكاد تكون مختصة بالعقلاء و (ما) تكون لغير العقلاء ولصفات من يعقل كما مر تقرير ذلك . و (لن) مقيدة و (لا) مطلقة وقد عرفنا أن (لا) أطول زمناً من (لن) . و (أتى) في آخرها مدة طويلة بخلاف (أين) و (كيف) وقد عرفنا أنها أوسع استعمالاً منها فهي تجمع معنيها وربما زادت على ذلك معنى (متى) أو غيره . وهي أقوى استفهاماً منها فان في قوله تعالى ﴿أتى لك هذا﴾ من العجب ما ليس في قولنا (من أين لك هذا) وفي قوله تعالى (أتى يكون لي غلام) من التعجب ما ليس في (كيف) . وعلى هذا فهي تختلف عن (من أين) و (كيف) من ناحيتين هما :

١ - السعة في ادائها المعنى .

٢ - القوة في الاستفهام .

والله اعلم .

٥ - أين

للسؤال عن المكان سواء كان استفهاماً حقيقياً نحو (أين أخوك؟) أم مجازياً وذلك نحو قوله تعالى ﴿أين شركائي الذين كنتم ترعون - القصص ٧٤﴾ فإنه لا يسأل عن مكانهم حقيقة وإنما هو لتبكيهم .

٦ - أيّ

وهي بحسب ما تضاف اليه فان اضيفت الى مكان كانت مكاناً وان اضيفت الى زمان كانت زماناً وان اضيفت الى غيرهما كانت بحسب ما اضيفت اليه وذلك نحو قوله تعالى ﴿أيكم زادته هذه إيماناً - التوبة ١٢٤﴾ وقوله ﴿وما تدري نفس بأيّ ارض تموت - لقمان ٣٤﴾ وقوله ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون - الشعراء ٢٢٧﴾ ونحو (أيّ يوم سافر خالد) وما الى ذلك .

٧ - أيان

يسأل بها عن الزمان المستقبل بمعنى (متى) غير أن (متى) تستعمل للماضي والمستقبل ، وأيان تختص بالاستقبال^(٢٧) . يقال : متى قدمت؟ ولا يقال أيان قدمت؟

(٢٧) انظر شرح الرضي ٢/ ١٣٠ ، كليات أبي البقاء ٩٠ .

وأَيان لا تستعمل إلا للتفخيم والتعظيم . جاء في (شرح ابن يعيش) : "وأَيان لا تستعمل إلا فيما يراد تفخيم أمره وتعظيمه نحو قوله تعالى ﴿أَيَّانُ مَرْسَاهَا﴾^(٢٨) أي : متى مَرْسَاهَا ؟ وقال تعالى ﴿يَسْأَلُ أَيَّانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة ٦] "^(٢٩) .
وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : "وأَيان مختص بالامور العظام نحو قوله تعالى : ﴿أَيَّانُ مَرْسَاهَا﴾ و ﴿أَيَّانُ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٣٠) ولا يقال : أَيَّانُ نَمْتُ "^(٣١) .

٨- كم

للسؤال عن العدد نحو (كم يوما قضيت في مصر؟) ونحو قوله تعالى ﴿قال كم لبثت؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم — البقرة ٢٥٩﴾ .

٩- كيف

هي للسؤال عن الحال نحو (كيف أنت؟) وكيف جئت؟
قال سيبويه : "وكيف على أي حال" "^(٣٢) .

والنخاة يعرفونها خيراً للمبتدأ في نحو (كيف أنت) وخبراً للفعل الناقص في نحو (كيف كنت) ومفعولاً ثانياً في نحو (كيف ظننت محمداً) . وفيما عدا ذلك يعرفونها حالاً نحو (كيف جئت)^(٣٣) و (كيف نمت) .

قال ابن هشام : "وعندي أنها تأتي في هذا النوع مفعولاً مطلقاً ايضاً وإن منه (كيف فعل ربك) اذ المعنى أي فعل فعل ربك؟ ولا يتجه ان يكون حالاً من الفاعل "^(٣٤) .

(٢٨) النازعات ٤٢ .

(٢٩) شرح ابن يعيش ١٠٦/٤ .

(٣٠) الذاريات ١٢ .

(٣١) شرح الرضي على الكافية ١٣٠/٢ .

(٣٢) كتاب سيبويه ٣١١/٢ ، انظر حاشية التصريح ١٧٦/١ .

(٣٣) انظر المغني ٢٠٥/١ .

(٣٤) المغني ٢٠٥/١-٢٠٦ .

ان ابن هشام يبدو مصيباً في اعتراضه فانه يبدو من المستبعد أن تعرب (كيف) حالاً في كثير من التعبيرات وذلك نحو قولك (كيف تضربه وهو اخوك؟) ونحو قوله تعالى ﴿ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل — الفيل ١﴾ وقوله : ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب — النساء ٥٠﴾ وقوله ﴿وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون أنكم اشركتم بالله — الانعام ٨١﴾ وقوله ﴿فكيف آسى على قوم كافرين — الاعراف ٩٣﴾ وقوله : ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً — نوح ١٥﴾ فالظاهر انه لا يسأله في نحو هذا عن حال الفاعل .

غير أنه مما يرد ابن هشام اننا نستطيع ان نذكر المفعول المطلق مع (كيف) في نحو هذا التعبير فتقول مثلاً (الا ترى كيف يضرب خالد أخاه ضرباً موجعاً) فلا يصح أن يقال ان المعنى : أي ضرب يضرب خالد أخاه ضرباً موجعاً ، إلا إذا فرعنا الى التقدير فنقدر فعلاً محذوفاً فيكون تقدير الكلام : الا ترى كيف يضرب خالد أخاه يضربه ضرباً موجعاً .
هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى اننا لو ابدلنا المصدر بـ (كيف) لم نجده يطابق المعنى المقصود . فقوله تعالى ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ لا يطابق ، (انظر أي افتراء يفترون على الله الكذب) فالقول الاول تعجب من حالهم ، ومعناه انظر كيفية افتراءهم في حين يكون معنى القول الثاني : انظر نوع الافتراء الذي يفترونه . فهو تعجب من نوع الفعل لا من كيفيته .

وقوله تعالى : ﴿وكيف اخاف ما اشركتم﴾ لا يطابق (أي خوف اخاف ما اشركتم) فالاول استبعاد هذه الحال عن نفسه ، واما الآخر فهو سؤال عن نوع الخوف الذي يخافه أهو خوف شديد ام قليل أم غير ذلك . وقد تقول : هذا استبعاد ايضاً ، والجواب نعم هو استبعاد لكنه استبعاد لنوع الخوف لا لحالة الخوف .

وقوله تعالى : ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا — آل عمران ٨٦﴾ لا يطابق (أي هدى يهدي الله قوماً كفروا) فالاول استبعاد هذه الحالة واما الثاني فهو سؤال عن

نوع الهدى . واذا قيل هو استبعاد ايضاً فالجواب : نعم هو استبعاد ولكن ثمة فرق بين الاستبعادين ، فالاول استبعاد لهذه الحالة واما الثاني فهو استبعاد لانواع الهدى .

وقوله تعالى ﴿ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ لا يطابق (ألم ترأي فعل فعل ربك) فالاول تعجب من الحال التي فعلها ربنا ، تعجب من الكيفية التي فعلها ربنا ، واما الثاني فهو سؤال عن نوع الفعل الذي فعله . وقد يكون معناه تعجباً غير أنه تعجب من نوع الفعل لا من كيفية الفعل وحالته .

ونحوه أن تقول (كيف اعطيك وسلاحك عليّ ؟) فهو لا يطابق (أيّ عطاء اعطيك وسلاحك عليّ) فالاول استنكار لهذه الحال أو تعجب منها أو استبعاد لها . واما الثاني فهو استفهام عن نوع العطاء ، واذا كان استبعاداً فهو استبعاد لانواع العطاء الذي يعطى له .

والذي قارب بين الاداتين ههنا هو خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي الى اغراض أخرى كالتعجب والاستنكار وغيرها فتبدو الاداتان متقاربتين والحقيقة هي اقتراب الاغراض ، فالتعجب بالهمزة قريب من التعجب بغيرها ، فقول المرأة : (أألد وأنا عجوز عقيم) يقارب القول (كيف ألد وأنا عجوز عقيم) ولكن الهمزة غير (كيف) ، وقولك : (أتكفر بالله وقد خلقتك) قريب من قولك (كيف تكفر بالله وقد خلقتك) وهكذا مع ان لكل اداة معناها واستعمالها .

ولو كان الاستفهام في نحو هذا حقيقياً وقدر لك أن تجيب عن كل سؤال لاختلف الجواب مع (كيف) ومع (أيّ) فلو سألت حقيقة (كيف يفترون على الله الكذب ؟) لاحتمل أن يكون الجواب : يفترونه مزينين هذا الكذب . أو يفترونه جاعليه في صورة الصدق . أو تقول : يلون السنتهم بالحديث ليحسبه السامع صدقاً وما الى ذلك .

ولو سألت (أيّ افتراء يفترون على الله الكذب ؟) لاحتمل ان يكون الجواب : انهم يفترون افتراء كبيراً ، أو افتراء بيتنا ، أو افتراء البائع لدينه بضمن بنحس ، أو افتراء المكذبين بيوم الدين وما الى ذلك .

فالجواب يختلف مع (كيف) و (أَيَّ).
وهذا يبدو أن رأي الجمهور أقرب الى الصواب والله اعلم.
وقد تخرج (كيف) عن الاستفهام الحقيقي الى اغراض اخرى منها :

- ١ - التعجب نحو قوله تعالى : ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم — البقرة ٢٨﴾ وقوله ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب — النساء ٥٠﴾.
 - ٢ - التوبيخ نحو قوله تعالى : ﴿مالكم كيف تحكمون — القلم ٣٦﴾ . ونحو قولك لمن ضرب اخاه (كيف تضرب اخاك الاكبر؟).
 - ٣ - النفي ، نحو قوله تعالى : ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم — آل عمران ٨٦﴾ والمعنى : لا يهدي الله قوماً كفروا . وقوله : ﴿وكيف اخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله — الانعام ٨١﴾ ومعناه : لا اخاف ما أشركتم .
 - ٤ - التحذير كقوله تعالى : ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين — آل عمران ١٣٧﴾.
 - ٥ - النهي كقوله تعالى : ﴿وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض — النساء ٢١﴾ أي : لا تأخذوه ، وقد يكون هذا تنقيحاً .
 - ٦ - التنبيه كقوله تعالى : ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض — الاسراء ٢١﴾.
 - ٧ - التهكم كقوله تعالى : ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبياً — مريم ٢٩﴾.
 - ٨ - الاستبعاد كقوله تعالى ﴿كيف يكون للمشركين عهد — التوبة ٧﴾ . وقوله ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً — الكهف ٦٨﴾.
 - ٩ - التعظيم والتهويل كقوله تعالى : ﴿فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً — النساء ٤١﴾ (٣٥) .
- الى غير ذلك من المعاني .

(٣٥) انظر لبعض هذه المعاني : البرهان ٤/ ٣٣٠-٣٣٨ .

وغني عن البيان ان هذه المعاني التي تخرج اليها (كيف) مشوبة بالاستفهام وليست نفيًا خالصاً أو نهيًا خالصاً كما سبق تقرير ذلك.

١٠ - ما

تكون للسؤال عن ذوات مالا يعقل واجناسه وصفاته وللسؤال عن صفة من يعقل (٣٦). فن الاول قولك (ماعندك؟) فيقال : كتاب . وتقول : ما في الدار؟ فيقال : ثعبان ، أو فرس . وتقول : (مالونه؟) فيقال : اسود . قال تعالى : ﴿وما تلك بيمينك يا موسى — طه ١٧﴾ . وقال : ﴿ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها — البقرة ١٤٢﴾ . وتكون لصفات من يعقل كأن تقول : (مامحمد؟) فيقال : كاتب أو شاعر.

جاء في (شرح ابن يعيش) : " فإذا قلت : ما في الدار؟ فجوابه : ثوب أو فرس ونحو ذلك مما لا يعقل . وإذا قلت : ما زيد؟ فجوابه : طويل أو اسود أو سمين فتقع على صفاته " (٣٧).

وللسؤال عن حقيقة الشيء قال تعالى : ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن — الفرقان ٦٠﴾ . وقال : ﴿قال فرعون وما رب العالمين — الشعراء ٢٣﴾ فهذا سؤال عن حقيقته سبحانه .

وإذا جُرّت حذف الفها (٣٨) ، قال تعالى : ﴿فيم أنت من ذكراها — النازعات ٤٣﴾ ، وقال : ﴿لم تقولون مالا تفعلون — الصف ٢﴾ وقال : ﴿عم يتساءلون — النبأ ١﴾ .

وقد تخرج (ما) عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى منها :

(٣٦) انظر المتنضب ٥٢/٢ ، البرهان ٤٠٢/٤ ، شرح ابن يعيش ٥/٤ .
(٣٧) شرح ابن يعيش ج ٥/٤ ، الكليات لابي البقاء ٣٣٦ ، حاشية التصريح ١٧٦/١ .
(٣٨) انظر المغني ٢٩٨/١ ، شرح ابن يعيش ٨/٤ .

١ - التعظيم والتفخيم كقوله تعالى : ﴿الحاقة ما الحاقة — الحاقة ١ ، ٢﴾ . وكقوله : ﴿واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين — الواقعة ٢٧﴾ ، ونحو قولك (محمد ما محمد؟) .

جاء في (الكشاف) : ” ونحوه (ما) في قولك (زيد ما زيد) جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول : ما الغول وما العنقاء ؟ تريد أي شيء هو من الاشياء ؟ هذا اصله ثم جرد للتفخيم “ (٣٩) .

٢ - التحقير نحو (ما أنت والشعر) و (ما أنت والمجد) قال الشاعر :
ما أنت ويب أيبك والفخر (٤٠) .

٣ - الحث نحو قوله تعالى ﴿ومالكم لا تقتلون في سبيل الله — النساء ٧٥﴾ .

٤ - الانكار نحو قوله تعالى ﴿ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها — البقرة ١٤٢﴾ .

٥ - الالتزام نحو قوله تعالى : ﴿قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين — البقرة ٩١﴾ .

٦ - الاستبعاد نحو قوله تعالى : ﴿ولئن اخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسهم — هود ٨﴾ ونحو قوله ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم — النساء ١٤٧﴾ .

وغير ذلك من المعاني .

ماذا

تأتي في العربية على أوجه :

احدها : أن تكون (ما) استفهامية و (ذا) اسم اشارة نحو (ماذا؟) أي : (ما هذا؟) ونحو (ماذا السكوت؟) و (ماذا التواني؟) والمعنى : ما هذا السكوت؟ وما هذا التواني؟

(٣٩) الكشاف ٣/ ٣٠٤ وانظر حاشية التصريح ١/ ١٦٥ ، التصريح ١/ ١٦٦ .

(٤٠) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٥٩ .

الثاني : أن تكون (ما) استفهامية و (ذا) موصولة بمعنى الذي نحو (ماذا فعلت؟) أي : ما الذي فعلت ؟ وكقول لييد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل
أي : ما الذي يحاول . ف (ما) مبتدأ بدليل إبداله المرفوع (نحب) منها . و (ذا) !
موصول بدليل افتقاره الى الجملة . ولو كانت (ماذا) اسماً واحداً لكانت مفعولاً مقديما
للفعل (يحاول) ولأبدل منها النصب .

الثالث : أن تكون (ماذا) كلها كلمة واحدة مركبة تفيد الاستفهام^(٤١) كقولك
(ماذا أكلت أفاكهة أم لحمًا؟) ف (ماذا) ههنا كلمة واحدة وهي مفعول به مقدم
بدليل الابدال منها بالنصب .

فتبين من هذا أنك إذا قلت (ماذا صنعت؟) احتمل أن تكون (ماذا) مركبة
من كلمتين : (ما) الاستفهامية و (ذا) الموصولة والمعنى : ما الذي صنعت؟
واحتمل أن تكون (ماذا) كلها كلمة مركبة واحدة والمعنى : ما صنعت؟

فإذا جعلتها اسمين أبدلت من (ما) بالرفع فتقول (ماذا صنعت أخاتم أم سواراً؟)
وذلك لان (ما) مبتدأ محله الرفع و (ذا) خبره والبدل من المرفوع مرفوع .

وإن جعلتها اسماً واحداً أبدلت بالنصب فقلت (ماذا صنعت أخاتم أم سواراً؟)
وذلك لان (ماذا) مفعول به مقدم محله النصب والبدل من المنصوب منصوب .

وجوابها مختلف أيضاً ، فالاصل في جواب الاولى أن يكون : الذي صنعته
سواراً . وجواب الثانية أعني المركبة (صنعت سواراً) وكذلك إذا قلت (ماذا تفقد؟)
على غير معنى التركيب فإن جوابه (الذي أفقده كتاب) لان معنى السؤال : ما
الشيء الذي تفقده؟

(٤١) انظر المغني ١ / ٣٠٠ - ٣٠١ ، الاشموني ١ / ١٥٩ ، التصريح ١ / ١٣٨ .

وعلى معنى التركيب : (أفقد كتاباً) لان المعنى : أي شيء تفقد ؟ فهنا عبارتان مختلفتان .

وهنا يبرز سؤال وهو : ما الفرق في المعنى بين (ماذا) و (ما) ؟ ما الفرق مثلاً بين قولك (ماذا فعلت ؟) و (ما فعلت ؟) .
الذي يبدو أن الفرق بينها من ناحيتين :

الاولى : إن (ذا) تفيد التنصيص على الاستفهام فيما يحتمل الاستفهام وغيره ، ذلك كقوله تعالى ﴿فأروني ماذا خلق الذين من دونه - لقمان ١١﴾ فإن (ذا) أفادت التنصيص على الاستفهام ولو حذفت لاحتل المعنى الاستفهام والموصولية أي فأروني الذي خلقه الذين من دونه . ألا ترى أنك إذا قلت ؛ (أنا أعلم ماتريد) يحتمل الخبر والاستفهام ولو قلت (ماذا) أفادك الاستفهام نصاً ؟
الناحية الثانية : إن في (ماذا) قوة ومبالغة في الاستفهام ليست في (ما) . ففي قولنا (ماذا فعلت ؟) قوة ليست في (ما فعلت ؟) ولعل ذلك يعود الى زيادة حروفها .

قال تعالى : ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ فجاء بـ (ماذا) ، وهذا يدل على المبالغة في الاستفهام ولذلك - والله أعلم - كرر السؤال مرتين فقال : ﴿يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل - البقرة ٢١٥﴾ ثم قال : ﴿ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون - البقرة ٢١٩﴾ فرة أجاب عن السؤال ببيان أوجه الانفاق المشروعة ومرة أجاب عنه بنوع المال الذي يُنفق فكرر السؤال مرتين وأجاب عنه مرتين لاهمية السؤال ، ولذا جاء به بـ (ماذا) بدل (ما) .

ونحوه قوله تعالى على لسان فرعون بعد أن عجز عن مواجهة موسى (ع) بالحجة فقال : ﴿إن هذا لساحرٌ عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا تأمرون - الشعراء ٣٤ ، ٣٥﴾ فجاء بـ (ماذا) للدلالة على المبالغة في الاستفهام ، وذلك لان الموقف يتطلب جواباً يخلصه من مواجهة موسى وتحديه فإن موسى يهدّ الوهية فرعون وتجبره ، بخلاف قوله تعالى مثلاً ﴿قالوا يا أبانا ما نبغي ؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا - يوسف ٦٥﴾ ، فجاء بـ (ما) دون (ماذا) لان الموقف لا يتطلب ذاك .

ولذا يؤتى بماذا في مواقف التحدي والقوة . قال تعالى ﴿ قل أرأيتم شركاءكم الذي تدعون من دون الله أرؤني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إنَّ يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً - فاطر ٤٠ ﴾ فهو يتحدى المشركين تحدياً لا يمكنهم الإفلات منه فيقول لهم : هؤلاء شركاؤكم أرؤني ماذا خلقوا من الأرض ؟ اذكروا لي شيئاً خلقوه وإن هان وحقر . فجاء بـ (ماذا) في التحدي وهو أبلغ وأقوى من (ما) وحدها يدل على ذلك السياق .

ويوضح ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة الصافات على لسان إبراهيم (ع) : ﴿ إذ قال لآبيه وقومه ما تعبدون ؟ أإنكأ آلهة دون الله تريدون - الصافات ٨٣ - ٨٧ ﴾ .

وقوله في سورة الشعراء : ﴿ قال لآبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين - الشعراء ٦٩ - ٧١ ﴾ .

فجاء في الأولى بـ (ماذا) : (ماذا تعبدون) وفي الثانية بما (ما تعبدون) وذلك لأن الأولى موقف تحدّ ظاهر ومجابهة قوية بخلاف الثانية ، يدل على ذلك السياق ، فإن المقام في الأولى ليس مقام استفهام وإنما هو مقام تقرّيع ولذلك لم يجيؤه عن سؤاله بل مضى يقرعهم بقوله ﴿ أإنكأ آلهة دون الله تريدون ﴾ .

وأما في الثانية فهو مقام استفهام الحاجة إذ قال لهم : ﴿ ما تعبدون ؟ ﴾ فأجابوه : ﴿ نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين ﴾ .

فسألهم : ﴿ هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون - ٧٢ ، ٧٣ ﴾ . فأجابوه قائلين : ﴿ بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون - ٧٤ ﴾ .

فأنت ترى أن المقام مقام حاجة بخلاف الأولى فإنه مقام تحدّ وتقرّيع ومجابهة ، ويوضح ذلك نهاية السياقين .

ففي آية الشعراء قال : ﴿ أفأرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدول في الآ رب العالمين - ٧٥ وما بعدها ﴾ .

وأما في آية الصافات فانتهى السياق بتحطيم الاصنام وتحريقه بالنار: ﴿فراغ الى آلهتهم فقال: ألا تأكلون؟ ما لكم لا تنطقون. فراغ عليهم ضرباً باليمين... قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم - ٩١ وما بعدها﴾.

فثمة فرق كبير بين النهايتين وبين السياقين فجاء في مقام المجابهة وشدة التحدي بـ (ماذا) دون المقام الآخر الذي جاء فيه بـ (ما).

جاء في (درة التنزيل) في هاتين الآيتين: "للسائل أن يسأل عن زيادة (ذا) في قوله في (الصافات) (ماذا تعبدون) وإخلاء (ما) في (الشعراء) منها.

والجواب أن يقال: ان قوله (ما تعبدون) معناه أي شيء تعبدون؟ وقوله (ماذا) في كلام العرب على وجهين:

أحدهما أن تكون (ما) وحدها اسماً و (ذا) بمعنى (الذي)، والمعنى: ما الذي تعبدون. و (تعبدون) صلة لها.

والآخر: أن تكون (ما) مع (ذا) اسماً واحداً بمعنى (أي شيء). وهو في الحالين أبلغ من (ما) وحدها إذا قيل: ما تفعل؟

فما تعبدون في سورة الشعراء اخبار عن تنبيههم لهم لانهم أجروا مقاله مجرى مقال المستفهم فأجابوه وقالوا (نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين). فبه ثانياً بقول (هل يسمعونكم إذ تدعون).

وأما (ماذا تعبدون) في سورة الصافات فإنها تقرير وهو حال بعد التنبيه. ولعلمهم بأنه يقصد توبيخهم وتبكيته لم يجيبوا كاجابتهم في الاول. ثم أضاف تبكيته الى تبكيته ولم يستدع منهم جواباً فقال ﴿إفكاً آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين﴾.

فلما قصد في الاول التنبيه كانت (ما) كافية. ولا بالغ وقرع استعمال اللفظ الابغ وهو (ماذا) التي ان جعلت (ذا) منها بمعنى (الذي) فهو أبلغ من (ما) وحدها، وإن جعلاً اسماً كان أيضاً أبلغ وأكد مما إذا خلت من (ذا) " (٤٢).

(٤٢) درة التنزيل ٣٣٠ - ٣٣١.

١١ - متى

للسؤال عن الزمان نحو (متى السفر؟). وقد يخرج عن الاستفهام الحقيقي الى معان أخرى كالاستبطاء نحو قولك (متى يؤوب أبي) مستبطاً عودته. والاستبعاد نحو قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ - يونس ٤٨ ﴿ وغير ذلك من المعاني.

١٢ - من

للسؤال عن يعقل نحو: (من حضر؟) فتقول: خالد. قال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾ - النساء ١٢٢ ﴿ وقال ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ - البقرة ١٣٠ ﴿.

وقد تخرج (من) عن الاستفهام الحقيقي الى أغراض أخرى.
كالنفي نحو قوله تعالى ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ - آل عمران ١٣٥ ﴿ (٤٣).
والدهشة والتعجب نحو قوله تعالى ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ - يس ٥٢ ﴿.
والإلزام نحو ﴿من خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء﴾.

والتشويق والترغيب نحو ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ - البقرة ٢٤٥ ﴿.
الى غير ذلك من المعاني.

وقد تلحقها (ذا) كما مر في (ما) فتكون (من) اسم استفهام و(ذا) اسم إشارة وذلك نحو (من ذا؟) و(من ذا واقفاً؟).
وقد تكون اسماً موصولاً نحو (من ذا أكرمت أم خالداً؟).

وقد تكون كلمة واحدة مركبة بمعنى (من) نحو (من ذا أكرمت أم خالداً؟).

ويحتمل هذا المعنى قوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ - البقرة ٢٤٥ ﴿، ويحتمل أيضاً أن تكون (من) استفهاماً و(ذا) اسم إشارة بمعنى (من هذا

(٤٣) انظر المغني ١ / ٣٢٧.

الذي يقرض الله) كما في قوله تعالى ﴿أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرِكُمْ -
الملك ٢٠﴾ (٤٤).

ويبدو أنه إذا قرن اسم الإشارة بـ (ها) التنبيه كان أكد وأقوى وذلك لأن فيه
زيادة تنبيه ، فقولك (من هذا الذي فعل؟) أكد وأقوى من قولك (من ذا الذي
فعل؟) وذلك أن السائل في العبارة الأولى كأنه يجتهد في الاستخفاف بالفاعل نحو أن
تقول (من هذا الذي يستطيع أن يرد علي؟) أو تعظيمه كأن تقول (من هذا الذي
اقتحم النار وأنقذ الطفل؟).

ويدل على ذلك الاستعمال القرآني أيضاً. قال تعالى ﴿وإن يخذلكم فخذلكم فن ذا الذي
ينصركم من بعده - آل عمران ١٦٠﴾ وقال ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه -
البقرة ٢٥٥﴾ فلم يجز بـ (ها) التنبيه.

وقال : ﴿أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرِكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ
الْأَفْ فِي غُرُورٍ. أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عِتْوٍ وَنُفُورٍ - الملك
٢٠ ، ٢١﴾ فجاء بـ (ها) التنبيه . وسبب ذلك - والله أعلم - أن التحدي في
الآيتين الأخيرتين أشد وأقوى وهو واضح من السياق . فالآية الأولى خطاب للمؤمنين .
قال تعالى : ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من
حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله
يحب المتوكلين . إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فخذلكم فن ذا الذي ينصركم
من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون - آل عمران ١٥٩ - ١٦٠﴾ .

والثانية في الكلام على الكافرين في سياق التخويف من قدرة الله وبطشه :
﴿أَأَمْنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمْنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ
أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ . وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرٍ... أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرِكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ
الْأَفْ فِي غُرُورٍ - الملك ١٦ - ٢١﴾ .

(٤٤) أنظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٦٥ ، المغني ١ / ٣٢٧ .

فالسباق والجو مختلف في الآيتين فالأولى مقام رحمة ومسح على جراح المؤمنين ومقام عفو ومغفرة بعد معركة أحد. وأما الثانية فمقام ترهيب وإنذار وتخويف وتحذير فجاء بـ (ها) التنبيه زيادة في التحذير والتنبيه وهو ما يقتضيه المقام.

وأما الفرق بين (من) و (من ذا) فإنه نظير الفرق بين (ما) و (ماذا) فلا داعي لتكرار القول فيه.

مما تقدم يتبين أن مراحل التعبير من حيث قوته وتوكيده تتدرج كما يأتي :

من فعل ؟

من ذا فعل ؟

من ذا الذي فعل ؟

من هذا الذي فعل ؟

تقديم المستفهم عنه

مرّبنا هذا في مواضع عدة في باب المبتدأ والخبر والمفعول به وغيرها ، وذلك أنك تقول ؛ أضربت محمداً ؟ أنت ضربت محمداً ؟ و (أحضر محمد) و (أحمد حضر) ونحو ذلك . ولا نريد أن نعيد الكلام على ذلك بصورة موسعة بل سنوجز القول فيه .

١ - تقديم الفعل : إذا قدمت الفعل كنت مستفهماً عن أصل الحدث فإذا قلت : أحضر محمد ؟ كنت مستفهماً عن حضور محمد ، وكذا إذا قلت : (أجاءك رجل ؟) كنت مستفهماً عن مجيئ أحد من الرجال إليه .

٢ - تقديم المسند إليه على الفعل : فإذا قلت (أحمد حضر) كنت تعلم أن شخصاً ما حضر ولكنك تسأل أهو محمد ؟ فالفرق بين قولنا : (أحضر محمد) و (أحمد حضر) إنما في الأولى نسأل عن حضور محمد وليس في التعبير دلالة على أننا نعلم أن أحداً حضر. وأما في الثانية فإننا نعلم أن شخصاً ما حضر ولكننا لانعلم من هو.

وكذا قولك : (أجاءك رجل ؟) و (أرجل جاءك ؟) ففي الاولى أنت تسأل "هل كان مجيء أحد من الرجال اليه ، فإن قدمت الاسم فقلت : أرجل جاءك ؟ فأنت تسأل عن جنس من جاءه : أرجل هو أم امرأة ؟ ويكون هذا منك إذا علمت أنه قد آتاه آتٍ ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي" (٤٥).

ومن هذا قوله تعالى : ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهْتَنَا يَا إِبْرَاهِيمَ - الانبياء ٦٢﴾ فهم لا يسألونه عن وقوع الفعل لانهم يعلمون أن الفعل وقع وقد شاهدوه ولكنهم يسألونه عن الفاعل.

جاء في (دلائل الاعجاز) : "وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه . ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة . فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : أفعلت ؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده . وإذا قلت : أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو ؟ وكان التردد فيه . ومثال ذلك أنك تقول : أبنييت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله ؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟

تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لان السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ، لانك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه مجوز أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن .

وتقول : أأنت بنيت هذا الدار ؟ أأنت قلت هذا الشعر ؟ أأنت كتبت هذا الكتاب ؟ فتبدأ في ذلك كله بالاسم . ذلك لانك لم تشك في الفعل انه كان كيف وقد أشرت الى الدار مبنية والشعر مقولا والكتاب مكتوباً ؟ وإنما شككت في الفاعل من هو ؟ فهذا من الفرق لا يدفعه دافع ولا يشك فيه شاك ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر" (٤٦).

(٤٥) دلائل الاعجاز ١٠٩ .

(٤٦) دلائل الاعجاز ٨٧ .

٣- تقديم المفعول به : وذلك نحو (أحمدًا أكرمت؟) فالسائل يعلم أن المخاطب أكرم شخصاً فهو يسأل : أهو محمد؟ بخلاف ما لو قال : أأكرمت محمدًا؟ فإنه يسأل عن أصل الاكرام ، وليس فيه دلالة على أن السائل يعلم أنه وقع إكرام أم لا .

٤- تقديم الظرف والجار والمجرور : وحكمها حكم المنصوب فإذا قيل : (أيوم الجمعة سافر خالد؟) فالسائل يعلم أن خالدًا سافر ولكنه يسأل أذلك كان يوم الجمعة بخلاف ما لو قال : (أسافر خالد يوم الجمعة) ، فإنه لا يفيد ذاك بل هو يسأل عن خالد أسافر يوم الجمعة أم لم يسافر.

ونحوه : (أقبض على محمد في دارك؟) و(أني دارك قبض على محمد؟) و(أإلى الموصل سافرت؟) و(أسافرت إلى الموصل؟) ففي الجملة الاولى يعلم السائل أن المخاطب سافر ولكنه يسأله عن جهة سفره أهى الموصل . واما في الثانية فإنه يسأله عما إذا سافر الى الموصل أم لا .
وقس ما لم يذكر من القيود على ما ذكرت كالحال ونحوها .

الجواب

جواب الهمزة :

يكون جواب الهمزة وحدها اذا كان السؤال مثبتاً بـ (نعم) أو (لا) نحو: أحضر محمد؟ فيجواب: نعم قد حضر محمد^(١)، أو لا لما يحضر محمد.

وكذلك اذا كانت مع (أو) نحو (أحمد عندك أو خالد؟) فجوابه في الاثبات: نعم عندي محمد، أو نعم عندي خالد، أو لا ليس عندي واحد منها. وتجاب مع (أم) المعادلة بالتعيين نحو (أحمد عندك أم خالد؟) والجواب: عندي محمد، أو عندي خالد.

وتجاب الهمزة اذا كان السؤال منفياً بـ (بلى) في الايجاب و (لا) في النفي نحو قوله تعالى: ﴿ألم يأتكم نذير؟﴾ قالوا بلى قد جاءنا نذير- الملك ٨، ٩ ﴿و﴾ أأستبريكم؟ قالوا بلى - الاعراف ١٧٢ ﴿والنفي نحو ألم يحضر محمد؟ والجواب: لا لم يحضر محمد. واذا قلت: نعم، فعناه اقرار بالنفي. والمعنى: نعم لم يحضر محمد، ولذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى: ﴿أأستبريكم؟﴾ قالوا بلى: ﴿لو قالوا نعم لكفروا﴾^(٢).

جواب هل :

ويكون جواب (هل) بـ (نعم) أو (لا). يقال (هل حضر محمد؟) فتقول في الايجاب: نعم حضر محمد، وفي النفي: لا لم يحضر محمد^(٣). قال تعالى: ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟﴾ قالوا نعم - الاعراف ٤٤.

(١) أنظر كتاب سيبويه ٤٥٨/١ - ٤٥٩.

(٢) انظر المغني ١١٣/١، شرح الرضي على الكافية ٤٢٤/٢.

(٣) أنظر كتاب سيبويه ٤٥٨/١.

الاولين) ولا يصح أن يكون بالنصب لانه ليس على معنى (انزل اساطير الاولين) وذلك انهم لا يقرّون بانزال الله القرآن وإنما المعنى : هذا الكلام هو أساطير الاولين.

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "فقوله تعالى (أساطير الاولين) ليس جواب لقوله للكفار: ماذا أنزل ربكم ، إذ لو كان جواباً له لكان المعنى : هو اساطير الاولين ، أي الذي أنزله ربنا اساطير الاولين. والكفار لا يقرّون بالانزال فهو اذن كلام مستأنف أي ليس ما تدعون انزاله منزلاً بل هو أساطير الاولين...

فقوله تعالى ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ أي انزل خيراً وإنما الزم ههنا النصب ليكون مخالفاً لجواب الكفار ، لان النصب تصريح بكون (أنزل) مقدراً والرفع يحتمل استئناف الكلام كما ذكرنا في (أساطير الاولين) ، ويحتمل تقدير الموصول المذكور في السؤال مبتدأ^(٥).

وهكذا بقية اسماء الاستفهام فجواب (متى) تعيين الزمان ، وجواب كم تعيين العدد و (كيف) للسؤال عن الحال وهكذا.

حروف الجواب

نعم :

حرف تصديق ووعد واعلام.

فالتصديق يكون بعد الخبر نحو (قد زارك محمد) فتقول : نعم . او (ما زارك محمد) فتقول : نعم. مصدقاً قوله اثباتاً او نفياً.

والوعد يكون بعد الامر والنهي وما في معناهما نحو (زرنا قريباً) أو (لا تخبره بما حدث) فتقول : نعم. واعدأ بأنك ستنجز طلبه.

قال سيويه : "وأما نعم فعدة وتصديق ، تقول : قد كان كذا وكذا ، فيقول : نعم^(٦) .

(٥) شرح الرضي على الكافية ٦٥/٢ - ٦٦.

(٦) كتاب سيويه ٣١٢/٢.

والاعلام يكون بعد الاستفهام نحو (أحضر خالد؟) فتقول له : (نعم) (٧).

بلى :

مختصة بإبطال النبي سواء كان خبراً أم استفهاماً فهي تنقض النبي المتقدم على أية حال . فمن رتوعها بعد الخبر قولك (لم يترك خالد) فتقول : (بلى) . قال تعالى : ﴿وَزَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ - التَّغَابُن ٧﴾ ، وقال : ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ - النحل ٢٨﴾ .

ومن وقوعها بعد الاستفهام قوله تعالى : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَىٰ - الاعراف ١٧٢﴾ وقوله : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ - الملك ٨ ، ٩﴾ (٨) . ومن هنا يتبين أن (بلى) لاتقع إلا بعد النبي .

أجل :

حرف جواب يقع بعد الخبر كثيراً فيكون تصديقاً له نحو (زارك خالد) أو (لم يترك خالد) فتقول : أجل . أي تصديق قوله إذا كان اثباتاً أو نفياً . وذهب قوم من النحاة الى أنها مختصة بالخبر فلا تقع بعد الاستفهام أو الامر أو غيرهما .

وقيل : بل وقوعها بعد الخبر أكثر .
وقيل : هي بعد الخبر أحسن من (نعم) . و(نعم) بعد الاستفهام أحسن منها .
وقيل : هي مثل نعم تكون تصديقاً للخبر ووعداً وإعلاماً للمستخبر (٩) . والظاهر ان الكثير وقوعها بعد الخبر .

(٧) انظر المغني ٣٤٥/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٤٢٢/٢ - ٤٢٣ ، الفصل ٢٠٣/٢ .

(٨) المغني ٧٦/١ ، الممع ٧١/٢ ، الفصل ٢٠٣/٢ .

(٩) انظر الفصل ٢٠٣/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٤٢٥/٢ ، المغني ٢٠/١ ، الممع ٧١/٢ ، كليات أبي البقاء ٣٦٤ .

إِنَّ

حرف جواب بمعنى (نعم) قال الشاعر:

بكر العواذل في الصبا ح يلمنني والومهنة
ويقلن شيب قد علا لك وقد كبرت فقلت : إِنَّهُ

أَي (نعم) .

وقال ابن الزبير لمن قال له : لعن الله ناقة حملتني إليك : "إِنَّ وراكبها" أَي نعم
ولعن راكبها^(١٠) .

قال سيبويه : "وأما قول العرب في الجواب (إِنَّهُ) فهو بمنزلة أَجل . وإذا وصلت
قلت : إِنَّ يافتي وهي التي بمنزلة أَجل^(١١) " .
وهي قليلة الاستعمال .

قال برجشتراسر : هي أقدم أدوات الإيجاب وهي في العبرية hén وفي الآرامية
ēn^(١٢) .

إِي :

بكسر الهمزة وسكون الباء وهي مثل (نعم) غير أنها لاتقع إلا قبل القسم فتكون
تصديقاً للمخبر ووعداً للطالب واعلاماً للمستفهم يقال : قد زارك ابراهيم فتقول :
إِي والله .

ويقال : زرنا كثيراً . فتقول : إِي لعمري .

ويقال : هل جاء محمد؟ فتقول : إِي وربّي .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِثُونَ أَهْلَهُ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ - يونس ٥٣ ﴾ .

(١٠) المغني ٧٦/١ ، المعجم ٧١/٢ ، المفصل ٢٠٣/٢ .

(١١) كتاب سيبويه ٤٧٤/١ .

(١٢) التطور النحوي ١١٠ .

فالفارق بينها وبين (نعم) ان (إي) لا تكون إلا قبل القسم ، و(نعم) تكون مع القسم وغيره (١٣).
قال برجشتراسر: و (إي) من الاصوات (١٤).

جلل :

حرف بمعنى نعم . واسم بمعنى عظيم أو يسير (١٥).

جبر :

بفتح الجيم وكسر الراء ، وقد تفتح قليلاً . حرف ايجاب بمعنى : (أجل) و(نعم) وهو أكثر ما يستعمل مع القسم (١٦).
وقيل : هي كلمة تحلف بها العرب فتقول : جبر لأفعلن (١٧).
وجاء في (شرح الرضي على الكافية) انها تقوم مقام الجملة القسمية (١٨). ويبدو أن فيها تأكيداً ولذا قامت مقام جملة القسم والله أعلم.

(١٣) المغني ١/٧٦ ، المعجم ٢/٧١ ، الفصل ٢/٢٠٣ .

(١٤) التطور النحوي ١١٠ .

(١٥) المغني ١/١٢٠ .

(١٦) شرح ابن يعيش ٨/١٢٤ ، المغني ١/١٢٠ .

(١٧) الجمل للزجاجي ٢٦٣ .

(١٨) شرح الرضي على الكافية ٢/٣٨٧ .

التعجب

التعجب له عبارات كثيرة في العربية غير منحصرة ، والنحاة يقسمونه على قسمين :

١ - التعجب غير الميَّوب له عند النحاة مثل قولهم (سبحان الله) .
وفي الحديث (سبحان الله المؤمن لا ينجس) ، و (لله دره) و (ويلمه مسعر حرب) و ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم - البقرة ٢٨ ﴾ و (مارأيت كالיום رجلاً) و (أي رجل هو؟) و (قاتله الله من شاعر) و (ناهيك به رجلاً) وما الى ذلك .

وانما لم ييَّوب له لان هذه التعبيرات لاتدل على التعجب وضعاً ، بل بالقرينة (١٩) .

٢ - التعجب الميَّوب له وهو عند النحاة صيغتان : ماأفعله وأفعل به . وقد ييَّوب لها النحاة لانها يطردان في كل معنى يصح التعجب منه (٢٠) .

فهاتان الصيغتان هما للتعجب وضعاً وأما غيرهما فهو في الاصل لغير التعجب ثم نقل الى التعجب .

والتعجب في الحقيقة له أكثر من هاتين الصيغتين المطردتين . ويمكن أن نقسم عباراته على أقسام أشهرها :

١ - ماأفعله

وهو أن تأتي بـ (ما) التي تفيد التعجب ثم بـ (أفعل) المفتوحة الآخر وبعدها الاسم المتعجب منه منصوباً نحو (ماأعذب الماء) وكقوله تعالى : ﴿ فإصبرهم على النار - البقرة ١٧٥ ﴾ . وقوله : ﴿ قُتِلَ الانسان ماأكفره - عبس ١٧ ﴾ .

(١٩) التصريح ٨٦/٢ المجمع ٩٢/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٣٤٠/٢ .

(٢٠) شرح ابن الناظم ١٨٦ .

والنحاة يحللون (ما افعل) هذا الى اصول متعددة بعيدة في جملتها عن معنى التعجب فأكثرهم يجعل (ما) اسما بمعنى (شيء) و (افعل) فعلا ماضيا والمتعجب منه مفعوله . وتقدير الكلام في (ما احسن عبد الله) شيء أحسن عبد الله (٢١) ، أي شيء جعل عبد الله حسنا ، ثم نقل الى معنى التعجب وانمحي ٥ - معنى الجعل (٢٢) .

وقال آخرون : ان (ما) موصولة والجملة بعدها صلتها والخبر محذوف أي : الذين أحسن عبد الله موجود .

وقال آخرون : (ما) استفهامية وما بعدها خبرها (٢٣) .

والاقرب الى الصواب ان يقال : ان هذه عبارة تفيد التعجب . والتعجب معلوم . ثم ان التعجب انفعال قديم في نفس البشر والاظهرا انه وضعت له صيغته ابتداء لان الانسان محتاج الى التعبير عنه قبل كثير من التعبيرات ، ولا داعي للدخول في تحليلات تفسد المعنى والدوق .

ولعل الذي الجأهم الى هذا هو الاعراب ، فالنحاة يرون ضرورة اعراب كل تعبير ولو الجأهم الى مسخ التعبير وافساده .

(٢١) كتاب سيويه ١ / ٣٧ .

(٢٢) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٤١ .

(٢٣) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٤١ .

ونحن نرى انه لا داعي لاعراب كل تعبير فهناك تعبيرات لا داعي لاعرابها بل
يكتفى بوصفها وهذا منها . أوعرب على صورة اخرى ليس فيها مثل هذا التمثل^(٢٤) .

أفعل التعجب :

يصاغ افعل التعجب من كل فعل ثلاثي تام مثبت متصرف مبني للمعلوم قابل
للتفاوت ليس الوصف منه على افعل نحو (ما اسرعه) و (ما اعدله؟) .

واذا اريد التعجب بفعل لا يصح بناؤه على افعل فيؤتى بمصدر ذلك الفعل مسبقا
بـ (أشد) ونحوها فتقول متعجبا من حمرة الورد مثلا (ما اشد حمرة الورد) ومن
(٢٤) امانا اكثر من خيار في اعراب جملة التعجب هذه من دون تأويل مفسد للمعنى ومن هذه
الخيارات :

(١) ما : اداة تعجب .

افعل : متعجب به .

زيدا : متعجب منه .

(٢) ما : حرف تعجب - وقد قلنا بحرفيته لان الاصل في المعاني عند النحاة ان يعبر عنها بالحروف
كالاستفهام والخطاب ، والتعجب عند النحاة معنى حقه ان يؤدي بالحرف وقد قلنا بالاصل تحلصا مما
قد يجره القول باسميتها من التأويلات البعيدة .

افعل : اسم منصوب متعجب به - وهذا الاسم اذا اتصل بياء المتكلم جني بنون الوقاية معه فتقول (ما
افقرني) شأن اسماء الافعال نحو قدني وقطني وعليكني ودراكني .
زيدا - متعجب به منصوب .

× × × × ×

(٣) ما - حرف تعجب

افعل : فعل التعجب مبني على الفتح - وهذا الفعل لا يحتاج الى فاعل شأن افعال الاستثناء نحو جاء
الرجال خلا واحدا ولا داعي لتقدير فاعل لا يقتضيه المعنى ، وقد قال بخلو افعال الاستثناء هذه من
الفاعل قسم من النحاة . ينظر :
المع ١ / ٢٣٢ - ٢٣٣ .

زيدا : متعجب منه

× × × × ×

(٤) ما : اسم تعجب لاجل له من الاعراب - وهذا قال به الكسائي . ونظيره من الاسماء اسماء الافعال وأل
الموصولة وضمير الفصل عند قسم من البصريين وغير ذلك مما ليس له محل من الاعراب من الاسماء .
افعل

زيدا يختار فيها اعراب ما ذكرناه .

انطلاق خالد (ما اسرع انطلاق خالد). وإذا كان الفعل مبنيًا للمجهول أو منفياً فيؤتى بمصدره مؤولاً نحو (ما أجمل أن يكافأ المحللص) (ما أقبح ألاّ أساعده).

ولا شك أن الكلمة التي تسبق المصدر تحدد المقصود بتعجبك فقولك مثلاً (ما أشد حمرة الورد) يختلف عن قولك (ما أجمل حمرة الورد) فالأولى تتعجب فيها من شدة الحمرة، والثانية تتعجب فيها من جمال حمرة. وكذلك قولك (ما اسرع انطلاقك) و (ما أكثر انطلاقك) و (ما أقل انطلاقك) فالتعجب في الأولى يكون من سرعة الانطلاق وفي الثانية من كثرته والأخرى من قلته، فهو ليس بمعنى واحد.

من هذا يتبين أن ما سبق المصدر من فعل تعجب لا يؤدي المعنى المأخوذ من الفعل على صيغة (افعل). يدل ذلك على ذلك أنك قد تسبق الفعل القابل لأن يتعجب منه بما يخص تعجبك فيمكنك مثلاً أن تصوغ من الفعل (مشي) على وزن افعل للتعجب فتقول (ما أمشاه) ويمكن أن تسبق المشي أيضاً بفعل تعجب يخص تعجبك من مشيه فتقول: ما اسرع مشيه! وما أحسن مشيه! وما أبطأ مشيه! فيكون المشي متعجباً منه، يدل ذلك على ذلك أيضاً أن قولك (ما أعدله) لا يماثل في المعنى (ما أشد عدله). وما أحسنه لا يماثل (ما أشد حسنه)، و (ما أمشاه) لا يماثل: ما أشد مشيه.

ومن هذا يتبين أنه لا يمكن أن تؤدي أية صيغة ثانية مؤدى بناء الفعل نفسه للتعجب.

التعجب من أمر ماضٍ :

يؤتى بـ (كان) بين (ما) و (افعل) للدلالة على أن الصفة المتعجب منها كانت في الماضي نحو (ما كان أكرم خالداً) و (ما كان أعلمه بالناس).

جاء في (الكتاب) : "وتقول : (ما كان أحسن زيداً) فتذكر (كان) لتدل أنه فيما مضى" (٢٥).

وحكي (ما أصبح ابردها وما أمسى ادفاها) (٢٦) ودخول أصبح وأمسى يفيد تعيين وقت البرد والدفء كما كان دخول (كان) لتعيين المضي.

ما الفعلني له وما الفعلني اليه :

تقول : (ما ابغضني له) و (ما ابغضني اليه) و (ما أحب خالداً لبكر) و (ما أحب خالداً الى بكر) فتأتي باللام اذا كان المتعجب منه فاعلاً وتأتي بالياء اذا كان المتعجب منه مفعولاً.

فمعنى (ما ابغضني له) انك تبغضه ، ومعنى (ما ابغضني اليه) انه يبغضك .
وتقول : (ما أحب خالداً لعمر) اذا كان خالد يحب عمرا .
وتقول : (ما أحب خالداً الى عمرو) اذا كان عمرو يحب خالداً .

جاء في (الكتاب) : "تقول (ما ابغضني له) و (ما امقتني له) و (ما اشتهاني لذلك) انما تريد انك ماقت وانه مبغوض وانك مشتته . فان عنيت غيرك قلت (ما افعله) فانما تعني به هذا المعنى . وتقول : ما امقته وما ابغضه الي انما تريد انه مقيت وانه مبغض اليك كما انك تقول : ما اقبحه وانما تريد أنه قبيح في عينك" (٢٧).

فان افهم فعل التعجب علماً أو جهلاً تعلق بالباء تقول : (ما اعلمه بالشعر) و (ما اعرفه بالفقه) و (ما اجهله بالانساب) .

والخلاصة ان فعل التعجب اذا كان يتعدى في الاصل الى المفعول بنفسه تعدى اليه الآن باللام نحو (ما ابغض خالداً لسالم) و (ما اضرب محمداً لخالد) لان الاصل ابغض خالد سألماً وضرب محمداً خالداً . فسالم مفعول به لأبغض وخالد مفعول به لضرب فتعدى اليه الآن باللام .

واذا كان الفعل يفهم علماً أو جهلاً تعدى الى مفعوله بالباء نحو : ما أبصره بالفقه وما اجهله بالشعر .

(٢٦) شرح ابن بيش ١٥٠ / ٧ .

(٢٧) كتاب سيويه ٢ / ٢٥١ - ٢٥٢ وانظر المجمع ٩١ / ٢ .

وان لم يكن متعديا بنفسه بل بحرف جر بقي ذلك الحرف نفسه نحو: (ما ارغب
خالدا في الخير) و (ما أعزّه عليّ) و (ما اسرعه الى العون!) (٢٨).
٢ - أفعل به

الصيغة الثانية من صيغ التعجب (أفعل به). (أفعل) بفتح الهمزة وكسر العين
وسكون الآخر نحو (أكرم بمحمد). قال تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ - مريم ٣٨﴾.
وبصاغ هذا البناء من كل فعل توفرت فيه الشروط المذكورة في البناء السابق.
وقد حلل النحاة هذه العبارة كما فعلوا في (ما افعله) فذهب اكثرهم الى ان
(أفعل) هذا فعل ماض على صورة الامر والباء زائدة في الفاعل فعنى قولهم (أكرم
بمحمد): أكرم محمد، أي: صار ذا كرم كأغذ البعير أي: صار ذا غدة وأورقت
الشجرة بمعنى صارت ذات ورق ثم غيرت صيغة الماضي الى صورة الامر فصارت
(أكرم محمد) فقبح اسناد صيغة الامر الى الاسم الظاهر فزيدت الباء في الفاعل (٢٩)
للدلالة على التعجب لأنّ الباء كثيرا ما تزداد مع المتعجب منه نحو: (كنى بالله شهيدا)
و (ناهلك بخالد رجلا) وحسبك به شاعرا.

وذهب الفراء والزمخشري وابن خروف الى أن (افعل) ههنا فعل أمر حقيقة وانه
أمر لكل واحد بأن يصفه بالصفة المذكورة، فقولك (أكرم بمحمد) أمر لكل واحد بأن
يصف محمداً بالكرم والباء مزيدة في المفعول أو هي للتعدية داخلة على المفعول به.
جاء في (المفصل): "وعندي ان اسهل منه مأخذاً أن يقال إنه أمر لكل أحد
بأن يجعل زيدا كريما، أي بأن يصفه بالكرم والباء مزيدة مثلها في قوله تعالى: ﴿ولا
تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ (٣٠) للتأكيد والاختصاص، أو بأن يصيّر ذا كرم والباء
للتعدية. هذا اصله ثم جرى مجرى المثل فلم يغير عن لفظ الواحد في قولك: يا رجلان
أكرم يزيد، ويا رجال أكرم يزيد" (٣١).

(٢٨) انظر المجموع ٩١ / ٢، شرح الاثموني ٢٥ / ٣.
(٢٩) انظر التصريح ٨٨ / ٢، شرح الرضي على الكافية ٣٤٣ / ٢، المفصل ١٦٩ / ٢ - ١٧٠.
(٣٠) البقرة ١٩٥.
(٣١) المفصل ١٦٩ / ٢ - ١٧٠.

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : " فقال الفراء وتبعه الزمخشري وابن خروف إن (أحسن) امر لكل أحد بأن يجعل زيدا حسنا ، وإنما يجعله حسنا كذلك بأن يصفه بالحسن فكان قيل : صفة بالحسن كيف شئت فان فيه كل ما يمكن أن يكون في شخص " (٣٢) .

وقد ردّ هذا الرأي بوجوه أهمها :

١ - انه لو كان امراً للزم ابراز ضميره فلا يقال بصورة واحدة للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث .

ورد هذا القول بأنه أُجري مجرى المثل والامثال لا تغيّر. ألا ترى أن (نعم) فعل ماض ولا تستند الى ضمير رفع بارز فلا يقال : نعمت ولا نعموا ولا نعمن . وكذلك (حبذا) فلا يقال : حبذي هند ولا حب أولاء ؟

٢ - انه لو كان امراً لم يكن الناطق به متعجباً كما لا يكون الأمر بالحلف ونحوه حالفاً . وهذا مردود بأنه لا يقصد به حقيقة الامر ، وإنما حوّل الى انشاء التعجب كما في الفاظ العقود والقسم . فقولك (أقسم بالله) اصله خبر تقول : (هو يقسم بالله على اقل من ذلك وأنا لا أقسم على هذا) ثم يحول القصد الى القسم فيكون قسماً حقيقة نحو : (أقسم بالله انه مخلص) . وكذلك (بعت) و (اشتريت) ونحوهما من الفاظ العقود .

٣ - انه لو كان مسنداً الى ضمير المخاطب لم يله ضمير المخاطب نحو (أحسن بك) . وقد ذهب بعضهم الى أن الضمير ليس للمخاطب وإنما هو للمصدر المأخوذ من الفعل ففي قولك (أحسن بك) الضمير المستتر للحسن المدلول عليه بأحسن كأنه قيل : أحسن يا حسن بزيد أي دم به والزمه . وقال آخرون : الضمير المستتر في (افعل) للمخاطب المستدعى منه التعجب .

وهذا أقوى مأخذ على هذا الرأي اذ كيف يؤمر المخاطب بأن يصف نفسه بصفة ما يقصد التعجب ؟ ألا اذا قيل إنه ليس المقصود منه أمر المخاطب حقيقة بل هو تجوز فيقوله (أعدل بك) على معنى : صف نفسك بالعدل كيف شئت فأنت عادل .

(٣٢) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٤٤ وانظر التصريح ٢ / ٨٨ .

وقد ذهب الزمخشري وجماعة كما ذكرنا الى أنه أمر لكل احد بأن يصفه بالصفة المتعجب منها ولم يقولوا هو أمر للمخاطب . والامر ليس مقصوداً على المخاطب بل هو قد يكون للمتكلم نحو (لأذهب اليه) والغائب والغائبة وغيرهم قال ﴿ولتنتظر نفس ما قدمت لغد - الحشر ١٨﴾ .

٤ انه لو كان أمراً لوجب له من الاعلال ماوجب لأقم وأبن^(٣٣) . وهذا مردود بأنه لم يحصل فيه اعلال لئلا يلتبس بالامر الحقيقي . وقد املت العرب الاعلال في مواطن عديدة منها للبس . من ذلك اسم التفضيل نحو (أشير) و (ألوم) و (أبتين) . والصفة المشبهة نحو (أسود) و (أبيض) . واسم الآلة نحو (مخيط) و (مرود) .

بل ان العرب تعل احد الفعلين ولا تعل الآخر أمنا للبس نحو باض وبيض وساد وسود وعار وعور .

ومن ذلك اهمالهم الاعلال في فعل التعجب (ما افعله) نحو ما اسيره وما ايئنه . ولو اخذنا بهذا الاعتراض لقلنا ردا على هؤلاء . انه لو كان الفعل في (ما افعله) فعلا ماضيا لحصل فيه اعلال كما في أقام وأجاد وأبان .

وقيل في تفسير هذه الصفة أيضا "ان قولك (أكرم بريد) يفيد أن زيدا بلغ في الكرم الى حيث كأنه في ذاته صار كرمًا حتى لو اردت جعل غيره كرمًا فهو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك كما ان من قال (اكتب بالقلم) فعناه ان القلم هو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك^(٣٤) .

والذي يبدو ان هذه الصيغة أمر بالمشاركة في التعجب . فالفرق بين قولك (ما احسن محمدا) و (أحسِنُ بمحمد) ان الاولى تعجب انفرادي بقوله المرء متعجبا من حسن محمد ، واما (أحسِنُ بمحمد) فهو دعوة الى التعجب من حسن محمد فأنت تدعو غيرك ليشاركك في هذا التعجب بذلك على ذلك تحويله الى صورة الامر كما يقول الاولون أو هو أمر حقيقة كما يقول الآخرون .

(٣٣) انظر التصريح ٢ / ٨٨ - ٨٩ ، المجمع ٢ / ٩٠ ، شرح ابن يعيش ٧ / ١٤٨ .

(٣٤) التفسير الكبير للرازي ٢١ / ٢٢١ .

والباء في المتعجب منه قد تكون زائدة جي بها للدلالة على التعجب فعني (أكرم
بمحمد) (أكرم محمدا) أي صفه بالكرم ولزمت الباء للدلالة على معنى التعجب لان
الباء كثيرا ما يؤتى بها للدلالة على التعجب ، وقد تكون للالصاق فقولك (أحسن
بمحمد) معناه الصق الحسن بمحمد مراداً منه التعجب .

٣- التحويل الى صيغة (فَعَلَ)

من صيغ التعجب ماحول من الافعال الى (فَعَلَ) بضم العين سواء كان مضموم
العين اصلاً كظرف ولؤم أم محولا من ثلاثي مفتوح العين أو مكسورة نحو فقهه وقضوه
وعدله بشرط تضمينه معنى التعجب . فتقول : (قَضَوُ محمد) أي ما أقضاه و(عَدَلَ
خالد) أي ما أعدله و(ظرف سعيد) أي ما أظرفه .

وذلك ان الاصل في (فَعَلَ) ان يدل على الطبايع والسجايا كقبح وحسن وقد
يحول الفعل الى هذه الصيغة لاغراض متعددة منها الدلالة على التحويل في الصفات
ومعناه ان الفعل اصبح سجية في صاحبه أو كالسجية فيه وذلك نحو فقهه وفقهه تقول
(فقه محمد المسألة) اذا فهمها ، وتقول (فقه محمد) أي صار فقيها ، بمعنى انه لكثرة
ممارسته الفقه اصبح الفقه له سجية أو كالسجية . وتقول (خطب خالد) بفتح الطاء
اذا التي خطبة . فان قلت (خطب) بضم الطاء كان المعنى انه صار خطيبا أي تحولت
الخطابة فيه الى سجية فلك أن تحول كل فعل ثلاثي الى هذه الصيغة للدلالة على
تمكن الوصف في صاحبه .

ومنها الدلالة على التعجب نحو (كرم الرجل سعيد) بمعنى (ما أكرمه) و(حسن)
بمعنى (ما أحسنه) (٣٥) . قال تعالى : ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ - الْكَهْفُ
٤﴾ .

جاء في (الكشاف) في هذه الآية : "وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على
الفاعلية والنصب أقوى وبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل : ما اكبرها كلمة" (٣٦) .

(٣٥) انظر المجمع ٨٨/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٣٥٢/٢ ، شرح ابن يعيش ١٢٩/٧ .

(٣٦) الكشاف ٢٥٠/٢ ، التفسير الكبير ٧٨/٢١ .

وقد كثر انجرار فاعل هذا الفعل المحول الى التعجب بالباء لأن الباء تأتي كثيرا في التعجب نحو (أكرم به) و (كفى به) و (حسبك به) فتقول : ظرف بمحمد وقبح بخالد بمعنى ما أظرفه وما أقبحه .

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "ولهذا كثر انجرار فاعل هذا الملحق بالباء وذلك لكونه بمعنى (افعل به) نحو ظرف يزيد أي أظرف به" (٣٧) .

وجاء في (التصريح) : "يجري (فعل) المضموم العين في المدح والذم مجرى (فعل) الدال على التعجب فلا يلزم فاعله أل أو الاضمار وهو الصحيح . وعلى هذا يجوز لك في فاعل (فعل) المذكور أن تأتي به اسما ظاهرا أو مجردا من (أل) وأن تجره بالباء الزائدة تشبيها بفاعل (افعل) في التعجب وأن تأتي به ضميراً مطابقاً لما قبله . فالظاهر المجرد من أل نحو : (فهم زيد) حملا على : ما أفهم زيدا . والمجرور بالباء وهو الاكثر نحو : (حسن يزيد) حملا على أحسن يزيد ، وسمع من العرب (مررت بابيات جاد بهن ابياتا ووجدن ابياتا) حكاه الكسائي بزيادة الباء في الفاعل أولا وتجرده منها ثانيا . وأصل (جاد بهن ابياتا) جدن ابياتا من جاد الشيء جودة اذا صار جيدا .

ومثال الضمير المطابق ما قبله : (الزيدان كرما رجلين) و (الزيدون كرموا رجالا) حملا على ما أكرمهما رجلين وما أكرمهم رجالا" (٣٨) .

دخول الباء على المتعجب منه :

تدخل الباء على المتعجب منه كثيرا من ذلك دخولها دخولا لازما بعد صيغة (أفعل) فيقال (أكرم بخالد) ولولا هذه الباء لم يعرف أن المقصود به التعجب ، فلو قيل : اكرم خالدا لم يكن فيه معنى التعجب . فالباء عينت أن المقصود به التعجب .

وتدخل كثيرا في صيغ اخرى من صيغ التعجب فقد تدخل على فاعل (فعل) المحول الى التعجب نحو (حسن بخالد) و (كرم به) ودخولها على الفاعل في نحو هذا يدل على أن المقصود بالفعل التعجب فاذا حذفت احتمل الكلام التعجب وغيره .

(٣٧) شرح الرضي على الكافية ٣٥٢/٢ - ٣٥٣ .

(٣٨) التصريح ٩٨/٢ - ٩٩ وانظر حاشية الخصري ٥٤/٢ .

وتدخل في فاعل (كنى) فيفيد الفعل التعجب نصا نحو ﴿كنى بالله
وكيلا - الاحزاب ٤٨﴾ ﴿كنى بنفسك اليوم عليك حسيبا - الاسراء ١٤﴾ أي ما
اكفاها. ولو حذفت الباء لم يكن الفعل نصا في التعجب فاذا قلت: (كفاك محمد) و
(كفاك الماء) و(كفيتك الامر) لم يكن تعجبا. وكذا اذا قلت: (كنى الزمن واعظا)
لم يكن الفعل نصا في التعجب بل يحتمل التعجب وغيره ونحوه قول الشاعر:

كنى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وهذا لا يكون في (كنى) وحدها بل في غيرها ايضا فيقال "نراك بمحمد
رجلا" (٣٩) على معنى التعجب.

وقد تدخل هذه الباء في اساليب اخرى تفيد التعجب نحو (ناهيك به رجلا) و
(حسبك به رجلا) فاذا قلت (حسبك درهم) لم يكن فيه معنى التعجب وكذا اذا
زدت الباء في (حسب) فقلت (بحسبك درهم) فانه ليس تعجبا بل هي مزيدة
للتوكيد ومنه الاثر (بحسب ابن آدم من الدنيا لقيات يُقِمَّن صلبه) فاذا دخلت على
الخبر كان الكلام تعجبا نصا نحو (حسبك بخالد شاعرا).

وقد تقول: قد يفيد الكلام التعجب بدونها نحو (ناهيك محمد) و (حسبك
خالد) فنقول: قد يكون ذلك ولكن الكلام عند ذاك ليس نصا في التعجب بل هو
محتمل للتعجب وغيره فاذا جئت بالباء كان للتعجب نصا.

الفرق بين فَعُل وما أَفْعَل وأَفْعِل به :

تقول: ما أكرم خالدا وأكرم بخالد وكرم خالد وكرم بخالد ، فما الفرق بين هذه
التعبيرات ؟

اما الفرق بين (ما أكرم خالدا) و (اكرم بخالد) فقد مر .

(٣٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢ / ١١٩ - ١٢٠ .

واما (كرم خالد) فيدل على التحول في الصفة . فالتعجب بـ (فعل) معناه ان الوصف تحول في صاحبه وتمكن منه الى درجة يتعجب منها ، فقولك (ما أحسن خالدا) معناه انك تتعجب من حسن خالد . واما (حسن خالد) فعناه ان خالدا انصف بالحسن وتمكن منه الوصف الى درجة يتعجب منها . ففي (فعل) معنى التحول بخلاف (ما أفعل) فان (ما أفعل) للتعجب من الامر كما هو الآن من دون نظر الى الماضي . اما (فعل) فيفيد التحول الى درجة التعجب . فالتعجب بهذا الفعل ينظر الى الاصل الذي بدأ منه الفعل ثم بلغ هذا المبلغ .

تقول : (ما أكبر هذه الكلمة) تصفها بالكبر الآن فاذا قلت (كبرت كلمة) كان معناها ان هذه الكلمة قيلت فبلغت من الكبر درجة عظيمة يتعجب منها . قال تعالى : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم - الكهف ٤ ، ٥ ﴾ ، أي ان هذه الكلمة خرجت من افواههم واتسعت وأضلت خلقا كثيرين فتعجب من هذه الكلمة كيف بلغت هذا الكبر .

ونحو قولك : (ما أبشع هذه الفعلة) و (بشعت هذه الفعلة) فان العبارة الاولى تصف الفعلة بالبشاعة الآن ، وأما الثانية فانها تفيد أن الفعلة اخذت بالبشاعة ازديادا حتى وصلت الى حد فظيع يتعجب منه .

فصيغة (ما أفعل) تصف الحال وصيغة (فعل) تصف تطور الحال وتحوله . يدل ذلك على ذلك أن صيغة (فعل) لا يزال فيها معنى الحدث وان الفعلية لم تنمح كما انمح من صيغة (ما أفعل) وان الفعل لا يزال يستند الى فاعل مرفوع وانه متصل به تاء التأنيث الساكنة ويرفع الضمير مما يدل على أن الحدث لا يزال واضحا في هذا الفعل .

وتفيد صيغة (فعل) ايضا التعجب على وجه الاستمرار والثبات وذلك ان (فعل) يدل على الثبوت اصلا أو تحويلا . فقولك (ما أحسن هذا المكان) يصف المكان بالحسن في وقت تعجبك ، واما (حسن هذا المكان) فانه يفيد التعجب من هذا الحسن فهي حسنة على وجه الدوام . قال تعالى في وصف الجنة ﴿ حسنت مستقرا

ومقاما - الفرقان ٧٦ ﴿ فهي حسنة على وجه الدوام . وقال يصف رفقة اهل الجنة : ﴿ وحسن اولئك رفيقا - النساء ٦٩ ﴾ يصفهم بالحسن على وجه الدوام والاستمرار . اما اذا قلت (كبرها كلمة) و (حسن به مقام) كانت العبارة تنصبها على معنى التعجب وتأكيذاً له ، ولا يبعد فيها أرى أن يقال إن الباء تفيد الالتصاق على معنى التصق الكبر بالكلمة فهو لا يفارقها . والتصق الحسن بالمقام . تقول (صبر بمحمد) ومعناه التصق الصبر بمحمد فهو لا يفارقه : وتقول في غير هذا الباب (كفى بالزمن واعظا) أي التصقت الكفاية بالزمن والله اعلم .

٤ - التعجب بالنداء

يتعجب بالنداء وذلك بادخال لام جر مفتوحة على المتعجب منه مسبقة بحرف النداء (يا) نحو يا للهاء ! يا للهول ! يا للعجب ! يا لله ! يا لك شاعرا ! وقد تحذف اللام فيجاء بالفاء في آخر المتعجب منه فيقال : يا عجباً ! يا هولا ! والتعجب بالنداء على وجهين :

احدهما : أن ترى أمراً عظيماً فتعجب منه بندائه فتقول مثلاً : يا للهاء ! اذا تعجبت من كثرته . ويا للهول ! اذا رأيت هولا عظيماً فتعجب من فظاعته .

جاء في (شرح ابن يعيش) : "واما دخول اللام للتعجب فنحو قولهم : (يا للهاء) كأنهم رأوا عجباً وماء كثيراً فقالوا تعال يا عجب ويا ماء فانه من ابا نك ووقتلك . وقالوا : (يا للدواهي) أي تعالين فانه لا يستنكر لكن لأنه من احيانكن" (٤٠) .

والوجه الآخر أن ترى أمراً تستعظمه فتنادي من له نسبة اليه أو مكنة فيه نحو يا للعلماء (٤١) ، وذلك كأن ترى جهازاً علمياً يبهرك فتنادي العلماء للاطلاع عليه أو تناديهم متعجباً من عملهم وصنعهم ، وكأن تسمع قصيدة تهزك فتقول يا للشعراء متعجباً من فعلهم أو تدعوهم لسماع هذا الشعر متعجباً منه .
والتعجب بالنداء قياس مطرد .

(٤٠) شرح ابن يعيش ١٣١/١ وانظر كتاب سبويه ٣٢٠/١ .

(٤١) المسع ١٨٠/١ ، التصريح ٨١/٢ .

فاذا حذف اللام جئت بالالف في آخره نحو: يا عجباً ! يا أسفا !

والفرق بين هذه الصورة وما قبلها أن في الأخيرة مدّاً للصوت زيادة في التعجب واظهاره . فاذا قلت (يا أسفا) كنت مادّاً صوتك بالاسف بخلاف قولك (يا للاسف) وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ يا أسفا على يوسف - يوسف ٨٤ ﴾ فإن فيه مدّاً للصوت بالالف للدلالة على شدة الاسف وتمكنه من نفس قائله . ونحو قوله تعالى : ﴿ ياويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلاً - الفرقان ٢٨ ﴾ ، فانه ابلغ من (يا للويل) لما في مدّ الصوت بالويل من دلالة على فظاعة الويل . ومثله قوله تعالى ﴿ ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي - المائدة ٣١ ﴾ . وهذا اشبه شيء بالندبة وما فيها من مدّ للصوت اظهاراً للحسرة والتوجع نحو (واعمره) (واكبداه) . ويجوز التعجب بـ (وا)^(٤٢) نحو (وأسفا) لما بينها من الاقتراب .

ويبدو أن التعجب بزيادة الالف في الآخر أكثر ما يكون فيما كان فيه عاطفة قوية عميقة فيمد الصوت اظهاراً لذلك نحو: يا حسرتاه ! يا فرحتاه ! قال تعالى : ﴿ أن تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله - الزمر ٥٦ ﴾ وهذا مقام حسرة لا يعدلها حسرة والله اعلم .

وقد يخلو المتعجب منه من اللام والالف نحو (يا عجب)^(٤٣) . قال تعالى : ﴿ يا حسرة على العباد - يس ٣٠ ﴾ وقال : ﴿ يا ويلنا هذا يوم الدين - الصافات ٢٠ ﴾ وقال ﴿ يا بشرى هذا غلام - يوسف ١٩ ﴾ .

وهذا تعجب بالنداء أي (يا للحسرة على العباد) ومعناه : اقبلي ايتها الحسرة فهذا أوانك .

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ : ” نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقتك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسول . والمعنى انهم أحقّاء بأن يتحسّر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون ، أو هم متحسّر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ،

(٤٢) المغني ١/١٠٦ .

(٤٣) التصريح ٢/١٨١ .

ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجبه منه^(٤٤).

والتعجب بالنداء على هذه الصورة الاخيرة مستعمل في الدارجة كثيرا ، نحو (ياروحي) (ياخسارة) (يافضيحة) (ياعيوني) (يافرحة مادامت) (ياسلام) بمعنى باللخسارة ! باللفضيحة ! بالفرحة التي لم تدم وهكذا . وهي تعبيرات عربية فصيحة مراد بها معنى التعجب .

٥- التعجب بتعابير معينة

قد يتعجب بتعابير معينة أشهرها :

أ- التعجب بـ (كنى) وما بمعناها

ويكون ذلك اذا زيد على مرفوعها الباء نحو (كنى بمحمد شاعرا) و(كنى بالشيب واعظا) أي يكفيلك وعظ الشيب عن غيره والمعنى : ما اكفى الشيب واعظا وما اكفى محمداً شاعرا .

وذهب الزجاج الى أن الباء زيدت في فاعل (كنى) لتضمنه معنى (اكتف)^(٤٥) . وهو قريب من معنى التعجب .

قال ابن هشام : " لا تزد الباء في فاعل كنى التي بمعنى اجزا ، وأغنى ولا التي بمعنى (وقى) والاولى متعدية لواحد كقوله :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل
والثانية متعدية لاثنين كقوله تعالى : ﴿ وَكُنِيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾^(٤٦) ... ووقع في شعر المتنبي زيادة الباء في فاعل (كنى) المتعدية لواحد قال :

(٤٤) الكشف ٥٨٦/٢ .

(٤٥) المغني ١/١٠٦ .

(٤٦) الاحزاب ٢٥ .

كفى ثَقَلًا فخرا بأنك منهم ودهرٌ لأن اسميت من اهله اهل
ولم ار من انتقد عليه ذلك ، فهذا اما لسهوعن شرط الزيادة أو لجعلهم هذه
الزيادة من قبيل الضرورة^(٤٧).

وقد تزايد في مفعول (كفى) المتعدية لواحد دالة على التعجب ايضا ومنه الحديث
(كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع) وقوله :

فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمد إيانا^(٤٨)
ومثل (كفى) ما هو في معناها نحو (حسبك بمحمد رجلا) و (ناهيك بخالد
عالما) و (نهالك بسالم معيناً) ، وهي قريبة المعنى من (كفى) .

ب - التعجب ب (أي) الكمالية

وذلك نحو (مررت برجل أي رجل) و (بشاعر أي شاعر) و (بخالد أي رجل)
فيؤتى ب (أي) للدلالة على وصف الشيء بالكمال في معنى من المعاني والتعجب من
حاله . وأي الكمالية لا تضاف إلا الى نكرة وتقع وصفا لنكرة وحالا من معرفة^(٤٩).

قال سيبويه : "ومن النعت ايضا مررت برجل ايما رجل فـ (أيما) نعت للرجل في
كماله ويؤده غيره كأنه قال : مررت برجل كامل"^(٥٠) .
ويبدو أن اصلها الاستفهام .

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "والذي يقوى عندي ان (أي رجل) لا
يدل بالوضع على معنى في متبوعه بل هو منقول عن (أي) الاستفهامية وذلك ان
الاستفهامية موضوعة للسؤال عن التعيين وذلك لا يكون إلا عند جهالة المسؤول عنه

(٤٧) المغني ١ / ١٠٧ .

(٤٨) المغني ١ / ١٠٩ .

(٤٩) انظر شرح ابن عقيل ١ / ١٢ .

(٥٠) كتاب سيبويه ١ / ٢١٠ .

فاستعيرت لوصف الشيء بالكمال في معنى من المعاني والتعجب في حاله . والجامع بينها ان الكامل البالغ غاية في الكمال حيث يتعجب منه يكون مجهول الحال بحيث يحتاج الى السؤال عنه^(٥١).

ج - التعجب بادخال (رب) على الضمير

من اساليب التعجب ادخال (رب) على ضمير الغائب وتفسيره بتميز نحو (ربه رجلاً لقيت) و (ربه امرأة لقيت) والمعنى لقيت رجلاً أي رجل أي لقيت رجلاً عظيماً . وهذا الضمير يكون مفرداً مذكراً مفسراً بتميز مطابق للمعنى فنقول : ربه رجلاً وربه امرأة وربه رجلاً وربه نساء وهذا " يفعلونه عند ارادة تعظيم الامر وتفخيمه فيكنون عن الاسم قبل جري ذكره ثم يفسرونه بظاهر بعد البيان^(٥٢) .

د - لله ذره

وهي عبارة استعملت في التعجب نحو (لله ذره فارسا) و (لله ذره شاعرا) . ومعنى (الذّر) اللبّ ، ومعنى الجملة في الاصل : لله لبنة ، أي ان الله سقاه لبنا خاصا فأصبح فارسا بطلا أو شاعرا مجيدا ثم ضمن معنى التعجب فأصبح يستعمل في التعجب . وقريب من هذا قولهم : (لله أبوه) و (لله أنت) .

هـ - التعجب بلام القسم

لا تأتي لام القسم إلا اذا اريد بها التعجب^(٥٣) ، وهي لا تدخل إلا على لفظ (الله) نحو (لله لا يؤخر الاجل) وهي مختصة بالامور العظام^(٥٤) . وقد مرّ بنا ذكرها في باب القسم .

(٥١) شرح الرضي على الكافية ١ / ٣٣٢ .

(٥٢) شرح ابن يعيش ٨ / ٢٨ .

(٥٣) انظر كتاب سيويه ٢ / ١٤٤ .

(٥٤) انظر شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٦٥ .

٦ - تعبيرات غير منحصرة تستعمل في التعجب

وهناك تعبيرات غير منحصرة تستعمل في التعجب ، وذلك كأن يخرج الاستفهام الى التعجب نحو (أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا - هود ٧٢) ونحو (سبحان الخالق المبدع) اذا تعجبت من صورة جميلة و (لا اله الا الله) و (قاتله الله من رجل) و (العظمة لله) وما الى ذلك .
وهي تعبيرات غير منحصرة وانما تكون بكل ما يؤدي معنى التعجب .

المدح والذم

استعمل العرب للمدح والذم (نعم وبش) وما حوّل الى معناهما من الافعال فتقول : (نعم الرجل محمود) و (بش الرجل سالم).
و (نعم) و (بش) فعلان ولهما استعمالان :

احدهما أن يستعملا فعلين متصرفين مثل سائر الافعال "فيكون لهما فعل مضارع وأمر واسم فاعل وغيرها وهما اذ ذاك للاخبار بالنعمة والبؤس" (٥٥). تقول : (نعم الرجل بمعيشته) - بكسر العين - ينعم فهو ناعم . قال تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناعمة - الغاشية ٨﴾ .

وبش بها - بكسر العين - يبأس فهو بائس . قال تعالى ﴿وأطعموا البائس الفقير - الحج ٢٨﴾ .

والاستعمال الثاني أن يستعملا لانشاء المدح والذم وهما في هذا الاستعمال جامدان لا يتصرفان .
وهذا القسم الثاني هو مدار بحثنا .

تستعمل (نعم) و (بش) للمدح العام والذم العام . تقول (نعم الرجل محمد) و (بش الرجل سعيد) فتكون قد مدحت محمداً مدحاً عاماً وذمت سعيداً ذماً عاماً ولم تذكر خصلة معينة من خصال المدح والذم .

قال سيبويه : "وأصل نعم وبش نعم وبش وهما الاصلان اللذان وضعوا في الرداءة والصلاح ولا يكون منها فعل لغير هذا المعنى" (٥٦) .

وقد تذكر خصلة معينة من خصال المدح والذم اذا اردت ذلك فتقول مثلاً (نعم خطيب القوم احمد) و (نعم شاعراً حسان) (٥٧) .

(٥٥) حاشية الصبان ٣ / ٢٦ وانظر التصريح ٢ / ٩٤ ، كتاب سيبويه ١ / ٣٠١ .

(٥٦) كتاب سيبويه ١ / ٣٠١ - ٣٠٢ وانظر شرح ابن الناظم ١٩٣ .

(٥٧) انظر حاشية الصبان ٣ / ٢٧ - ٢٨ وشرح ابن يعيش ٧ / ١٣٠ .

استعمالها في المدح والذم

- لك أن تستعمل (نعم) و (بئس) في المدح والذم بعدة طرائق :
- ١- أن تأتي بالفعل ثم الفاعل ثم المخصوص بالمدح والذم فتقول مثلاً : (نعم العبد سلمان) و (نعم الصديق الكتاب) و (بئس الخلق الكذب).
 - ٢- أن تأتي بالمخصوص بالمدح والذم أولاً ثم تأتي بعده بالفعل والفاعل فتقول : (محمد نعم الرجل) و (الخيانة بئس الخلق).
 - ٣- أن تأتي بالفعل وتضمر الفاعل وتأتي بتمييز يفسر الفاعل ثم تأتي بالمخصوص فتقول : (نعم رجلاً محمد).
 - ٤- أن تبدأ بالمخصوص ثم الفعل ثم التمييز فتقول : (محمد نعم رجلاً).
 - ٥- إذا كان في الكلام ما يدل على المخصوص بالمدح والذم جاز لك أن تستغني عن ذكره وذلك كقوله تعالى ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم نعم المولى ونعم النصير- الحج ٧٨﴾ أي الله . وكقوله تعالى : ﴿والارض فرشناها فنعم الماهدون- الذاريات ٤٨﴾ أي نحن ^(٥٨).
- ولا يجوز الاكتفاء بالفعل وفاعله من دون ذكر مخصص أو إشارة اليه فليس لك أن تقول : (نعم الرجل) ولا (بئس الفاكهة).
- ف عناصر الاسلوب في المدح والذم هي
- ١- فعل المدح والذم.
 - ٢- الفاعل.
 - ٣- المخصوص بالمدح والذم .
- وهذا يختلف فعل المدح والذم عن سائر الافعال . فان الافعال قد تكتفي بمرفوعها وهذه لا تكتفي به ، بل لابد من تعيين ممدوح أو مذموم .

(٥٨) شرح ابن يعيش ٧ / ١٣٥ .

عناصر اسلوب المدح والذم

١- الفعل

ذكرنا أن أصل أفعال المدح والذم هما (نعم) و(بئس) ف (نعم) للمدح العام و (بئس) للذم العام. ويجوز تحويل كل فعل من الأفعال الثلاثية المستوفية لشروط التعجب إلى (فعل) بقصد المدح والذم سواء كان مضموم العين أصالة ك (شرف) و (لوم) أم تحويلاً ك (فهم) و (قفو) بمعنى اجاد القضاء كما مر في باب التعجب فيستعمل استعمال (نعم) و (بئس) فيقال : (خبث الرجل سالم) و (كرم الرجل سعيد) فيكون بعد تحويله جامداً بعد أن كان متصرفاً ولازماً إن كان قبل تحويله متعدياً ومن ذلك (ساء) المستعمل في الذم نحو قوله تعالى : ﴿ فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرین - الصافات ١٧٧ ﴾ ، وقوله ﴿ ألا ساء ما يزرون - الانعام ٣١ ﴾ فأصله (ساء يسوء) وهو فعل متصرف متعد تقول : (ساءني هذا الامر) و (يسوؤني ما تفعل) ثم حول إلى (فعل) بقصد الذم فأصبح لازماً جامداً.

جاء في (المع) : "وألحق بهما ، أي : ب (نعم) في المدح و (بئس) في الذم عملاً بفعل بضم العين وضماً كلوهم أو شرف أو مصوغاً محولاً من ثلاثي مفتوح أو مكسور كعقل ونجس" (٥٩).

"ومن امثله (ساء) ... فانه في الاصل (سوأ) بالفتح من السوء ضد السرور من (ساءه الامر يسوؤه) اذا أحزنه فهو متعد متصرف فحول إلى (فعل) بالضم فصار قاصراً ثم ضمّن معنى (بئس) فصار جامداً قاصراً محكوماً له ولفاعله بما ذكرنا في بئس" (٦٠).

وهذه الأفعال تكون للمدح الخاص أو للذم الخاص بخلاف (نعم) و (بئس) فإنها للمدح العام والذم العام ، فاذا قلت مثلاً : (كرم الرجل سعيد) كنت مدحته بالكرم ، واذا قلت : (شرف) كنت مدحته بالشرف ، واذا قلت : (لوم) كنت ذمته باللوم واذا قلت (بخل) كنت ذمته بالبخل (٦١).

(٥٩) المع ٨٧ / ٢ وانظر شرح ابن يعيش ١٢٩ / ٧ .

(٦٠) التصريح ٩٨ / ٢ .

(٦١) انظر حاشية الخصري ٤٥ / ٢ .

٢ - فاعل نعم وبئس

يكون فاعل نعم وبئس على ضربين :
الضرب الاول : ان يكون اسماً ظاهراً معرفاً بـ (أل) او مضافاً الى معرف بـ (أل)
فن الاول قوله (نعم الأدام الخَلّ) وقوله تعالى : ﴿نعم المولى ونعم النصير﴾ - الانفال
٤٠ ، ومن الثاني قوله تعالى : ﴿فنعنم عقبى الدار﴾ - الرعد ٢٤ . وما ورد بغير
هاتين الصورتين قليل .

واختلف في (أل) هذه فقال الجمهور هي للجنس . واختلف القائلون بذلك
على رأيين :

احدهما انها للجنس حقيقة فاذا قلت (نعم الرجل خالد) كان الجنس كله
مدوحاً ثم خصصت خالداً بالذكر فتكون قد مدحته مرتين ، مرة مع عموم الجنس
ومرة افردته بالذكر وحده .

جاء في كتاب سيبويه : " اذا قلت (عبدالله نعم الرجل) فانما تريد أن تجعله من
امة كلهم صالح ولم ترد أن تعرف شيئاً بعينه بالصلاح بعد نعم " (٦٢) .

الثاني انها للجنس مجازاً ، وذلك لانك لم تقصد الا مدح معين ولكنك جعلته
جميع الجنس مبالغة فقولك (نعم الرجل خالد) معناه ان خالداً هو الجنس كله ، أي
هو المتصف بصفات الرجولة الكاملة أو اجتمع فيه ما تفرق في غيره من صفات
الرجولة .

وقال آخرون : هي للعهد ، واختلف هؤلاء على قولين :
الاول : كونها للعهد الذهني أي تشير بها الى شيء معهود في الذهن كما تقول :
(دخلت السوق) فأنت لا تقصد به الجنس كما لا تقصد به سوقاً معيناً تقدم ذكره ،
ونحو قولك (اشتريت اللحم) وكذلك قولك (نعم الرجل خالد) فـ (الرجل) معهود
ذهني ولا يقصد به شخص تقدم ذكره .

(٦٢) كتاب سيبويه ١ / ٣٠١ وانظر شرح ابن عقيل ٢ / ٤٢ .

والقول الآخر أنها للعهد الشخصي والمعهود هو الشخص المدوح أو المذموم ، فإذا قلت (نعم الرجل محمد) فكأنك قلت : (نعم هو)^(٦٣) .

الذي يبدو ان القول بأن (ال) تفيد الجنس أرجح وذلك انك تقول (نعم الفاكهة التفاح) ف (التفاح) جنس عام و (التفاح) خاص منه .
وتقول : (نعم الأدام الخل) فالأدام عام و (الخل) خاص . و (نعم الشراب الماء) ف (الشراب) جنس عام و (الماء) قسم منه وخصه من بينه بالمدح ف (أل) ههنا جنسية كما هو واضح .

وبما يدل على أن (ال) للجنس لا للعهد أنك لا تمدح الشيء ب (نعم) اذا لم يكن معه فرد من جنسه ، فلا تقول مثلاً (نعم مؤلف المفصل الزمخشري) ولا (نعم مؤلف لسان العرب ابن منظور) ولا (نعم الخارج من الجنة آدم) ولا (نعم ابو البشر آدم) لان مؤلف المفصل واحد هو الزمخشري ومؤلف لسان العرب واحد هو ابن منظور، لكن يصح أن تقول : (نعم المؤلف الزمخشري) ، لأن المؤلف جنس . ولا يصح كذلك أن تقول : (نعم الخليفة بعد أبي بكر عمر) لأن الخليفة بعد أبي بكر واحد ولكنك تقول (نعم الخليفة عمر) ، ولا تقول : (نعم الرشيد هرون) ولا بكر واحد (نعم الجاحظ عمرو بن بحر) ولا (نعم المبرد محمد بن يزيد) إلا إذا قصدت الوصف وكان المقصود بالرشيد من اتصف بالرشد والمقصود بالجاحظ من اتصف بالجاحظ عموماً وبالمبرد من اتصف بالتبريد .

ثم الا ترى انك لا تقول (نعم الهلال هذا) ولا (نعمت الشمس هذه) لان ليس هناك جنس تخصه من بينها الا اذا اردت مدح حال من احوالها كأن تكون الشمس مشرقة أو دافئة ونحو ذلك .

فاتضح بهذا أن فاعل (نعم) و (بش) جنس و (أل) فيه جنسية . واما الخصوص بالمدح والذم فقد يكون فرعاً من هذا الجنس وقد يكون فرداً تقول : (بش الحيوان الذئب) فأنت ذمت جنس الذئب من بين جنس الحيوان . ف (الحيوان) عام و (الذئب) خاص منه . وتقول (بش الرجال عبيد الشهوات) ف (الرجال) جنس عام و (عبيد الشهوات) جزء منهم . وتقول : (نعم العبد خالد) ف (العبد)

(٦٣) انظر التصريح ٢ / ٩٥ ، المبع ٢ / ٨٥ .

عام و(خالد) واحد من هذا الجنس . فتبين من هذا أن الفاعل أعم من المخصوص دائماً وليس العكس فلا تقول (نعم الماء الشراب) ولا (بشس الذئب الحيوان) .
وليس المقصود من هذا التعبير أنك تمدح الجنس كله ثم تخص فرداً أو قسماً منه بالذكر فتكون قد مدحته مرتين ، ولا المقصود اجتماع خصال الجنس في المدوح فيكون هو الجنس مبالغة ، وإنما المقصود تخصيص شيء من بين الجنس بالمدح فقولك (نعم الشراب الماء) ليس المقصود منه أنك تمدح الشراب كله ثم تخص الماء منه بالذكر فتكون قد مدحته مرتين وإنما المقصود أن تمدح الماء من بين الشراب وكذلك قولك (نعم الرجل خالد) فليس المقصود منه مدح الجنس كله وتخصيص خالد بالذكر ، ولا المقصود اجتماع خصال الجنس فيه وإنما المقصود تخصيص خالد بالمدح من بين أفراد الجنس ولو كان المعنى على ما قاله الأولون لتناقض القولان (نعم الرجل محمد) و (بشس الرجل خالد) فانك في الأولى مدحت جنس الرجال كله ثم خصصت محمداً منهم بالذكر ، وفي الثانية ذممت الرجال كلهم وخصصت خالداً منهم بالذم فتكون قد مدحت الجنس مرة وذممته مرة أخرى ، ونحوه قولك : (نعمت التفاحة هذه) و (بشست التفاحة هذه) فمرة تكون مدحت الجنس كله ومرة تكون ذممت الجنس كله ، ومثله (نعم الخُلُق الصدق) و (بشس الخُلُق الكذب) فتكون مرة مدحت الخلق ومرة ذممته .

ثم أنك على هذا تُدخل في المدح ما لا خير فيه من الجنس وتدخل في الذم ما لا سوء فيه فيدخل في قولك (بشس الرجل خالد) ذم الانبياء والرسل ، ويدخل في قولك (نعم الشراب الماء) و (نعم الطعام اللحم) مدح الغسلين والغساق والزقوم وما شاكلة من طعام أهل النار وشرابهم مما ليس فيه شيء يمدح .

فهذا التفسير غير صحيح فيما أحسب ، وكذلك التفسير الثاني وهو اجتماع خصال الجنس في شيء واحد فهذا لا يصح ايضاً . ألا ترى أنه في قولك (بشس الخُلُق الظن) لا يصح أن يقال اجتمع في الظن كل الخلق السيء ، وإنما المقصود كما ذكرت أنك تمدح شيئاً تخصه من بين جنسه أو تذمه .

والضرب الثاني من فاعل نعم أن يكون ضميراً مستتراً مفسراً بتمييز مطابق للمعنى نحو (نعم رجلاً خالداً) و (نعم رجلاً انتم). قال تعالى : ﴿بَشِّرِ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٠ - الكهف ولا يجوز أن يكون المرفوع فاعلاً لـ (نعم) إذ لو كان كذلك ما صح أن يقال (نعم رجلاً أنت) بل لا تُصل بالفاعل لأنه لا يصح أن يقال (طاب نفساً أنت) بل يقال (طبت نفساً) ولأن المرفوع يدخل عليه الناسخ نحو (نعم رجلاً كان محمد) ^(٦٤) ولو كان فاعلاً لم يدخل عليه ناسخ. وتقدير الكلام (نعم الرجل رجلاً أنت) ولا يجتمع الفاعل والتمييز معاً وقد اجتمعا قليلاً ومن ذلك قوله :

نعم الفتاة فتاة هند لو بذلت رد التحية نطقاً أو بإيماء
ومن النثر ما حكى من كلامهم (نعم القليل قتيلاً اصلح بين بكر وتغلب) ^(٦٥).

ويدل اضممار الفاعل وتفسيره بالتمييز على أن الفعل خرج من الخبر الى معنى آخر كالتعجب أو انشاء المدح والذم تقول (حسن شعراً قاله محمد) و (فشلت خطة وضعها سالم) فهذا يفيد التعجب بمعنى (ما احسن شعراً قاله محمد) و (ما افشل خطة وضعها سالم) أو يفيد انشاء المدح والذم ولا يفيد الاخبار بحسن الشعر وفشل الخطة ولو صرحت بالفاعل بدل التمييز فقلت (حسن شعراً قاله محمد) و (فشلت خطة وضعها سالم) لاحتمل أن يكون اخباراً بذلك أي يكون اخباراً بأن شعراً قاله محمد قد حسن وإن خطة وضعها سالم قد فشلت واحتمل المعنى الاول ايضاً. فالتمييز الذي يفسر الفاعل بنقل الفعل من دلالة الاخبار الى دلالة الانشاء. وقد مرّ شيء من هذا في باب الفاعل.

نعمًا ونعمًا :

تتصل بـ (نعم) و (بش) (ما) فيقال : (نعم ما) و (بش ما). وقد تدغمميم (نعم) في ميم (ما) فيقال : (نعمًا). قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ - النساء ٥٨﴾ وقال : ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ - البقرة ٢٧١﴾ وقال :

(٦٤) شرح الاشموني ٣ / ٣٣.

(٦٥) انظر التصريح ٢ / ٩٥، شرح الاشموني ٣ / ٤٣.

﴿بشما اشتروا به أنفسهم - البقرة ٩٠﴾ وقال : ﴿بشما يأمركم به إيمانكم - البقرة ٩٣﴾ .

واختلف في (ما) هذه على قولين :

الاول : انها تمييز بمعنى (شيء) فقوله تعالى : ﴿ان الله نعمًا يعظكم به﴾
معناه : نعم شيئًا يعظكم به .

والآخر انها فاعل . وهي اسم موصول او معرفة تامة بمعنى الشيء أي : نعم الشيء .
يعظكم به .

وعلى اية حال فان (ما) كلمة مبهمة يؤتى بها لاغراض متعددة ، فقد يكون
الغرض من الاتيان بها الابهام على السامع نحو أن تقول : (بشما فعلت) فلا تذكر ما
فعل لانك لا تريد أن يعلم احد بما فعل عدا المخاطب .
أو قد يكون الامر معلوما فلا تريد أن تعيد ذكره فتكتفي بالإشارة اليه .

أو قد يكون ذكره يتطلب كلاما كثيرا فلا تريد أن تطيل الكلام به ، بل توجز
القول بوضع كلمة (ما) وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ان الله نعمًا يعظكم به - النساء ٥٨﴾
ولم يعد الوعظ ليجعله فاعلا ل (نعم) ، بل جاء ب (ما) للدلالة على ان كل
ما يعظ به ربنا ممدوح .

٣ - الخصوص بالمدح والذم

يؤتى بالخصوص بالمدح والذم مرفوعا بعد الفعل وفاعله أو بعد التمييز إن وجد
فيقال : (نعم الرجل خالد) و (نعم رجلا خالد) . وقد يؤتى به مقدما على الفعل
فتقول : (خالد نعم الرجل) ، وقد يحذف للدلالة عليه كقوله تعالى : ﴿حسبنا الله
ونعم الوكيل - آل عمران ١٧٣﴾ أي هو . وقوله ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون -
الصافات ٧٥﴾ أي : نحن .

وقد اختلف في اعراب الخصوص بالمدح والذم على ثلاثة أوجه :

- ١ - انه مبتدأ خبره ما قبله .
- ٢ - انه خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره (هو) أي الممدوح أو المذموم .
- ٣ - انه بدل من الفاعل ^(٦٦) .

والراجع الاول لانه لا يختلف اعرابه تقدم أو تأخر ، فاذا قلت (نعم الرجل محمد) أو (محمد نعم الرجل) كان اعرابه واحدا . ولانه تدخل عليه النواسخ مقدما ومؤخرا فتقول : (نعم الرجل كان محمد) و (كان محمد نعم الرجل) ف (محمد) اسم (كان) و (نعم الرجل) خبرها تقدم أو تأخر . واسم كان مبتدأ في الاصل فدل ذلك على أن المخصوص مبتدأ . ولو كان المخصوص خبرا لا ينصب بـ (كان) بل لم تدخل عليه (كان) لانها لا تدخل على المبتدأ اللازم الحذف ^(٦٧) .

وتقول : (نعم الرجل ظننتك) و (ظننتك نعم الرجل) قال : ^(٦٨) :

يَمِيناً لِنَعْمِ السَّيِّدَانِ وَجَدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمَبْرَمٍ

وأصل الكلام (لنعم السيدان انما) ثم ادخل عليه الفعل الناسخ (وجد) مبنياً للمجهول فارتفع الضمير على أنه نائب فاعل وهذا يدل على أن الضمير كان مبتدأ وذلك انك تقول (ظننت محمدا قادم) ف (محمد) في الاصل مبتدأ فاذا بنيته للمجهول جعلت المفعول الاول نائب فاعل وابقيت المفعول الثاني منصوبا فتقول (ظنَّ محمدٌ قادم) فدل ذلك على أن الضمير في البيت وهو المخصوص كان في الاصل مبتدأ .

وبذلك يُردّ قول من قال إنه بدل ، فلو كان بدلا لم تدخل عليه النواسخ ثم انه "لازم وليس البديل بلازم" ^(٦٩) .

(٦٦) شرح ابن يعيش ١٣٤ / ٧ ، شرح الاشموني ٣ / ٣٧ .

(٦٧) انظر التصريح ١ / ١٨٣ - ١٨٤ .

(٦٨) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٤٨ ، الممع ٢ / ٨٧ .

(٦٩) شرح الاشموني ٣ / ٣٧ .

حبذا

من أفعال المدح (حبذا) تقول : (حبذا خالد) . وهذه الكلمة مركبة من (حبّ) و (ذا) . و (حبّ) فعل متصرف في الاصل تقول (حبّه يحبه حبا) . وتقول : (حبّ إليّ هذا الشيء حبا وحبّه إليّ جعلني أحبه) ^(١) .
وحبذا الامر أي هو حبيب ^(٢) .

جاء في (المع) أن (حبذا) "كنعم في العمل وفي المعنى مع زيادة ان المدح بها محبوب للقلب . (حبذا) وأصله حُبّ بالضم أي صار حبيباً لأمن حُبّ بالفتح ثم أدغم فصار حَبّ" ^(٣) .

وجاء في (شرح ابن يعيش) : "أعلم أن (حبذا) تقارب في المعنى (نعم) لأنها للمدح كما ان نعم كذلك ، ألا ان حبذا تفضلها بأن فيها تقريباً للمذكور من القلب وليس كذلك نعم ... و (حب) فعل متصرف لقوله منه : حبه يحبه ... ولما نقل الى (فعل) لاجل المدح والمبالغة كما قالوا قَضُوا الرجل ورُمُو إذا أخذوا القضاء وأجاد الرمي منع التصرف لمضارعة بما فيه من المبالغة والمدح باب التعجب و (نعم) و (بش) . و (حبذا) لزم طريقة واحدة وهو لفظ الماضي وفاعله (ذا) وهو من أسماء الإشارة" ^(٤) .

واما (ذا) فهو اسم إشارة قيل جيّ به ليدل على الحضور في القلب ^(٥) . وقيل خلع منه الإشارة لغرض الابهام ف (حبذا) بمعنى : حب الشيء . وقيل : (ذا) زائدة ^(٦) ، وقيل غير ذلك .

و(ذا) هذا لا يتصرف ولا يتغير بل هو بلفظ الافراد والتذكير أيا كان المخصوص فتقول : (حبذا أحمد) و (حبذا عائشة) و (حبذا الرجلان القادمان) و (حبذا

(١) القاموس المحيط (حب) ١ / ٥٠ .

(٢) القاموس المحيط ١ / ٥٠ .

(٣) المع ٢ / ٨٨ .

(٤) شرح ابن يعيش ٧ / ١٣٨ - ١٣٩ .

(٥) شرح الأشموني ٣ / ٤٠ .

(٦) شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٥٣ .

الرجال القادمون). وقد تركبت هاتان اللفظتان فأصبحتا لفظة واحدة تفيد المدح وتدل على أن الممدوح قريب من القلب. فإذا أردت الذم قلت: (لاحبذا).

إن طريقة التعبير بهذه اللفظة محددة ليس لك العدول عنها، فلا بد أن تأتي بالفعل (حب) ف (ذا) ثم المخصوص. وليس لك أن تفصل بين حب وذا. فلا تقول: حب اليوم ذا خالد. وليس لك أن تقدم المخصوص فلا تقول (خالد حبذا). وليس لك أن تؤنث الفعل أو تنثيه أو تجمعهما كما أنه ليس لك أن تغير (ذا) فلا تؤنثه ولا تنثيه ولا تجمعهما فهو أشبه شيء بالمثل كما يقول النحاة^(٧).

إن هذه اللفظة لفظة مركبة فقد فيها كل من عنصري التركيب خصائصه فليس في (حب) خصائص الفعل ولا في (ذا) خصائص اسم الإشارة وذلك أنه:

- ١- لا يجوز تأنيث (حب) إذا كان المخصوص مؤنثاً فلا تقول: حبت ذي هند.
- ٢- تدخل عليه (لا) النافية إذا أردت الذم فتقول (لاحبذا). و (لا) النافية لا تدخل على الفعل الماضي إلا إذا تكرر أو أريد به الدعاء، ولا تدخل على فعل جامد. وهذا فعل ماض جامد ومع ذلك قد دخلت عليه (لا).
- ٣- إن اسم الإشارة (ذا) لا يتغير بتغير المخصوص فلا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع.
- ٤- لا يفصل بين الفعل و (ذا).

من هذا يتبين أن (حب) و (ذا) كلمتان تركبتا لإفادة المدح ويؤتى بالمخصوص بعدهما.

المخصوص بالمدح:

يؤتى بالمخصوص بعد حبذا نحو قوله:

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

(٧) كتاب سيويه ١ / ٣٠٢.

ولا يجوز أن يتقدم المخصوص على الفعل فلا تقول (محمد حبذا) كما لا يجوز أن يدخل عليه فعل ناسخ فلا تقول (حبذا كان محمد) كما يقال ؛ (نعم الرجل كان محمد) ^(٨).

وقد يستغنى عنه إذا دل عليه دليل نحو قوله :
الا حبذا لولا الحياء وربما منحت الهوى من ليس بالمتقارب
وقوله :

فحبذا ربا وحب ديننا
ويجوز أن يقع اسم إشارة فيقال : (حبذا هذا القادم) . (حبذا هذا المسافر) .
قال :

فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل
وقال :

الا حبذا يا عز ذاك التسائر ^(٩)
وهذا يدل على أن (ذا) خلع عنها معنى الإشارة إذا لو كانت باقية على معنى
الإشارة لكان التعبير ضعيفاً سمجاً .

وقد يؤتى قبل المخصوص أو بعده باسم نكرة منصوب مطابق له في المعنى نحو :
(حبذا رجلين الخالدان) و (حبذا الخالدان رجلين) ، وقد اختلف في هذا الاسم
النكرة فقيل : هو تمييز مطلقاً . وقيل : حال مطلقاً ، وقيل : إن كان مشتقاً فهو حال
وإن كان جامداً فهو تمييز . وقال أبو حيان : "المشتق إن أريد تقيد المدح به حال .
وغيره وهو الجامد .

والمشتق الذي لم يرد به ذلك ، بل تبين حسن المبالغ في مدحه تمييز .
مثال الاول ولا يصح دخول (من) عليه (حبذا هند مواصلة) أي في حال
مواصلتها . والثاني : وتدخل عليه (من) : حبذا زيد راكباً" ^(١٠) .

(٨) انظر شرح ابن يعيش ١٣٩ / ٧ ، التصريح ٩٩ / ٢ .

(٩) الجمع ٨٩ / ٢ .

(١٠) الجمع ٨٩ / ٢ .

والحق أنه بحسب المعنى فقد يكون تمييزاً وقد يكون حالاً وليس للجمود والاشتقاق دخل في ذلك. تقول : (حبذا الماء بارداً) وقيل : (حبذا المال مبدولاً بلا سرف) فهذا حال ولا يصح أن يكون تمييزاً بحال.

وتقول : (حبذا ذهبك سواراً) و (حبذا قمحك خبزاً) و (حبذا نارك رماداً) فالمنصوب ههنا حال وإن كان جامداً لأن المقصود أن الأمر محبوب في هذه الحال. وتقول : (حبذا أخوك رجلاً) و (حبذا هند امرأة) وهذا تمييز وقد تدخل عليه (من) : حبذا أخوك من رجل. قال :

ياحبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

وقد يحتمل في بعض التعبيرات الحالية والتمييز فان أردت تقييد المدح به فهو حال ، وإن لم ترد كان تمييزاً وذلك نحو (حبذا أخوك راكباً) فإذا أردت أن تمدحه في حال ركوبه كان حالاً ، وإن لم ترد تقييد المدح في حال الركوب كان تمييزاً على معنى (حبذا أخوك من راكب) أي هوراكب جيد. ونحوه (حبذا خالد أباً) فان أردت مدحه في حال أبوته كان حالاً وإذا أردت أنه أب جيد أي حبذا هو من أب ، كان تمييزاً.

حَب :

قد تفرد (حب) عن (ذا) فتقول : حب خالد وحب الشعر.

وهذا من باب تحويل الافعال الى (فعل) بقصد المدح نحو بلغ وعظم ويجوز عند ذاك فتح حائها وضمها فتقول : (حَب سعيد) و (حُب سعيد) بفتح الحاء وضمها أما اذا ركبت فلا يجوز فيها إلا الفتح^(١١).

(١١) انظر شرح ابن يعيش ٧ / ١٤١ ، شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٥٣ ، التصريح ٢ / ١٠٠ .

ويجوز جر فاعلها بالباء الزائدة تشبيهاً بفاعل أفعل في التعجب تقول : "حب
بفلان أي ما أحبه" (١٢) . قال الشاعر:
فقلت اقتلوا عنكم بمزاجها وحب بها مقتولة حين تقتل

وقال :
حب بالزور الذي لا يرى منه إلا صفحة اولمام (١٣)

أي أحب بالزور

والخلاصة :

انه اذا افرد الفعل (حب) من (ذا) جاز فيه فتح حائه وضمها .
وجاز فيه جر فاعله بالباء الزائدة وعدمه .
اما اذا ركبت فلا يجوز فيه الا فتح الحاء ولا يجوز جر فاعله بالباء الزائدة .
وان الجر بالباء الزائدة يفيد التعجب وعدم الجر يحتمل المدح ويحتمل التعجب كما
سبق تقرير ذلك في مكانه .

(١٢) القاموس المحيط (حب) ١ / ٥٠ .
(١٣) انظر التصريح ٢ / ٩٩ ، شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٥٣ .

اسم التفضيل

يفاضل بين الشئين أو الأشياء باسم التفضيل الذي يصاغ على وزن (افعل) بشروط معينة^(*) ، نحو (أكرم) و (أحسن) وقد سقطت الهمزة من كلمتي (خير وشر) والاصل : أخير وأشر. قال تعالى : ﴿أنا خير منه - الاعراف ١٢﴾ . وقيل في (أحب) (حب) قليلا .

وبدل اسم التفضيل على الزيادة في اصل الفعل غالبا^(١) ، ولا يخلو المفضل عليه من مشاركة المفضل في المعنى في الغالب كقولك : (خالد افضل من عباس) فان في كليهما فضلا ، غير أن خالدا يزيد فضله على فضل عباس ، ومثله قولك (سيبويه انحى من الكسائي) "فالكسائي مشارك لسيبويه في النحو وان كان سيبويه قد زاد عليه في النحو"^(٢) .

وقد تكون المشاركة تقديرية لا حقيقية وليس ثمة مشاركة بين المفضل والمفضل عليه في اصل الوصف كقول القائل وقد خيّر بين أن يقتل بالسيف أو أن يحرق بالنار (لأن أقتل بالسيف أحب إلي من أن أحرق بالنار) وليس في أحدهما استحباب حقيقة ولكنه اختيار شيء مكروه على شيء أكره إليه يعني انه اذا كان لابد من اختيار احدي القتلتين فتلک أحب إلي أو اقل بغضا إلي .

جاء في (المجمع) : ﴿والمراد بقولنا ولو تقديراً مشاركته بوجه ما كقولهم في البغيضين : (هذا أحسن من هذا) وفي الشريرين : (هذا خير من هذا) وفي الصعبيين (هذا أهون من هذا) وفي القبيحين (هذا احسن من هذا) وفي التنزيل : ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾^(٣) . وتأويل ذلك : هذا أقل بغضا وأقل شراً وأهون صعوبة وأقل قبحا"^(٤) .

(٥) يصاغ اسم التفضيل من كل فعل ثلاثي تام متصرف مثبت مبني للمعلوم ليس الوصف منه على افعل فعلاء قابل للتفاوت . وهي الشروط التي مرت في صوغ فعل التعجب .
(١) انظر حاشية الخضرى ٤٦ / ٢ . (٢) المجمع ١٠٤ / ٢ .
(٣) يوسف ٣٣ .
(٤) المجمع ١٠٤ / ٢ .

قال تعالى : ﴿اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقبلا - الفرقان ٢٤﴾
وليس ثمة اشتراك في الخير بين المستقرين . فليس عند اصحاب النار خير ، بل هو
شر محض .

ومن هذا القبيل ما يستعمل في التهكم نحو قولك (هو اخطب من الاخرس) و
(هو انطق من الجدار وأعلم من الحمار) فليس ثمة مشاركة بين المفضل والمفضل عليه
أصل الوصف ، ولكنه يراد بذلك التهكم لانه يعلم أن الصفة منتفية عن المفضل عليه
اصلا .

جاء في (شرح الكافية) للرضي : ” ويقال في التهكم (أنت اعلم من الحمار)
فكأنك قلت : ان امكن أن يكون للحمار علم فأنت مثله مع زيادة ، وليس المقصود
بيان الزيادة بل الغرض التشريك بينها في شيء معلوم انتفاؤه عن الحمار “ (٥) .

وقد يكون التفضيل على وجه آخر وهو أن تفضل شيئا في كمال اتصافه بصفته على
شيء آخر متصف بصفة أخرى مغايرة لتلك الصفة كقولهم (العسل احلى من الخل)
وليس الخل مشاركا للعسل في الحلاوة ، وانما المعنى أن اتصاف العسل بالحلاوة اكثر
من اتصاف الخل بالحموضة ، ومنه قولهم (الصيف احر من الشتاء) أي ان اتصاف
الصيف بالحرارة اشد من اتصاف الشتاء بالبرودة .

جاء في (كليات أبي البقاء) : ” وقد يستعمل (افعل) لبيان الكمال والزيادة في
وصفه الخاص وان لم يكن الوصف الذي هو الاصل مشتركا وعليه قولهم (الصيف
احر من الشتاء) أي الصيف اكمل في حرارته من الشتاء في برودته “ (٦) .

قالوا وقد يأتي اسم التفضيل لغير قصد المفاضلة وذلك نحو قوله تعالى ﴿وهو الذي
يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه - الروم ٢٧﴾ ” فإنما تأويله وهو عليه هيّن لانه
لا يقال : شيء أهون عليه من شيء “ (٧) .

(٥) شرح الرضي ٢ / ٢٣٩ ، وانظر الكليات ابي البقاء ٣٩ .

(٦) كليات ابي البقاء ٣٩ وانظر المجمع ٢ / ١٠٤ .

(٧) المقتضب ٣ / ٢٤٥ .

وأرى أن في هذا مفاضلة أيضاً وذلك لان الاعادة أسهل من الابتداء بالنسبة الى عقولنا وان لم يكن شيء أهون من شيء عليه سبحانه غير أن الكلام جاء على سبيل الحاجة فانهم كانوا يستبعدون البعث حتى قال قائلهم ﴿من يحيي العظام وهي رميم - يس ٧٨﴾ فقال لهم إن الاعادة أسهل من البدء فهو الذي بدأ الخلق واعادته أهون وأيسر في حكم العقل فلماذا تستبعدون البعث بعد الموت؟

قالوا وقد يقصد باسم التفضيل "تجاوز صاحبه وتباعده عن الغير في الفعل لا بمعنى تفضيله بالنسبة اليه بعد المشاركة في أصل الفعل ، بل بمعنى أن صاحبه متباعد في أصل الفعل متزايد الى كماله فيه على وجه الاختصار فيحصل كمال التفضيل" (٨).

وهذا الكلام فيه حق فإن اسم التفضيل قد يستعمل لا لتفضيل شيء على شيء آخر معين ، بل قد يراد به مجرد الزيادة في أصل الوصف وذلك كقوله تعالى : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده - الانعام ١٥٢﴾ فليس المقصود هنا التفضيل على شيء معين ، بل المقصود أن يقربوا مال اليتيم بمزيد الحسن. ومثله قوله تعالى : ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن - الاسراء ٥٣﴾ وقوله ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة - المؤمنون ٩٦﴾ وقوله : ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن - النحل ١٢٥﴾ ، فإن المراد من كل ذلك الزيادة في الحسن.

ولا يمتنع تقدير مفضل عليه كأن تقول (وجادلهم بالتي هي أحسن من غيرها) ونحو ذلك ، غير أن ما ذكرناه أظهر وأوضح والله أعلم.

ومما جاء في التفضيل قولهم : (هو أعقل من أن يكذب) و (هو أعلم من أن يجهل) و (أنت أكرم عليّ من أن أضربك) و (هو أنجل من أن يجود).

وظاهر هذا التعبير مشكل لاننا إذا أولنا أن والفعل بالمصدر صار الكلام (هو أعقل من الكذب وأعلم من الجهل وأكرم من الضرب وأنجل من الجود) ولا معنى له . وقد قدر له سيويه مضافاً محذوفاً هو (صاحب) ، فالمعنى عنده (أنت أكرم من صاحب الضرب) و (أنت أحلم ن صاحب الجهل).

جاء في (كتاب سيويه) :- "ومثله في السعة : (أنت أكرم عليّ من أن أضربك) و (أنت أنكد من أن تتركه) وإنما تريد أنت أكرم عليّ من صاحب الضرب ، وأنت أنكد من صاحب تركه ، لان قولك (أن أضربك وأن تتركه) هو الضرب والترك لان (أن) اسم و(تتركه وأضربك) من صلته كما تقول : يسؤوني أن أضربك ، أي يسؤوني ضربك . وليس يريد أكرم عليّ من الضرب ولكن أكرم عليّ من الذي أوقع به الضرب" (٩).

وهو بعيد لان قولك (هو أحلم من صاحب الجهل) أو (أحلم من صاحب جهله) و (أعقل من صاحب الكذب) و (أبخل من صاحب الجود) لا يعطي المعنى المراد كما أنه لا مدح فيه فهو تفضيل على الناقص.

وقيل المقصود بالمصدر الوصف فالمقصود بقولك (أنت أكرم عليّ من أن أضربك) أنت أكرم عليّ من المضروب ، وكذلك : (أنت أحلم من الجاهل) و (أعقل من الكاذب) و (أبخل من الجواد) وهو تفضيل على الناقص أيضاً (١٠) في غير الأخيرة ولا يؤدي المعنى.

والمقصود من هذا التعبير بُعد المفضل عن الشيء المذكور بسبب وصفه فقولك (أنت أعقل من أن تكذب) معناه أنت بعيد من الكذب بسبب عقلك ، وقولك (أنت أحلم من أن تجهل) معناه أنت بعيد من الجهل بسبب حلمك. و (من) هذه ليست تفضيلية بل هي لمجرد المجاوزة وأصلها ابتداء الغاية كقولك (خرج من الدار) فان معناه انه فارقه وتركها بخروجه وكان ابتداء خروجه منها. وكذلك (هو أعقل من أن يكذب) معناه أنه فارق الكذب بسبب عقله وفارق الجهل بسبب حلمه وليس المقصود تفضيل شيء على شيء وإنما جيء بالوصف على صيغة (أفعل) لبيان الزيادة في الوصف.

(٩) كتاب سيويه ١٠٩/١.

(١٠) أنظر حاشية الصبان ٥٠/٣.

جاء في (شرح الرضي على الكافية) : "وأما نحو قولهم : (أنا أكبر من الشعر) و (أنت أعظم من أن تقول كذا) فليس المقصود تفضيل المتكلم على الشعر، والمحاطب على القول بل المراد بعدهما عن الشعر والقول .

وأفعل التفضيل يفيد بعد الفاضل من المفضول وتجاوزه عنه فـ (من) في مثله ليست تفضيلية بل هي مثل ما في قولك (بنتُ من زيد وانفصلت منه) تعلقت بـ (أفعل) المستعمل بمعنى متجاوز وبائن بلا تفضيل . فعنى قولك (أنت اعز عليّ من أن أضربك) أي بائن من أن أضربك من فرط عزتك عليّ . وإنما ذلك لأن (من) التفضيلية يتعلق بأفعل التفضيل بقريب من هذا المعنى . الا ترى أنك إذا قلت (زيد أفضل من عمرو) فعناه زيد متجاوز في الفضل عن مرتبة عمرو . فـ (من) فيما نحن فيه كالتفضيلية الآ في معنى التفضيل ومنه قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه (وهي بما تعدك من نزول البلاء بحسنك والنقص في قوتك أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرك) أي هي متجاوزة من فرط صدقها عن الكذب^(١١) .

ويجوز فيما أرى أن أصله (أنت أعقل من أن تكون شخصاً يكذب) و (هو أحلم من أن يكون شخصاً يجهل) فحذف ما حذف فصار (أنت أعقل من أن تكذب وهو أحلم من أن يجهل) فيبقى التفضيل على حاله ومعناه والله أعلم .

تعديه الى المفعول :

إن اسم التفضيل لا يتعدى بنفسه الى المفعول بل يتعدى بواسطة حرف الجر فهو يتعدى الى المفعول به عموماً باللام . تقول (هو أطلب للثأر، وأضرب منك لزيد) وأصله يطلب الثأر ويضرب زيدا . قال تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ - الكهف ١٢ ﴿ وأصله : يحصي ما لبثوا .

فإن كان من فعل دال على علم أو جهل عدي بالباء تقول (هو أعرف به وأدري بكم وأجهل به) أي يعرفه ويدريكم ويجهله . قال تعالى : ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ -

(١١) شرح الرضي على الكافية ٢/٢٣٩ .

الاسراء ٥٤ ﴿ وأصله يعلمكم . وهذه الباء قد تستعمل مع مفعول هذه الافعال فأنت تقول (هو يعلم به ويجهل به ويدري به) . قال تعالى : ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى - العلق ١٤ ﴾ .

وإن كان اسم التفضيل من فعل دال على الحب والبغض عدي باللام الى ما هو مفعول في المعنى ويد (الى) الى ما هو فاعل في المعنى . تقول : (هم أحب الناس الى خالد) أي ان خالدأ يحبهم . وتقول : (هم أحب الناس لخالد) أي هم يحبون خالدأ . قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله - البقرة ١٦٥ ﴾ أي يحبون الله . ونقول (هم أبغض الناس الى سعيد) أي ان سعيدأ يبغضهم ، ونقول : (هم أبغض الناس لسعيد) أي هم يبغضونه .

وإن كان من فعل يتعدى الى اثنين عُدي الى اولها باللام وترك الثاني منصوباً نحو (هو اكسى الناس للفقراء الثياب) .

وإن كان من فعل يتعدى بحرف جر عُدي اسم التفضيل بذلك الحرف نفسه تقول : (هو أزهد في الدنيا وأسرع الى الخير^(١٢)) .

أوجه التفضيل

يستعمل اسم التفضيل على أحد ثلاثة أوجه :

- ١ - أن يكون مجرداً من (أل) ومن الاضافة فيكون مفرداً مذكراً وتتصل به (من) لفظاً نحو (محمد أفضل من بكر) او تقديرأ نحو قوله تعالى : ﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً - الكهف ٣٤ ﴾ أي منك^(١٣) . وإذا كان اسم التفضيل يفيد مجرد الزيادة في اصل الوصف لا تفضيل شيء على شيء لم تقترن به (من) كما سبق ذكره .
- ٢ - أن يكون مضافاً وهو على ضربين :

(١٢) أنظر شرح الاثموني ٥٦/٣ ، شرح الرضي ٢٤٤/٢ ، المع ١٠٢/٢ .

(١٣) أنظر شرح ابن عقيل ٤٦/٢ - ٤٧ ، شرح ابن يعيش ٩٦/٦ - ٩٧ .

أ- أن يكون مضافاً الى نكرة فيلزم الافراد والتذكير نحو: (محمد أفضل رجل) و
 عائشة أفضل امرأة) ويلزم المضاف اليه أن يطابق الموصوف نحو (المحمدان
 أفضل رجلين) و (المحمدون أفضل رجال) و (الهندات أفضل نسوة).
 ب- أن يكون مضافاً الى معرفة ويجوز فيه المطابقة وعدمها نحو: (هند أفضل النساء
 أو أفضل النساء) و (المحمدان أفضل الرجال أو أفضل الرجال). قال تعالى:
 ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة - البقرة ٩٦﴾ فأفرد. وقال: ﴿وكذلك
 جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين﴾ الانعام ١٢٣ ﴿فطابق.

وثمة فرق بين المطابقة والافراد، فإن الافراد يقصد به التفضيل تنصيصةً وأما
 المطابقة فهي تحتل أن المراد باسم التفضيل مجرد الزيادة في الوصف وتحتل التفضيل
 ايضاً كما يحتل أن المقصود به الذات لا الوصف. قال تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص
 الناس على حياة - البقرة ٩٦﴾ وقال ﴿ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
 والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصاري - المائدة
 ٨٢﴾، وقال ﴿أولئك هم خير البرية - البينة ٧﴾، وقال: ﴿أولئك هم شر
 البرية - البينة ٦﴾ فأفرد في كل ذلك والمقصود به التفضيل نصاً.

وقال: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين﴾ الانعام ١٢٣ ﴿وقال:
 ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا - هود ٢٧﴾ فطابق، وقد يقصد بذلك
 التفضيل وقد يقصد بهم الاشخاص الموصوفون بهذه الصفات أي الذوات بمعنى هذا
 الصنف من الناس، وقد يكون المقصود به الزيادة في الوصف. فانك قد تقول مثلاً
 (هذا أحسن العراق) ولا تقصد به التفضيل على العراق وإنما تقصد هذا هو
 الاحسن الذي في العراق أو الاحسن العائد الى العراق، فإن قصدت نحو هذا المعنى
 وجبت المطابقة لأنك لم تقصد به المفاضلة فتقول: (هؤلاء أحسن العراق) أي
 الاحسن العائدون الى العراق. فالافراد يدل على التفضيل نصاً وأما المطابقة فهي
 تحتل التفضيل وعدمه.

جاء في (شرح الاشموني): "وما لمعرفة أضيف ذو وجهين متقولين عن ذي معرفة
 هما المطابقة وعدمها. هذا إذا نويت ب (أفعل) معنى (من) أي التفضيل على ما

أضيف اليه وحده... وإن لم تنو بأفعل معنى (من) بأن لم تنويه المفاضلة أصلاً أو تنويهاً لا على المضاف اليه وحده بل عليه وعلى كل ما سواه فهو طبق ما به قرن وجهاً واحداً كقولهم (الناقص والاشج اعدلا بني مروان) أي عادلاهم ، ونحو: (محمد ﷺ أفضل قرش) أي أفضل الناس من بني قرش ، وإضافة هذين النوعين لمجرد التخصيص ولذلك جازت إضافة (أفعل) فيها الى ما ليس هو بعضه بخلاف المنوي فيه معنى (من) فانه لا يكون إلا بعض ما أضيف اليه ، فلذلك يجوز (يوسف أحسن اخوته) ان قصد الاحسن من بينهم أو قصد حسنهم ، ويمتنع ان قصد أحسن منهم (١٤)“.

ولا يضاف (أفعل) اذا قصد به التفضيل الى شيء الا وهو بعضه كقولك : (خالد أفضل الرجال) فإن خالداً رجل ولا يصح أن تقول (خالد أفضل النساء). وتقول : (أبو بكر أفضل بني تميم) أي هو منهم ولا يصح أن تقول (أبو بكر أفضل بني مخزوم) لانه ليس منهم بل يجب أن تقوله بـ (من) اذا أردت ذلك فتقول : (أبو بكر أفضل من بني مخزوم) و(فاطمة أفضل من كثير من الرجال) فإن التفضيل بـ (من) لا يشترط أن يكون المفضل من جنس المفضل عليه.

جاء في (المقتضب) : ”ولا يضاف (أفعل) الى شيء الا وهو بعضه كقولك : (الخليفة أفضل بني هاشم). ولو قلت : الخليفة أفضل بني تميم كان محالاً لانه ليس منهم وكذلك تقول (الخليفة أفضل من بني تميم) لان (من) دخلت للتفضيل وأخرجتهم من الاضافة (١٥)“.

وقد تقول : ما الفرق بين قولك : (محمد أفضل رجل) و(محمد أفضل الرجال) ؟ والجواب أن قولك (محمد أفضل الرجال) يقصد به تفضيل محمد على جميع الرجال أي هو الرجل الذي لا أفضل منه.

(١٤) شرح الاشموني ٤٨/٣ - ٤٩ وانظر التصريح ١٠٥/٢

(١٥) المقتضب ٣٨/٣ وانظر شرح ابن يعيش ٩٦/٦.

وأما قولك (محمد أفضل رجل) فعناه أن محمداً فيه صفات الرجل الأفضل أي إنك إذا عرفت كيف يكون الرجل الفاضل في أعلى صفاته وفضله فذلك الرجل الفاضل جداً هو محمد.

جاء في كتاب (التطور النحوي) : " فإضافة الوصف الى مفرد منكر (أفضل رجل) خاصة بالعربية فنكروا المضاف اليه بدل تعريفه فأشاروا بذلك الى أن الرجل ليس بالأفضل الذي لأفضل منه بين الرجال البتة بل واحد من الافاضل وأفردوا المضاف اليه بدل جمعه لانهم لو قالوا (أفضل الرجال) لكان المعنى : الأفضل الذي لأفضل منه بين بعض الناس ، وهذا غير المراد. فالإضافة في (أفضل رجل) قريبة منها في (مدينة بغداد) ومثلها أي تبينية فكما أن (مدينة بغداد) معناها المدينة التي هي بغداد فكذلك (أفضل رجل) معناها فضل كثير الفضل هو رجل.

والإضافة في (أفضل الرجال) تخالف تلك فهي إضافة البعض الى الكل. فينتج من الفرق في طبيعة الإضافة بين العبارتين فرق في المعنى زائد على ما ينتج من تنكير الرجل وافراده في (أفضل رجل) ، وذلك أن معنى (أفضل رجل) لا يكاد يزيد على : رجل فاضل جداً^(١٦).

٣- أن يكون معروفاً ب (أل) وتلزم فيه المطابقة ولا تذكر معه (من) التفضيلية تقول : (محمد الأفضل) و (خديجة الفضلى).

وهذه الصفة تستلزم أن يكون الموصوف بها في أعلى درجات المقابلة. قال تعالى : ﴿ ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين - آل عمران ١٣٩ ﴾ ، وقال : ﴿ والله الاسماء الحسنى - الاعراف ١٨٠ ﴾ وقال ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا - التوبة ٤٠ ﴾ وقال : ﴿ والله المثل الاعلى - النحل ٦٠ ﴾ وقال : ﴿ هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاً - الكهف ١٠٣ ﴾ وقال : ﴿ لا تخف إنك أنت الاعلى - طه ٦٨ ﴾ وقال : ﴿ فأولئك لهم الدرجات العلى - طه ٧٥ ﴾ وقال : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون - الدخان ١٦ ﴾ .
فالتفضيل ب (ال) هو أعلى وأعم درجات المقابلة.

(١٦) التطور النحوي ١٠١.

النداء

المنادى هو المطلوب اقباله بحرف نداء ظاهر أو مقدّر^(١).
وحروف النداء هي : (يا وأيا وهيا وآ وأي والهمزة) وذلك نحو قوله تعالى :
﴿يَا آدَمُ انبِثْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ - البقرة ٣٣﴾ وقول الشاعر :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تحزن على ابن طريف
وقوله
فقلت : هيا رباه ضيفُ ولا قرى بحقك لانحرمة تا الليلة اللها
وقوله :
أفاطم مهلاً بعضَ هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمني فأجملي

وأشهرهن (يا) ولم يرد من حروف النداء في القرآن الكريم غيرها.
وأما أيا وهيا فهما ليسا الآ (يا) مسبوقه بالهمزة او بالهاء.
وقد ذهب قسم من النحاة الى أن ماعدا الهمزة من أحرف النداء وهي (يا وأيا وهيا وآ وأي) تكون لنداء البعيد أو من هو بمنزلة ، وأما الهمزة فللقريب.
جاء في (الكتاب) : "الا أن الأريئة غير الألف"^(٢) قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم او للانسان المعرض عنهم الذي يرون أنه لا يقبل عليهم الاً باجتهاد أو النائم المستقل.

(١) المنادي عند النحاة هو المطلوب اقباله بحرف نائب مناب ادعوا لفظاً أو تقديرأ. شرح الرضي على الكافية ١٤١/١.

(٢) لم يذكر سيبويه الالف الممدودة (آ) وقد ذكرها ابن مالك - أنظر شرح ابن عقيل ٧١/٢.

وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الالف ولا يستعملون الالف في هذه المواضع التي يمدون فيها^(٣).

وذهب آخرون الى أن (يا وأيا وهيا) للبعيد ومن هو بمنزلة و (أي) والهمزة للقريب^(٤).

وقيل إن (أيا وهيا) للبعيد و (أي والهمزة) للقريب و (يا) لها. وقيل إن (أي) للمتوسط^(٥).

والحق ان (أي) لا تكون للبعيد لان البعيد يحتاج الى مد الصوت لندائه و (أي) ليس فيها مد بخلاف (يا) واخواتها.

جاء في (شرح ابن يعيش) : " وأي والهمزة تستعملان اذا كان صاحبك قريباً ، وإنما كان كذلك من قبل أن البعيد والمتراخي والنائم والمستقل والساهي يفتقر في دعائهم الى رفع صوت ومدّه . وهذه الاحرف الثلاثة التي هي (يا) و (ايا) و (هيا) اواخرهن الفات والألف ملازمة للمد فاستعملت في دعائهم لامكان امتداد الصوت ورفعه وليست الياء هنا في (أي) كذلك لانها ليست مدة والهمزة ليست من حروف المد فاستعملت للقريب^(٦) . "

وقد ينادى القريب بما هو للبعيد كقولك (يا أخى) مع أنه قريب منك قال تعالى : ﴿ قالوا ياأبانا مالك لاتأمنّا على يوسف - يوسف ١٢ ﴾ وقال : ﴿ يا صاحبي السجن - يوسف ٣٩ ﴾ .

حذف حرف النداء :

يجوز حذف حرف النداء نحو قوله تعالى : ﴿ يوسف اعرض عن هذا - يوسف ٢٩ ﴾ وقوله : ﴿ اعملوا آل داود شكراً - سبأ ١٣ ﴾ ، ويلزم ذكر حرف النداء مع

(٣) كتاب سيبويه ١/٣٢٥ ، وانظر شرح ابن عقيل ٢/٧١ .

(٤) المفصل ٢/٢٠٢ .

(٥) شرح الاشموني ٣/١٣٤ .

(٦) شرح ابن يعيش ٨/١١١ .

(الله) ومع اسم الجنس سواء كان نكرة مقصودة أم غير مقصودة واسم الإشارة ، فإذا ناديت (الله) قلت : يا الله وكذا اسم الجنس واسم الإشارة نحو (يا رجل) و (يا هذا) وليس لك أن تحذف حرف النداء وشذ (أصبح ليل) أي باليل و (افتد مخنوق) أي يا مخنوق و (أطرق كرا) أي يا كروان ويلزم الحرف في الاستغاثة والتعجب والندبة^(٧) نحو يا خالد ويا للهول ويا محمداً.

ويبدو أن للحذف اغراضاً وخصوصاً في الكلام الفني ومن ذلك :

١ - الحذف للعجلة والاسراع بقصد الفراغ من الكلام بسرعة نحو قولك (خالد احذر) وكقولك (أحمد أحمد انتبه).

٢ - وقد يكون الحذف للإيجاز وذلك لأن المقام قد يكون مقام إيجاز واختصار لا مقام تبسط واطالة وذلك نحو قوله تعالى في سورة الاعراف : ﴿قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني - ١٥٠﴾ فحذف حرف النداء (يا) من المنادى (ابن أم) في حين قال في سورة طه : ﴿قال يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي - ٩٣﴾ بذكر (يا).

والسبب والله أعلم أن السياق في سورة الاعراف سياق إيجاز واختصار بخلاف آيات طه واليك كلاً من السياقين :

قال تعالى في سورة الاعراف : ﴿ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفاً قال : بشما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال : ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تسميت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ١٥٠ قال : رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وانت أرحم الراحمين ١٥١﴾.

وقال في سورة طه : ﴿فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً قال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً؟ أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يخلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدني ٨٦ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حُمِّلنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري ٨٧...﴾.

(٧) أنظر شرح الرضي على الكافية ١/١٧٢ ، شرح الأشموني ٣/١٣٥.

ثم ذكر موقف هرون : ﴿ولقد قال لهم هرون من قبل : يا قوم إنما فُتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ٩٠﴾ ثم توجه باللوم الى هرون : ﴿قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعن أف عصيت أمري ٩٢ ، ٩٣﴾ .

فأجابه هرون : ﴿قال يابن أمّ لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقّب قولي ٩٤﴾ ويستمر الكلام .

فالكلام في سورة الاعراف كان مختصراً موجزاً وكان الموقف موقف عجلة واسراع ولانقول موقف تسرع فقد جاء موسى غضبان اسفا والقي الألواح وأخذ برأس اخيه يجره اليه من دون سؤال أو استفهام فحذف (يا) النداء تمشياً مع هذا الحذف والاختصار .

واما في سورة طه فالسياق سياق اطالة وسؤال وأخذ وردّ ولوم فجاء ب (يا) وكأن هرون في الآية الاولى اراد الاسراع في تبين الامر لموسى إذ لا مجال للاطالة وقد اخذ موسى برأسه يجره اليه فحذف (يا) حتى ان القرآن لم يذكر هنا قول هرون (لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي) تمشياً مع الایجاز في الكلام وهو المناسب لموقف العجلة التي اتسم بها السياق .

واما في آيات طه فالسياق سياق اطالة وتبسط في الكلام ، فقد جاء موسى غضبان اسفا وسأل قومه موثقاً لهم على فعلتهم قائلاً : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسناً ...

فأجابه قائلين : (ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حُملنا اوزاراً من زينة القوم فقد فناها)

ثم ذكر موقف هرون منهم فقال : (ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فُتنتم به ...)

وجواب قومه له : (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) . ثم توجه بالسؤال واللوم الى هرون : (قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعن ؟ ...) فأجابه هرون موضحاً له الامر : (قال يابن أم لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي ...) فجاء ب (يا) متودداً محاولاً كسر حدة غضبه .

فحذف (يا) من آية الاعراف هو المناسب لسياق الایجاز والعجلة وذكرها في سورة طه هو المناسب لسياق التبسط في الكلام والایضاح والتبيين.

ومن الخذف للاختصار قوله تعالى ﴿يوسفُ اعرض عن هذا واستغفري لذنبك - يوسف ٢٩﴾ فقد ارادوا ستر المسألة والكف عن الخوض فيها فقالوا ذلك بأخصر طريق حتى انهم لم يذكروا حرف النداء ، فحذف حرف النداء تمشيا مع هذا الاختصار والتستر.

٣- قد يكون ذكر (يا) للزيادة في التنبيه وللزيادة في التفريع وذلك نحو قوله تعالى : ﴿قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والارض - الاعراف ١٥٨﴾ وقوله : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم - الحج ١﴾ وقوله : ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلمهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضَعُف الطالب والمطلوب - الحج ٧٣﴾ وقوله : ﴿يا أيها الانسان ما غرَّك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدَّلَكَ - الانفطار ٦﴾ بخلاف قوله تعالى : ﴿ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا - النساء ١٣٣﴾ ففي الآيات الاولى من الزيادة في التنبيه ومد الصوت للاسماع ما ليس في الاخيرة ، وهو واضح .

٤- قد يكون الخذف لقرب المنادى من المنادي سواء كان القرب حقيقيا ماديا ام معنويا فكان المنادى لقربه لا يحتاج الى واسطة لندائه ولو كان حرف نداء كأن تقول لمن تناديه وهو قريب منك : (خالد أتدري ماذا حلَّ بفلان ؟) ونحو قوله تعالى : ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت - هود ٧٣﴾ وقوله : ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا - الاحزاب ٣٣﴾ . وقوله : ﴿اعملوا آل داود شكرا - سبأ ١٣﴾ فهذا للقرب المعنوي بخلاف قوله تعالى : ﴿يا أهل الكتاب لم تُحاجُّون في ابراهيم - آل عمران ٦٥﴾ .

اللهم :

نداء لله تعالى ولا يذكر معه (يا) . قال تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك - آل عمران ٢٦ ﴾ .

وعند البصريين ان اصله (يا الله) والميم بدل من (يا) بدليل أنك لو اسقطت الميم لوجب ذكر (يا) فتقول : (يا الله) .
وعند الكوفيين ان الميم مقتطعة من جملة (أَمْنَا بخير) ^(٨) .
وقد دلت الدراسات الحديثة على أن اصلها عبري هو (أوهيم) ، ومعناها (الآلهة) وهم يريدون به الواحد وانما جمعه للتعظيم .
”وقد تخرج (اللهم) عن النداء فيستعمل في وجهين آخرين :

احدهما ان يذكرها المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع يقول لك (أزيد قائم؟) فتقول : (اللهم نعم) ، أو (اللهم لا) .
الثاني ان تستعمل دليلا على الندرة وقلة وقوع المذكور كقولك : (أنا لا ازورك اللهم الا أن تدعوني) الا ترى أن وقوع الزيارة مقرونة بتقدم الدعاء قليل؟ ^(٩) .

والظاهر في هذا ونحوه ان اصله نداء ثم انمحق عنه معنى النداء وذلك ان قولك لمن قال لك (أزيد قائم؟) : (اللهم نعم) هو إشهاد الله على جوابك فكأنك قلت : يا الله اشهد على ما اقول . وهذا الإشهاد تمكين للجواب في نفس السامع . وكذلك ما بعده وهو كونها دليلا على الندرة نحو قولك (انا لا ازورك اللهم الا أن تزورني) فهذا إشهاد لله على قولك كالأولى ، وأما الندرة فهي مفهومة من العبارة ولو لم تذكر (اللهم) . والمعنى على النداء ، ويدلك على ذلك أننا في الدارجة نستعمل (يارب) في نحو هذا فنقول مثلا (أنا لا أذهب اليه يارب الا إذا جاء واعتذرآلي) . وهذا نداء كما ترى غير أنه انمحق منه الاحساس بالنداء في التعبير .

(٨) أنظر كتاب سيبويه ١/ ٣١٠ ، شرح الرضي على الكافية ١/ ١٥٧ ، الممع ١/ ١٧٨ ، التصريح ٢/

١٧٢ .

(٩) التصريح ٢/ ١٧٢ ، وانظر شرح الاشموني ٣/ ١٤٧ .

المنادى

المنادى إذا كان مفرداً معرفة بني على ما يرفع به نحو يا خالداً ويا رجلاً بلاتنوين .
ويدخل في المفرد المعرفة العلم المفرد والنكرة المقصودة نحو (يا رجلاً) وذلك لأنك
تقصّد به واحداً بعينه وغيرهما نحو (يا هذا) .

ومن المعلوم أن المراد بالمفرد هنا ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف فيدخل فيه المثنى
والجمع فقولك (يا رجلاً) و (يا رجلاً) منادى مفرد .
وإذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف أو كان نكرة غير مقصودة فهو منصوب فالمضاف
نحو يا عبد الله ويا بائع الصحف .

والشبيه بالمضاف هو ما اتصل به شيء من تمام معناه بعمل أو عطف قبل النداء .
والعمل إما رفع أو نصب أو جر بالحرف . فالرفع نحو (يا حسنًا وجهه) و (يا مضروباً
أخوه) .

والنصب نحو (يا مهيناً أباه) (يا سائراً فوق الخشبة) .

والجر نحو (يا مارةً بخالد) (يا رؤوفاً بالعباد) .

والعطف قبل النداء نحو (ثلاثة وثلاثين) فيمن سمّيته بذلك قبل النداء وذلك نحو أن
تضع أرقاماً للأفراد فتناديهم بأرقامهم : يا خمسة ، يا ستة ، يا سبعة عشر ، يا ثلاثة
وثلاثين ، فهذا يجب نصبه للطول "وإن ناديت جماعة هذه العدة عدتها فلا يخلو أما أن
تكون معينة أولاً ، فإن كانت غير معينة نصبتها أيضاً . أما الأولى فلأنه اسم نكرة غير
مقصودة . وأما الثانية فلأنه معطوف على منصوب ، وإن كانت معينة ضمنت الأولى
لأنه نكرة مقصودة معرفة بالقصد والاقبال وعرفت الثانية ب (أل) ونصبته أو رفعته
بالعطف على المحل أو اللفظ كما في قولك : (يا زيد والضحاك)" (١٠) .

وكذا إذا ناديت رجلاً وامرأة فإن كانا نكرتين غير مقصودتين قلت : (يا رجلاً
وامرأة) بنصبها ، وإن كانا مقصودتين قلت : (يا رجلاً والمرأة) بضم الرجل ورفع المرأة
ونصبها وتعريفها ب (ال) وقيل يجوز (يا رجلاً وامرأة) (١١) .

(١٠) التصريح ٢ / ١٦٧ - ١٦٨ .

(١١) انظر حاشية الصبّان ٣ / ١٤١ .

والنكرة غير المقصودة نحو قولك (يا غافلاً والموت يطلبه أفق) وكقول
الاعمى : (يامارا خذ بيدي) ولا يقصد به واحد بعينه .

فالفرق بين النكرة المقصودة وغير المقصودة ان المنادى في الاولى معين وفي الثانية
غير معين .

ويتبين من هذا :

١ - ان المنادى المضموم معرفة دوماً نحو قولك (يارجلُ) و (يا قائمُ) (يا خالداً) .

جاء في (كتاب سيويه) : " ان كل اسم في النداء مرفوع معرفة وذلك انه
إذا قال يارجل ويا فاسق فعناه كمعنى يا ايها الفاسق ويا ايها الرجل " (١٢) .
وقد حذف منه التنوين للدلالة على التعريف .

جاء في (الكتاب) : " ومما يقوي أنه معرفة ترك التنوين فيه " (١٣) .

وقالوا ان سبب بنائه على الضم انه لو بني على الكسر لالتبس بالمنادى المضاف الى
ياء المتكلم عند حذف يائه اكتفاءً بالكسرة فاذا قلت (يا غلام) دل ذلك على أنه
مضاف الى ياء المتكلم بمعنى يا غلامي . قال تعالى : ﴿ قال رب ارجعوني - المؤمنون ﴾
٩٩ .

ولو بني على الفتح لالتبس به عند حذف الفه اكتفاءً بالفتحة (١٤) . فقولك
(يا غلام) معناه (يا غلامي) . قال تعالى ﴿ يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي - طه ﴾
٩٣ ، أي : (يا بن امي) .

وسواء كان هذا اختياراً مقصوداً من العرب الاوائل ام لا فانه لاشك ان معنى
الضم غير معنى النصب والكسر .

٢ - ان المنادى النكرة منصوب نحو (يارجلاً) (ياماراً) .

(١٢) كتاب سيويه ١ / ٣١٠ .

(١٣) كتاب سيويه ١ / ٣١١ .

(١٤) حاشية الصبان ٣ / ١٣٧ وانظر حاشية الخضري ٢ / ٧٢ .

جاء في (الكتاب) : "وقال الخليل : اذا اردت النكرة فوصفت أو لم تصف
فهذه منصوبة" (١٥).

٣- المنادى المضاف والشبيه بالمضاف منصوب نحو (يا عبد الله) (يا طيباً
أصله).

وعلى هذا فتقولك :

- ١- يا غلام - هو نداء لغلام معين .
- ٢- يا غلام - هو نداء لغلامك بمعنى يا غلامي .
- ٣- يا غلام - هو نداء لغلامك بمعنى يا غلامي .
- ٤- يا غلاماً - نداء لأي غلام كان أي نكرة غير مقصودة .
- ٥- يا غلام محمد - نداء لغلام محمد .

نداء المَعْرِفِ بـ (أل) :

يتوصل الى نداء المَعْرِفِ بـ (أل) بـ (أَيَّ) ويؤتى بالمنادى مرفوعاً فيقال (يا ايها
الرجل) قال تعالى : ﴿يا ايها النبي حسبك الله - الانفال ٦٤﴾ وقال : ﴿قل يا ايها
الكافرون - الكافرون ١﴾ فالنبي في الحقيقة هو المنادى وليس (أياً) وكذلك ما بعده
وانما جيئ بـ (أَيَّ) توصيلاً لنداء مافيه (أل) .

وقد ذهب النحاة الى أن معنى المنادى المَعْرِفِ بـ (أل) والنكرة المقصودة واحد
لأنها معرفة فتقولك (يارجل) كقولك (يا ايها الرجل) .

قال سيوييه : "اذا قال يارجل ويافاسق فعناه كمعنى يا ايها الفاسق ويا ايها
الرجل ، ، (١٦) .

والحقيقة انه ليس معناه واحداً فان المنادى في قولك (يارجل) نكرة في الاصل
فقصده بنذائك له . واما المَعْرِفِ بـ (أل) فهو معرفة قبل قصده بالنداء . فـ (أل)
هذه قد تكون (أل) الجنسية او العهدية .

(١٥) كتاب سيوييه ١ / ٣١١ ، ٣١٣ .

(١٦) كتاب سيوييه ١ / ٣١٠ .

فتمة فرق بين قولك (يانبي) و (يا ايها النبي) و (يارسول) و (يا ايها الرسول) و (ياملك) و (يا ايها الملك).

ف (نبي) نكرة في الاصل ثم قصدته بالنداء وكذلك (رسول) و (ملك) وأما (النبي) في (يا ايها النبي) فعرفة وهو معين قبل ندائه فتأديت هذه المعرفة. ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ - الحجر ٦ فالذي نزل عليه الذكر معرفة قبل ندائه.

ان الفرق بين هذين المنادين كالفرق بين قولك (يارجل) و (ياخالد) فرجل نكرة قبل ندائه وقد قصدته بالنداء ، واما (خالد) فهو معرفة قبل ندائه فتأديته. وقد يؤتى بـ (أي) للتعظيم نحو: (يا أيها الملك) (يا أيها العزيز) بخلاف ما لو قلت (ياملك) (ياعزيز) فانه ليس في هذا تعظيم.

جاء في (تفسير الرازي): "قول القائل (يارجل) يدل على النداء وقوله (يا ايها الرجل) يدل على ذلك ايضا وينبئ عن خطر خطب المنادي له أو غفلة المنادي" (١٧).

وقد يتوصل الى نداء المعرف بـ (ال) باسم الاشارة ايضا نحو (يا هذا الرجل) و (يا هذه المرأة) فيكون في الرجل والمرأة الرفع فحسب. ويصح في نحو هذا أن تنادي اسم الاشارة وتجعل مابعده تابعا له فيكون فيه الرفع والنصب.

والخلاصة ان المعرف بـ (ال) اما أن يتوصل الى ندائه بـ (أي) واما أن يتوصل الى ندائه باسم الاشارة فيقال (يا ايها الرجل) و (يا هذا الرجل) ويكون فيه الرفع فحسب في الحالتين.

غير أنه يصح أن تنادي اسم الاشارة مفرداً او متبوعاً بتابع فتقول (يا هذا) و (يا هذا الرجل) ، و (يا هذه) و (يا هذه المرأة) ، و (يا هؤلاء) (يا هؤلاء الرجال) فيكون مابعده تابعا له فيه الرفع والنصب (١٨). في حين انه لا يصح الاكتفاء بـ (أي) فلا يقال: (يا أي) رلاً (يا أيها).

(١٧) التفسير الكبير ٢٥ / ١٨٩.

(١٨) انظر كتاب مسيوه ٣٠٦ / ١ ، ٣٠٧ ، شرح ابن يعيش ٧ / ٢ - ٨ ، التصريح ١٧٤ / ٢ - ١٧٥ ، شرح الاشموني ٣ / ١٥٠ - ١٥٣.

فقولك (يا ايها الرجل) هو نص في نداء الرجل ، واما قولك (يا هذا الرجل) فهو
يحتمل نداء الرجل ونداء اسم الاشارة .

- ومن هذا يتضح أن الفرق بين نداء (أَيَّ) واسم الاشارة من اوجه اهمها :
- ١ - انه لا يجوز الاكتفاء بـ (أَيَّ) ويجوز الاكتفاء باسم الاشارة فلا تقول (ياايها)
ويصح أن تقول : (يا هذا) .
 - ٢ - ان قولك (يا ايها الرجل) هو نص في نداء الرجل ، واما قولك (يا هذا الرجل)
ففيه احتمالان : نداء اسم الاشارة ونداء المعرف بـ (أل) .
 - ٣ - انه لا يجوز غير الرفع في تابع (أَيَّ) ويجوز الرفع والنصب في تابع اسم الاشارة .
 - ٤ - ان قولك (يا هذا الرجل) - بنصب الرجل - نص في نداء اسم الاشارة .
 - ٥ - ان في النداء بـ (أَيَّ) من التعظيم ما ليس في الاشارة ففي قولك (ياايها الملك)
من التعظيم ما ليس في قولك (يا هذا الملك) والله اعلم .

المنادى المضاف الى ياء المتكلم

فيه لغات ، اجودها حذف الياء والاكتفاء بالكسرة نحو قوله تعالى : ﴿رَبِّ ابْنِ
لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ - التحريم ١١ .
والثانية اثبات الياء نحو (يا اخي) و (يا صديقي) .
والثالثة أن تفتح الياء نحو (يا غلامِي) قال تعالى : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ اسْرَفُوا
عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ - الزمر ٥٣ . وقد قلب الياء الفا نحو
(يا غلاما) .

وهناك لغة أخرى وهي حذف الالف والاكتفاء بالفتحة نحو (يا غلام) . وهذا
تكون اللغات في نداء المضاف الى ياء المتكلم على النحو الآتي :

- ١ - يا غلام
- ٢ - يا غلامي
- ٣ - يا غلامي
- ٤ - يا غلاما
- ٥ - يا غلامَ

ولما كانت هذه لغات لم يكن الاختلاف فيها لأمر يتعلق بالمعنى، فن العرب من يقول: (يا غلام) وهي أشهر اللغات، ومنهم من يقول: (يا غلامي)، وهكذا^(١٩).

تابع المنادى

واحواله قائمة على اختلاف اللغات ايضاً، فن العرب من يقول مثلاً (يا اخانا خالداً) ومنهم من يقول (يا اخانا خالد)، ومنهم من يقول (يا خالد والنض) ومنهم من يقول (يا خالد والنض)^(٢٠).

وهذا لا يتعلق به اختلاف معنى لانه أمر يقوم على اختلاف اللغات وهو نظير قول الحجازيين (ما محمد حاضراً) وقول التميميين (ما محمد حاضراً) لا يتعلق باختلاف الحركة اختلاف معنى.

غير أن الاختلاف يكون تابعا للمعنى اذا كان الامر متعلقا بالتنكير والتعريف نحو (يا خالد ورجلاً) و (يا خالد ورجل) ف (رجلاً) المنصوبة نكرة و (رجل) بالضم معرفة^(٢١).

وقد ذكرنا في المشبه بالمضاف أنه اذا عطف على المنادى نكرة مقصودة، وجب تعريفه بـ (ال) فتقول (يارجل والمرأة)، واجاز بعضهم (يارجل وامرأة).

ويبدو لي أن كليهما جائز وأن المعنى مختلف بين ادخال (أل) وحذفها وذلك ان المعروف بـ (أل) هو معرفة قبل دخول (يا) عليه فناديته، واما النكرة المقصودة فهو نكرة غير أنك عرفت به بالقصد وقد مرّ تبين ذلك بما فيه الكفاية.. وعلى هذا يصح أن نقول:

- ١- يارجل وامرأة- فيكون الرجل معرّفاً بالقصد وتكون المرأة نكرة.
- ٢- يارجل وامرأة- المنادى نكرة غير مقصودة والمعطوف معرّف بالقصد.

(١٩) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣١٦-٣١٧، شرح ابن بيش ٢/ ١١.

(٢٠) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٠٤، ١/ ٣٠٥.

(٢١) انظر شرح الرضي على الكافية ١/ ١٤٦.

- ٣- يارجلًا وامرأة- كلاهما نكرة غير مقصودة .
٤- يارجلُ وامرأة- كلاهما معرف بالقصد .
٥- يارجلُ والمرأة- الاول معرف بالقصد والثاني معرف قبل دخول حرف النداء عليه . واما حركة المعطوف المعرف بـ (ال) ففيها لغتان : الرفع والنصب ولا ينبغي عليها اختلاف في المعنى .

الترخيم

وفيه لغتان^(١) : لغة من ينتظر ولغة من لا ينتظر فتقول (يا أَحْمَ) في نداء (أحمد) على لغة من ينتظرو (ياأحم) على لغة من لا ينتظر. ولا يتعلق بذلك اثر في المعنى لأنها لغتان. واللغة الاولى اكثر استعمالا^(٢).

اما الغرض من الترخيم :

١ - فقد يكون للفراغ من النداء بسرعة للافضاء الى المقصود وهو المنادى له. جاء في (شرح الرضي على الكافية) : " الترخيم في المنادى دون غيره لكثرته ولكون المقصود في النداء هو المنادى له فقصد بسرعة الفراغ من النداء الافضاء الى المقصود بحذف آخره اعتباطاً " ^(٣).

٢ - اظهار أن المتكلم عاجز عن اتمام بقية المنادى لضعفه عن ذلك بمرض أو نحوه فيقول مثلاً (ياخال) منادياً (خالدا) كأنه لا يستطيع اتمام بقية الاسم. وهذا يحصل كثيراً في حياتنا اليومية فاننا نسمع المريض احياناً ينادي ابنه أو أخاه أو صديقه فلا يتم اسمه كأنه يعجز عن ذلك.

٣ - قد تقتضي الضرورة الشعرية هذا الحذف ليستقيم الوزن كقوله :

أفاطم لو شهدت بيطن خبت وقد لاقى الهزير أخاك بشرا

وقوله :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل

(١) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٢٩ - ٣٣٣ ، شرح ابن يعيش ٢/ ٢١ ، الجمع ١/ ١٨٤ ، التصريح ٢/ ١٨٨ .

(٢) انظر الجمع ١/ ١٨٤ ، التصريح ٢/ ١٨٨ .

(٣) شرح الرضي على الكافية ١/ ١٦٠ .

الاستغاثة

الاستغاثة هي نداء من يخلص من شدة أوجع على مشقة^(١). والغالب في نداء المستغاث أن يجر بلام مفتوحة وجوبا نحو (ياخالد) إذا دعوته ليعينك ، وغير الغالب أن يحذف حرف الجر ويؤتى في آخر المستغاث بالف نحو (ياخالداه).
وعناصر الاستغاثة هي :

- ١ - المستغاث : ويسمى ايضا المستغاث به نحو (ياالله) وقد ذكرنا أنه يجر بلام مفتوحة إلا إذا كان المستغاث ياء المتكلم فانه يجر باللام المكسورة نحو (ياي) ، وكذا إذا كان معطوفاً ولم تُعد معه (يا) فإن أعدت (يا) وجب فتح اللام. تقول (ياخالد ولسعيد) بفتح اللام في خالده وكسرها في سعيد فان كررت (يا) فتحت اللام الداخلة على سعيد ايضا فتقول (ياخالداً وسعيداً).
٢ - المستغاث له : ويجر بلام مكسورة فتقول (ياالله للمسلمين) و (ياالمحمد لسعيد) ف (محمد) مستغاث به وسعيد مستغاث له^(٢).
وإذا قلت (ياالمحمد) بكسر اللام علم أنه مستغاث^(٣) له وليس مستغاثا به.

قال سيويه : ” (هذا باب ماتكون فيه اللام مكسورة لانه مدعوه ههنا وهو غير مدعوه وذلك قول بعض العرب : يا للعجب ويا للهيا وكأنة نبه بقوله (يا) غير الماء للماء“^(٤).

- ٣ - المستغاث^(٥) منه وهو المستنصر عليه ويجر بـ (من) فتقول (ياالمحمد من خالد) إذا استنصرت بمحمد على خالد. وتقول (ياالمحمد من خالد) بكسر

(١) التصريح ١٨٠ / ٢ .

(٢) انظر كتاب سيويه ٣١٩ - ٣٢١ ، التصريح ١٨٠ / ٢ - ١٨١ ، شرح الاثني ١٦٥ / ٣ ،

شرح ابن يعيش ١٣١ / ١ .

(٣) انظر شرح ابن يعيش ١٣١ / ١ .

(٤) كتاب سيويه ٣٢٠ / ١ .

(٥) يسمى النحاة المستغاث منه : المستغاث من اجله والمستغاث له وآثرت هذه التسمية لانها ادل على

المعنى واظهر (انظر شرح الاثني ١٦٥ / ٣ ، شرح الرضي على الكافية ١٤٤ / ١) .

(٦) انظر شرح الرضي على الكافية ١٤٤ / ١ ، شرح الاثني ١٦٥ / ٣ ، حاشية الصبان ١٦٥ / ٣ .

اللام إذا دعوت لنصرة محمد من خالد . وتقول (يا لمحمد لسلام من خالد)
إذا استغثت بمحمد لأن ينصر سالماً من خالد . وتقول : (يا لله من ألم الفراق) و
(يا لي من النوى) للمعنى نفسه .

٤ - المنادى المهدد يجر باللام المفتوحة نحو قولك (يا يزيد لاقتلتك) فأنت تهدده
وتتوعده .

قال سيبويه في قول الشاعر:

يا لبكر انشروا لي كلييا يا لبكر أين أين أبن الفرار

”فاستغاث بهم لأن ينشروا له كلييا وهذا منه وعيد وتهديد . وأما قوله (يا لبكر أين
أين الفرار) فانما استغاث بهم لهم أي لم تفرون استطالة عليهم ووعيداً“^(٧) .

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : ”وقد تدخل اللام المفتوحة على
المنادى المهدد نحو (يا يزيد لاقتلتك) قال مهلهل :

يا لبكر أنشروا لي كلييا يا لبكر أين أين أبن الفرار

وقولهم إن هذه لام الاستغاثة كأنه استغاث بهم لنشركليب واستغاث بهم
للفرار تكلف ولا معنى للاستغاثة ههنا حقيقة ولا مجازاً“^(٨) .

٥ - يجوز أن تحذف لام الجر من المستغاث ويختم حيثنذ بالالف فتقول : (يا محمداه)
أي (يا محمد) ، و (يا عجباً) أي (يا للعجب) .

جاء في (الكتاب) : ”وزعم الخليل أن هذه اللام بدل من الزيادة التي تكون في
آخر الاسم إذا أضفت نحو قولك (يا عجباه) و (يا بركاه) إذا استغثت أو تعجبت
فصار كل واحد منها يعاقب صاحبه“^(٩) .

(٧) كتاب سيبويه ١ / ٣١٨ - ٣١٩ .

(٨) شرح الرضي على الكافية ١ / ١٤٤ .

(٩) كتاب سيبويه ١ / ٣٢٠ ، وانظر المجموع ١ / ١٨١ ، شرح الاشموني ٣ / ١٦٦ .

ويبدو أن الاتيان بالالف ينهي عن استغاثة أقوى وأشد لما فيها من مدّ الصوت .
فالمستغيث بالالف بمدّ صوته طالباً النجدة فقله : (يا بکراه) اشد استغاثة من
(يا بکر). وقد اشرنا الى ذلك في باب التعجب .

وقد يؤتى بالالف لكون المستغاث بعيداً حقيقة أو تجوزاً فيمدّ صوته لاسمعه .

التعجب بأسلوب الاستغاثة : علمنا في باب التعجب أنه قد يتعجب بأسلوب
الاستغاثة فيقال : (يا للهاء) (يا للدا هية) ، وعلمنا ايضاً أنه قد تحذف اللام ويؤتى في
آخر المتعجب منه بالالف فتقول : (يا عجباً) فلانعيد ماسبق ذكره .

الندبة

المندوب هو المتفجع عليه أو المتوَجِّع منه ويكون مسبقاً بـ (وا) أو (يا) فالاول نحو: (وامحمداه) والثاني نحو: (واكبداه)^(١٠).

وتلحق آخر المندوب الف إلا إذا أوقع في لبس ، فلك أن تجعل المد مجانسا لحركة ماقبله نحو (وا أبائكُنه) و (وا أبا هُوه) في ندبة (اييك) و (أبيه).

ويصح أيضاً أن تعامله معاملة المنادى فلا تدمه فتقول (يا عمر) ، و (وا محمد)^(١١) . غير أن الحاق الف الندبة اظهر تفجعا او توجعا لما فيه من مد الصوت .

وتندب المعرفة فقط ولا تندب النكرة ولا المبهم فلا يقال : (وا رجلاه) ولا (وا هذا)^(١٢) .

والحمد لله رب العالمين في البدء والختام

(١٠) التصريح ١٨١ / ٢ ، شرح الاشموني ١٦٧ / ٣ .

(١١) انظر كتاب مسيويه ٣٢١ / ١ ، شرح الاشموني ١٦٨ / ٣ .

(١٢) انظر كتاب مسيويه ٣٢٤ / ١ ، شرح ابن عقيل ٨٢ / ٢ .

مراجع الكتاب

- الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ط ٣ / ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
- احياء النحو لابراهيم مصطفى - القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
سنة ١٩٥٩ .
- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لابي السعود محمد العبادي
مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٢١٠٣ .
- اساس البلاغة لجار الله الزمخشري - مطابع الشعب ١٩٦٠ .
- اساليب القسم في اللغة العربية - كاظم فتحي الراوي - مطبعة الجامعة ببغداد
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- أسرار العربية لابي البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري ، تحقيق محمد بهجة
البيطار - مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .
- اسماء الافعال والاصوات دراسة ونقد - عبد الهادي الفضلي - رسالة ماجستير
مقدمة الى كلية الآداب بجامعة بغداد - بالآلة الكاتبة .
- اسم الفعل دراسة وطريقة تيسير - بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد
السادس عشر للدكتور سليم النعيمي .
- الاشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي ط ٢ - حيدرآباد - الدكن
سنة ١٣٥٩ هـ .
- الاصوات اللغوية لابراهيم أنيس .
- الاقتضاب في شرح ادب الكتاب لابن السيد البطليوسي - المطبعة الادبية -
بيروت - سنة ١٩٠١ م .
- الامالي الشجرية لابي السعادات هبة الله بن الشجري ط ١ ، مطبعة دار
المعارف العثمانية بحيدرآباد - الدكن ١٣٤٩ هـ .
- الامالي النحوية لابن الحاجب مصورة عن مخطوطة الرياض .

- الانتصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال لابن المنير الاسكندري طبع بهامش الكشف- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الانصاف في مسائل الخلاف لابي البركات الانباري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ٣- مطبعة السعادة.
- الانموذج في اصول الفقه للدكتور فاضل عبد الواحد ط ١ مطبعة المعارف ببغداد ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- الايضاح في علل النحول لابي القاسم الزجاجي ، تحقيق مازن المبارك- مطبعة المدني- مصر ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.
- الايضاح في علوم البلاغة تأليف جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ، تحقيق لجنة من اساتذة الازهر- مطبعة السنة المحمدية.
- البحر المحيط لابي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان ط ١ سنة ١٣٢٨ هـ - مطبعة السعادة بمصر.
- بدائع الفوائد لابن القيم - الطباعة المنيرية.
- بديع القرآن لابن ابي الاصبع المصري ، تحقيق حفني شرف ط ١ مكتبة نهضة مصر.
- البرهان في علوم القرآن- لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ط ١ / ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م . دار احياء الكتب العربية .
- تاج العروس شرح القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي منشوات مكتبة الحياة- بيروت - تصوير الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ج ٧ / القسم اللغوي - مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد احمر صقر- دار احياء الكتب العربية .
- تحرير التحبير لابن ابي الاصبع المصري ، تحقيق حفني شرف - نشر لجنة احياء التراث الاسلامي - القاهرة .

- تسهيل السبيل في فهم معاني التتزيل لمحمد تاج الدين أبي الحسن البكري -
مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٢٣٢٠.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك - تحقيق محمد كامل بركات ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- التطور النحوي للغة العربية للاستاذ برجستراسر - مطبعة السباح - طبعها حمد حمدي البكري سنة ١٩٢٩ م.
- تفسير فتح القدير للشوكاني ط ١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٤٩.
- التفسير القيم لابن القيم جمع محمد أويس الندوي - مطبعة السنة المحمدية ١٣٨٦ هـ - ١٩٤٩ م.
- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي - المطبعة البية - مصر.
- الجمل لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ط ٢ سنة ١٩٥٧ م - ١٣٧٦ هـ مطبعة كلنكسيك - ١١ شارع ليل.
- جواهر الادب في معرفة كلام العرب للامام علاء الدين بن علي بن الامام بدر الدين بن محمد الاربلي - المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م.
- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل - مطبعة دار احياء الكتب العربية.
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب - مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بمصر.
- حاشية السيد الشريف ابن الحسن الجرجاني على الكشاف - طبعت مع الكشاف.
- حاشية الشمني على مغني اللبيب - المطبعة البية بمصر.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني - دار احياء الكتب العربية.
- حاشية على شرح التصريح للشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي طبعت مع شرح التصريح.
- حاشية على الكشاف لمجهول - مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٢٢٤٧.
- حاشية على الملا جامي طبعت مع الملا جامي.

- حدائق الدقائق شرح النموذج للزمخشري للبردعي مخطوطة بمكتبة الاوقاف
بيغداد برقم ١٣٥٥.
- خزانة الادب ولب لسان العرب للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي ط ١
بولاق.
- الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار- مطبعة دار الكتب المصرية .
- دراسات لاسلوب القرآن الكريم- محمد عبد الخالق عضيمة- مطبعة
السعادة.
- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري- الدكتور فاضل صالح
السامرائي- مطبعة الارشاد- بغداد ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.
- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي- منشورات دار الآفاق الجديدة
بيروت ط ١ / ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- درة الغواص في اوهام الخواص لابي محمد القاسم بن علي الحريري- نشرته
بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد.
- دلائل الاعجاز- عبد القاهر الجرجاني- ط ٣ أصدرتها دار المنار بمصر سنة
١٣٦٦ هـ.
- ذيل فصيح ثعلب- تأليف موفق الدين أبي محمد عبد اللطيف بن الحافظ بن
أبي العز يوسف بن محمد البغدادي نشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي .
- الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط ١ .
- رسالة ابن كمال باشا في تحقيق معنى (كاد) نشرها الدكتور رشيد العبيدي في
مجلة كلية الدراسات الاسلامية ببغداد- العدد الخامس سنة ١٩٧٣ م-
- ١٣٩٣ هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي ادارة
الطباعة المنيرية- دار احياء التراث العربي .
- شرح ابن عقيل- دار احياء الكتب العربية .
- شرح الاشموني على الفية ابن مالك- دار احياء الكتب العربية .
- شرح الفية ابن مالك لابن الناظم- المطبعة العلوية في النجف سنة ١٣٤٢ هـ.

- شرح التصريح على التوضيح لخالـد بن عبد الله الأزهرى - دار احياء الكتب العربية.
- شرح رضى الدين الاستراباذى على الكافية لابن الحاجب.
- شرح السيرافى على كتاب سيبويه مطبوع بهامش الكتاب.
- شرح شذور الذهب لابن هشام الانصارى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.
- شرح شواهد الاشمونى طبع مع شرح الاشمونى - دار احياء الكتب العربية.
- شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافظ لابن مالك تحقيق عدنان الدورى مطبعة العائى ببغداد ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الانصارى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ٩ سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.
- شرح المختصر على تلخيص المفتاح للفتازانى - طهران.
- شرح المغنى للدمامينى بهامش حاشية الشمنى على المغنى - المطبعة البهية بمصر.
- شرح المفصل للزمخشري لموفق الدين ابن يعيش ، طبع ونشرة ادارة الطباعة المنيرية.
- شرح المقدمة الكافية فى علم الاعراب لابن الحاجب - دار الطباعة العامة نسخة مصورة.
- الشرط بان واذا فى القرآن الكريم - بحث للدكتور علي فودة نشر فى مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض - المجلد الرابع - السنة السابعة ١٣٩٥ هـ - ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٥ م - ١٩٧٦ م.
- الصحاح للجوهري - مطابع دار الكتاب العربى - مصر.
- ضوابط الفنون لابي البقاء الحسينى الكفوى - مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٦٠١٠.
- الطراز ليحيى بن حمزة العلوى - مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م.
- العربية ليوهان فك - ترجمة دكتور عبد الحليم النجار - مطبعة دار الكتاب العربى - القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.

- العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٢ /
١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- الفروق اللغوية لابي هلال العسكري - نشر مكتبة القدسي سنة ١٣٥٣ هـ .
- الفعل زمانه وابنته - الدكتور ابراهيم السامرائي - مطبعة العاني بغداد ١٣٨٦ هـ
١٩٦٦ م.
- فقه اللغة لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي - مطبعة الاستقامة بالقاهرة
١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
- في النحو العربي - مهدي الخزومي .
- القاموس المحيط - لمجد الدين الفيروزابادي ط ٥ شركة فن الطباعة - مصر .
- قضية الاعراب في العربية بين ايدي الدارسين للدكتور رمضان عبد التواب
مقال نشر في مجلة (المجلة) العدد ١١٤ يونيو ١٩٦٦ .
- الكامل لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق الدكتور زكي مبارك ط ١ /
١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- كتاب الاصول لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي - مطبعة
النعمان - النجف الاشرف .
- كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق - نشر مكتبة المثنى ببغداد .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل - لجار الله
الزمخشري مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٣٦٧ هـ -
١٩٤٨ م :
- الكليات لابي البقاء الحسيني الكفوي طبعة بولاق ط ٢ .
- لسان العرب لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري -
مصور على طبعة بولاق .
- اللغات السامية لتولدكه ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٦٣
٢٠٠٢ م .
- المباحث اللغوية في العراق - الدكتور مصطفى جواد ط ٢ / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥
م - مطبعة العاني ببغداد .

- المثل السائر لنصر الله بن الاثير - مطبعة نهضة مصر ط ١ / ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.
- مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هرون - دار المعارف بمصر.
- مختصر المعاني للتفتازاني .
- المخصص لابن سيده - المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ببيروت مصور عن الطبعة الاميرية سنة ١٣٢١ هـ .
- المزهري في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد احمد جاد المولى وجماعة - دار احياء الكتب العربية ط ٤ سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م.
- معاني القرآن لابي زكرياء يحيى بن زياد الفراء - مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- معترك الاقران في اعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد علي البجاوي . دار الثقافة العربية للطباعة .
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- المفردات في غريب القرآن لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني - طهران .
- المفصل في علم العربية للزمخشري نشره محمود توفيق - مطبعة حجازي بالقاهرة .
- المقتضب لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- المقرب لابن عصفور ، تحقيق احمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري مطبعة العاني - بغداد .
- ملا جامي - نشرته بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد .
- من اسرار اللغة لابراهيم أنيس .
- منشور الفوائد لابي البركات بن الأنباري ، مخطوطة بمكتبة احمد الثالث برقم ٢٧٢٩ .

- نحو الفعل لأحمد عبد الستار الجوّاري - مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م :
- النحو الوافي لعباس حسن ط ٢ دار المعارف بمصر.
- النحو والنحاة بين الازهر والجامعة - محمد احمد عرفة - مطبعة السعادة بمصر.
- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز للفخر الرازي - مطبعة الاداب والمؤيد بمصر القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ، ط ١ سنة ١٣٢٧ هـ مطبعة السعادة بمصر.

الفهرست

٣٨٥	جزم المضارع
٣٨٦	الادوات التي يجزم بعدها الفعل
٣٨٦	لام الأمر
٣٨٧	لا الناهية
٣٨٨	لم
٣٨٩	لما
٣٩١	جواب الطلب
٣٩٩	اضمار اللام
٤٠٤	حرفا الاستقبال
٤٠٤	السين وسوف
٤٠٩	فعل الأمر
٤١٠	زمنه
٤١٩	اسماء الأفعال
٤٢٠	التنوين الداخل عليها
٤٢٣	فائدتها
٤٢٤	اقسامها
٤٢٦	فعال
٤٢٧	اسماء الأصوات
٤٢٨	التنوين الداخل عليها
٤٣١	الأساليب
٤٣٢	الشرط
٤٣٤	فعل الشرط
٤٤٢	هل يأتي الشرط للمضي؟
٤٤٧	دلالاته على الحال
٤٤٨	معاني ادوات الشرط
٤٤٨	إن
٤٥٠	إذا

٤٥٨.	اذما
٤٥٩.	أتى
٤٦٠.	أتان
٤٦٠.	أبن
٤٦١.	أتى
٤٦١.	حيثما
٤٦٣.	كيفما
٤٦٣.	ما
٤٦٤.	منى
٤٦٥.	من
٤٦٦.	مهما
٤٦٧.	لو
٤٧٠.	وقوع اللام في جوابها
٤٧٢.	ما الزائدة
٤٧٩.	تقديم الاسم على فعل الشرط
٤٨٢.	اقتران جواب الشرط بالفاء واذا الفجائية
٤٨٢.	اقترانته بالفاء
٤٨٦.	دخول الفاء جوازاً على الجواب
٤٩١.	اقترانته باذا الفجائية
٤٩٤.	رفع جواب الشرط بغير الفاء
٤٩٤.	العطف على الشرط والجواب
٤٩٥.	اجتماع الشرط والقسم
٤٩٧.	حذف جواب الشرط
٤٩٧.	أ- حذفه وجوبا
٥٠٠.	ب- حذفه جوازاً
٥٠٤.	تشبيه الاسم الموصول بالشرط
٥٠٩.	التوكيد
٥١٢.	اغراض التوكيد
٥١٢.	التوكيد المعنوي

٥١٣.	الفاظه .
٥١٦.	كل .
٥٢١.	جميع .
٥٢٣.	أجمع .
٥٢٦.	الأعداد من ثلاثة الى عشرة اذا اضيفت الى ضمير ما تقدمها .
٥٢٨.	التوكيد اللفظي .
٥٣٠.	الغرض من هذا التوكيد .
٥٣٣.	توكيد الفعل بالتون .
٥٣٦.	القسم .
٥٣٦.	اليمين .
٥٣٦.	الحلف .
٥٣٧.	القسم .
٥٣٨.	انواع القسم .
٥٣٩.	احرف القسم .
٥٣٩.	الواو .
٥٤٠.	الباء .
٥٤٠.	التاء .
٥٤١.	اللام .
٥٤٣.	الفاظ تستعمل في القسم .
٥٤٣.	لعمر ك .
٥٤٣.	أيم ن الله .
٥٤٤.	عمر ك الله .
٥٤٥.	قعد ك الله .
٥٤٧.	وقوع (لا) قبل القسم .
٥٥٢.	جواب القسم .
٥٥٥.	حذف (لا) النافية من جملة الجواب .
٥٥٧.	الاستغناء بالجواب عن القسم .
٥٦٣.	حذف جواب القسم .

٥٦٦.	النفي
٥٦٦.	ادوات النفي
٥٦٦.	لم
٥٦٧.	لما
٥٦٧.	لن
٥٦٨.	ليس
٥٧٠.	ما
٥٧٤.	الفرق بين ما ولم
٥٧٥.	من خصوصيات الاستعمال القرآني
٥٨٠.	إن
٥٨٥.	لا
٥٨٥.	ألا تفعل وألست تفعل
٥٨٦.	لات
٥٨٩.	غير
٥٩٠.	قلّ وقلّ وأقلّ
٥٩١.	نفي الفعل
٥٩١.	دلالات النفي
٥٩٢.	١- نفي العمدة
٥٩٦.	٢- نفي القيد
٥٩٧.	٣- نفي الشيء والمراد عدم كماله
٥٩٧.	٤- التقديم والتأخير
٥٩٨.	أ- تقديم الاسم على الفعل
٥٩٩.	تقديم القيد على الفعل
٦٠٠.	ب- وقوع الفعل في حيز النفي وعدمه
٦٠١.	ج- وقوع (كل) في حيز النفي وعدمه
٦٠٣.	٥- تكرير الفعل في النفي
٦٠٤.	٦- نفي النفي
٦٠٥.	اسماء وظروف مختصة بالنفي
	الحروف المؤكدة للنفي

٦٠٦.	الاستفهام
٦٠٦.	ادوات الاستفهام
٦٠٦.	١ - الهمزة
٦١٠.	حذف الهمزة
٦١٣.	٢ - هل
٦١٥.	هل والهمزة
٦١٧.	النفي بهل
٦٢٥.	أم وأو
٦٢٦.	٣ - أم
٦٢٧.	٤ - أتى
٦٢٩.	٥ - أين
٦٢٩.	٦ - أي
٦٢٩.	٧ - أيتان
٦٣٠.	٨ - كم
٦٣٠.	٩ - كيف
٦٣٤.	١٠ - ما
٦٣٥.	ماذا
٦٤٠.	١١ - متى
٦٤٠.	١٢ - من
٦٤٢.	تقديم المستفهم عنه
٦٤٥.	الجواب
٦٤٥.	جواب الهمزة
٦٤٥.	جواب هل
٦٤٦.	جواب اسماء الاستفهام
٦٤٧.	حروف الجواب
٦٤٧.	نعم
٦٤٨.	بلى
٦٤٨.	أجل
٦٤٩.	إن

٦٤٩	إي
٦٥٠	جلل
٦٥٠	خير
٦٥١	التعجب
٦٥١	١ - ما افعله
٦٥٣	افعل التعجب
٦٥٤	التعجب من امر ماض
٦٥٥	ما افعلني له وما افعلني إليه
٦٥٦	٢ - افعل به
٦٥٩	٣ - التحويل الى صيغة (فَعَّلَ)
٦٦٠	دخول الباء على المتعجب منه
٦٦١	الفرق بين فَعَّلَ وما افعله وأَفْعِلَ به
٦٦٣	٤ - التعجب بالنداء
٦٦٥	٥ - التعجب بتعابير معينة
٦٦٥	أ - التعجب بكفى
٦٦٦	ب - التعجب بأي الكمال
٦٦٧	ج - التعجب بادخال (رُبَّ) على الضمير
٦٦٧	د - لله دره
٦٦٧	هـ - التعجب بلام القسم
٦٦٨	و - تعبيرات غير منحصرة تستعمل في التعجب
٦٦٩	المدح والذم
٦٦٩	نعو وبش
٦٧٠	استعمالها في المدح والذم
٦٧١	عناصر أسلوب المدح والذم
٦٧١	١ - الفعل
٦٧٢	٢ - فاعل نعم وبش
٦٧٥	نعمًا وبشًا
٦٧٦	٣ - اختصاص بالمدح والذم
٦٧٨	حيذا

٦٧٩	المخصوص بالمدح
٦٨١	حب
٦٨٣	اسم التفضيل
٦٨٧	تعديه الى المفعول
٦٨٨	اوجه التفضيل
٦٩٢	النداء
٦٩٣	حذف حرف النداء
٦٩٧	اللهم
٦٩٨	المنادى
٧٠٠	نداء المعروف بأل
٧٠٢	المنادى المضاف إلى ياء المتكلم
٧٠٣	تابع المنادى
٧٠٥	الترخيم
٧٠٦	الاستغاثة
٧٠٨	التعجب بأسلوب الاستغاثة
٧٠٩	الندبة
٧١١	مراجع الكتاب